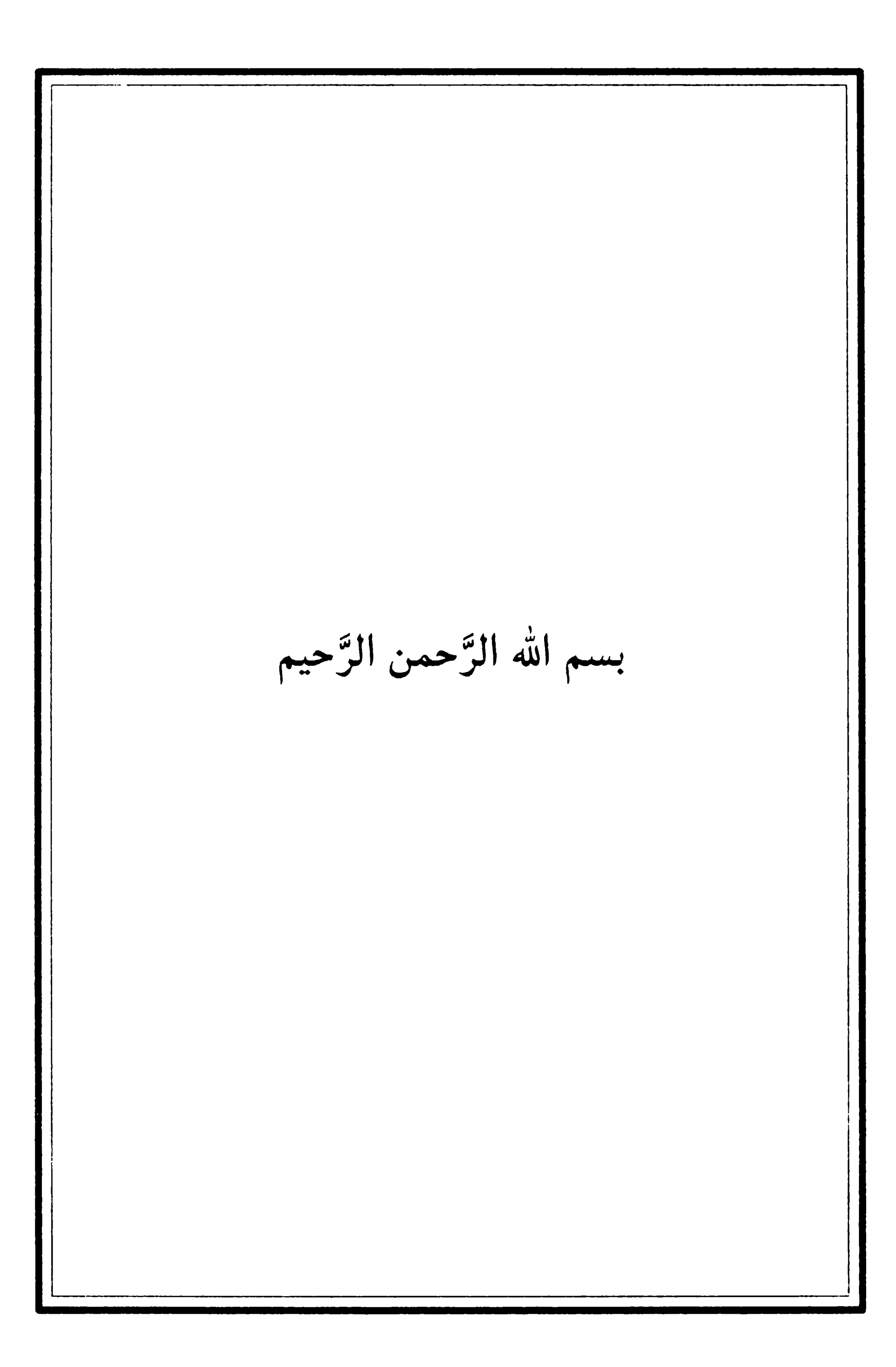

المراد
من
منية المريد
حرره
السيد محمد رضا الطباطبائي



بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

المراد
من
منية المريد





حَرَّرَهُ

السيّد محمّد رضا الطباطبائي



المراد من منية المريد

مؤلف: سید محمد رضا طباطبائی
ناشر / انتشارات دارالعلم
تیراژ / ۲۰۰۰جلد
قیمت / ۶۵۰۰ تومان
نوبت چاپ / سیزدهم ۱۳۹۴
قطع و صفحه / وزیری ۱۸۴ صفحه

دفتر مرکزی / قم خیابان معلم ، میدان روح الله نبش کوچه ۱۹ پلاک ۱۰
تلفن / ۹ – ۳۷۷٤٤۲۹۸ فکس / ۳۷۷٤۱۷۹۸، تلفن انبار / ۳۲۹۱۰۱۷۷
قم / خیابان معلم، مجتمع ناشران، طبقه همکف، واحد ۷ تلفن : ۷-۳۷۸٤۲۳۸٦
دفتر تهران / خیابان انقلاب، ۱۲ فروردین، ساختمان تجاری ناشران
طبقه همکف شماره ۱۸ / ۱٦ تلفن: ٦٦۹۷۳۸۰۹-٦٦۹٥٥٤۰٥

چاپ / شرکت چاپ قدس قم، تلفن ۳۷۷۳۱۳٥٤ فکس ۳۷۷٤۳٤٤۳
حق چاپ محفوظ و مخصوص ناشر است

فروش اینترنتی :
www.darolelm.com

شابک ۰-۱۷-٥۹۷٦-۹٦٤-۹۷۸ ISBN978-964-5976-17-0

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لِلّه ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على خير خلقه محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين والّلعن على أعدائهم أجمعين

تقديم

إنَّ *مُنْيَةَ الْمُريد في آدابِ (أدبِ) المُفيدِ والمُستَفيد* ـ الّذى ألّفهُ إمامُ المؤلِّفينَ وقُدَوةُ المُصَنِّفين، فَخرُالإسلامِ وزَيْنُ الدّين، الإمامُ ابنُ الإمام زينُالدّين ابنُ نورِالدّين، المُشْتَهر بِ**الشهيدِ الثّانى**رحمه الله ـ لَأجْوَدُ ما أُلِّفَ في هذا الْحَقْل قديماً وحَديثاً، لِمَحاسنَ شَتّى يَشْتَمِلُ عَلَيْها مِنْ حُسْنِ التّرتيبِ وسَلاسَةِ العِبارَةِ وَاستِقْصاءِ ما لَهُ دخل في كلِّ باب، ودِقَّةِ النَّظَر وَصِحَّةِ المَنْظَر وكَثْرَةِ الأثَر في النّفسِ والرُّوع، بحيثُ يَجِدُ القارِئُ روحَهُ كَالمُسَخَّرِ بيْنَ يَدَيِ الْكِتاب، وَيَزْدادُ إعجاباً كلّما نظرَ في سَطْرٍ أو مَرَّ عَلى شَطْر. وأيمُ اللهِ لايكونُ ذلك إلّا لِكَمالِ الإخلاصِ في هذا الفَذِّ الأَوحَديّ ورَزانةِ عَقْلِهِ وسَعَةِ عِلْمِه، فَلِلّهِ درُّهُ ثُمَّ لِلّهِ درُّه، ومثلُ ثنائى لايليقُ بساحَتِه.

ثُمَّ إنَّ شواغلَ العصر قد أحاطَت بِطَلَبَةِ الْعِلْم، وَالحوائجَ العِلْمِيَّةَ تَقْصِفُهم أَشَدَّ الْقَصْف، والأَساتِذَةَ الْعِظام وَناظمى الْحَوزاتِ العلميّةِ الْكِرامَ أصبحوا حَيارىٰ، كيفَ يُرَتِّبُونَ الْبَرامِجَ، وأيَّةَ حاجَةٍ مِنَ الْحاجاتِ الْعِلْمِيَّة يُقَدّمُونها عَلَى الْكَثيرةِ الأُخْرَيات.

لاشكَّ أنَّكَ ترىٰ مَعى أنَّ في مثل هذهِ الضَّوضاءِ وَالْغَوغاء لافُرصَةَ كافيةً ـ وَيالَيْتَها كانَتْ ـ لِلْمُفيدِ في الْحَوزاتِ الْعِلْمِيَّة وَلا لِلْمُسْتَفيد، أنْ يَنْظُرَ في ***مُنْيَةِ الْمُريد*** بِعَيْنِ الاعْتبار ويَسْتَنيرَ مِنْ هُداه بِنورِ الاسْتِبْصار. وَالْمَأْساةُ أنَّ ما يُورِثُهُ هذا التَّعامُل هُوَ الْحِرْمان، وهذا يَعْنى الخَيْبَةَ والْخُسران لِطَلَبَةِ الْعِلم وبِالتّالى لِلْآخَرين.

دَفْعاً لهذا الهائِلِ اَلمُفْجِع أَخَذْتُ في **تحرير** الْكتاب مُسْقِطاً ما لايَضُرُّ سَقْطُهُ بِالْمَقْصَد، فَأَصبَحَ الباقى نِصفَ الأَصلِ ـ بِالتَّقْريب ـ وسَمَّيتُهُ ***بِالْمُرادِمِنْ مُنْيَةِ الْمُريد*** زاعِماً الاشْتِمالَ عَلى مُعْظَمِ ما أرادَهُ المصنِّفﷺ. ولابُدَّ أنَّ هذا العمل قد أوجَبَ بعضَ التَّقديمِ وَالتَّأْخير في شيءٍ مِنَ الْعِبارات أوِ الْفُصولِ وَالْأَبْواب.

هذاوإنَّ النُّسْخَةَ الّتى اخْتَرْتُها لهذاالْعَمل مَتْناً وَذَيْلاً، هى الْمَنْشورةُ بِمَكْتَبِ الْإعلامِ الإسْلاميّ بِقُم (الطبعَة الثالِثة) الّتى حَقَّقَها وذَيَّلها الْمحقِّقُ البارِع الأُستاذ ***رضا المختارى*** دام إفْضالُه بعدَ أن اسْتَأذَنْتُ من جَنابِه وَسَمَحَ في الإذن بِوَجْهٍ طَلِق ابتغاءً لِنَشْرِ الْعِلْمِ وتَرْويجِ الْفَضيلَة بَشَتّى الأَساليب وَمُخْتَلَفِ الْأنحاء. وَعَلَيَّ أن أُؤَكِّدَ بِالذِّكْرِ أَنَّ هذاالْمُلَخَّص لايُغْنى عن ذاك الأَصل مَعَ ما بُذِلَ فيه مِنْ جُهودٍ ثَمينَةٍ وأُودِعَ فيه مِنْ فَوائِدَ نَفيسَة.

وَ مِنْ واجبي أَنْ أَذْكُرَ وَأَشْكُرَ الْمِنَّةَ الّتي مَنَّها عَلَيَّ أُسْتاذي الأَمْجَد وَابْنُ خالي الْمُمَجَّد، الْعَلَمُ العالِمُ آيةُ الله الشّيخ ***أَبوالقاسِم الْوافي*** دامَ ظِلُّه، لِما هَداني إِلَى الْحَوزَةِ الْعِلْميَّةِ الْمُقَدَّسَة أَوَّلاً، ولإِهْدائِه إِلَيَّ نُسْخَةً مِنْ ***مُنْيَةِ الْمريد*** آنَذاك ثانياً. فلقد صِرْتُ مفتوناً بِهذا الكِتاب مُنْذُ ذاكَ الْوقْت مُلْتَذّاً بما في أثنائِهِ حيناً بَعْدَ حين وإن لم أُوَفَّق ـآسِفاً ـ للعمل بدساتيره.

أُهْدي هذا الكتابَ إلى سماحة ***آيةِ اللهِ الْعُظمى السَّيِّد رضا بهاءالدّيني***ﷺ عند ذكرى السَّنويَّة الأولى لافتقاده لما يُرجى أن يكونَ إجابةً يسيرةً لجُهده المتكاثِف قولاً وعملاً طيلةَ حياتِهِ المباركة لإحياء القِيَمِ التَّربُويَّة الإسلاميَّة في أُمَّة الإسلام بالاِطلاق وفي الحوزاتِ العلميَّة خاصَّةً. وأسألُ الله تَبارَكَ وتَعالى أجزَلَ الثَّواب لِحَضْرَتِه والْأجرَ وَالْقبولَ لي وَلِعامَّة خَدَمةِ الْعِلْمِ والدّين إنَّهُ ذوالفَضْلِ العَظيم، والحمدُلِلّهِ رَبِّ الْعالَمين.

قم المقدّسة ـ مدرسة الشهيدين بهشتي وقدّوسي رحمهما الله

السيد محمد رضا الطّباطبائي

تير ماه / ١٣٧٧

ربيع الأول / ١٤١٩

إشارةٌ في كلمتين

إلى *مُنيَةِ المُريد* ومؤلِّفِهِ النِّحريرِ الألمعيّ *الشّهيد الثّاني*ﷺ:

أمّا في الكتاب:

فقالَ *الميرزا الشّيرازيُّ* الكَبيرﷺ: «ما أحرىٰ بأهْلِ العِلمِ أنْ يُواظِبُوا على مُطالعَةِ هذا الكِتابِ الشَّريف وأن يَتَأدَّبوا بالآدابِ المذكُورَةِ فيه».[1]

وقالَ *صدرُ المتألّهين*ﷺ: «ومِن عجيب ما ذُكِرَ في هذا الباب ما نَقَلَهُ الشَّيخُ الفاضلُ العامل، ناهِجُ مسلَكِ الْوَرَعِ وَاليقين، قُدْوَةُ المجتَهِدين، زينُ الملَّةِ وَالحقيقةِ والدّين العامِليُّ طابَ ثراه في بعضِ رَسائله (منية المريد) ...».[2]

وقالَ *السّيّد محسن الأمين*ﷺ: «منية المريد في آداب المفيد والمستفيد مشتملٌ على آدابٍ وفوائِدَ جليلةٍ وَهُوَ نِعْمَ المهَذِّبُ لِأَخْلاقِ الطُّلّاب لِمَنْ عَمِلَ بِه».[3]

وأمّا في المؤلِّف: وهو الإمام زينُ الدّينِ بنِ نورِ الدّين عليِّ بنِ أحمدَ العامليّ المولود سنةَ ٩١١(هـ ق) في جُباع لبنان المستشهَد سنةَ ٩٦٥ بموضعٍ من إستَنْبول بأيدي العُثمانيّين:

---

١. مقدّمة تحقيق منية المريد للأستاذ رضا المختاريّ، ص٥٥.

٢. نفس المصدر، ص٥٦.

٣. نفس المصدر، ص٥٥.

فقال **ابنُ العوديّ** ـ وهو من تلاميذه ـ في وَصفِه: «... لقد كانَ في عُلُوِّ هِـمَّتِه وسُمُوِّ منزلتِه على غايةٍ منَ التّواضع ولينِ الجانب ... كان ينقلُ الحطبَ على حمارٍ في اللّيل لِعيالِه ويُصلّي الصّبحَ في المسجد ... ويجلس للتّدريسِ والبحث [بقيّةَ نَهارِه] كالبحرِ الزّاخر ... كانَ غالِبَ الزّمان في ... التّستُّرِ والاختفاء الّذي لايسعُ الإنسانَ أنْ يُفِكّرَ في مسألةٍ من الضّروريّاتِ البديهيّة ... إذا نظرَ الناظِرُ في وَجْهِهِ وسمعَ عُذوبَةَ لفظِه لم تَسْمَحْ نفسُهُ بمفارَقَته وتسلّى عن كلّ شيءٍ بمخاطَبَته، تمتلِئُ العيونُ من مَهابَتِه وتبهجُ القلوبُ لِجَلالَتِه. وأيمُ اللهِ إنّهُ لَفوقَ ما وصفتُ وقد اشتمل من حميد الخِصالِ على أكثرَ ممّا ذكرتُ».[١]

وقال صاحب **الرّوضات**: «لم أُلْفِ إلى هذا الزّمن أحداً من العلماء الأجلّة يكونُ بجلالَة قدرِه وسَعَةِ [علمه] وجودَةِ فهمِه وحسنِ سليقته ونِظام تحصيله وكثرةِ أساتيده وظَرافةِ طبعِهِ ومعنويّةِ كلامِهِ وتمامِيَّةِ تصنيفاتِهِ وتأليفاتِه، بل كادَ أن يكونَ في التخلُّقِ بأخلاقِ الله تباركَ وتعالى تالياً لِتلوِ المعصومعليه السلام».[٢]

وقال المحدّث الكبير **الحرُّ العامليّ**رحمه الله في أملِ الآمِل: «إنّه خلّفَ ألفَيْ كتاب منها مائتا كتابٍ كانتْ بخطِّهِ الشّريف من مؤلَّفاتِه وغيرِها، ومؤلفاتُهُ تُناهِزُ السَّبعين».[٣]

ونُقِل عن **الشّيخ حسين بنِ عبدِالصَّمد**؛ (والد الشّيخ البَهائيّرحمهما الله) أنّه دخَلَ يوماً على الشّيخ **الشّهيد**؛ فوجَدَهُ مُتفكِّراً فسأله عن سببِ تفكُّره فقال: «يا أخي أظنُّ أنّي أكونُ ثانيَ الشّهيدين لأنّي رأيت البارحةَ في المنام أنّ **السّيّدَ المرتَضى** علمَ الهُدى عَملَ ضيافةً جمعَ فيها علماءَ الإماميّة بأجمعِهِم في بيتٍ، فلمّا دخلتُ عليهم قام السّيّد

---

١. مقدّمة تحقيق غاية المراد للأُستاذ رضا المختاريّ، ص٢٩٦.

٢. مقدّمة الأُستاذ حسن المصطفويّ لمنية المريد طبع طهران، ص(الف).

٣. نفس المصدر.

ورحَّبَ بي وقالَ لي: يا فلان، اجلِسْ بجَنْبِ الشّيخِ ***الشّهيد***، فجلستُ بجَنْبِه ...».[١]

ونُقِلَ عنهُ أيضاً أنَّ ***الشّهيد***رحمه الله مرَّ يوماً بموضعٍ من إسْتَنْبول وهو معه فقال: «يُوشَكُ أنْ يُقْتَلَ بهذا الموضعِ رجلٌ لَه شأن» ثمَّ إنَّهُ استُشهِد في ذلِكَ الموضِع.[٢]

فَسلامٌ عليهِ يومَ وُلِدَ ويومَ استُشهِد ويومَ يُبْعَثُ حيّاً.

❋ ❋ ❋ ❋

وإليك فيما يلي نَماذِجَ من إفاضاتهرحمه الله قبلَ أن تُذكر بالتفصيل في هذا الكتاب:

❋ ليس جميع العلم يوحب الزُّلفى، ولاتحصيله كيف اتَّفق يُثمر الرِّضى بل لتحصيله شرائط ولترتيبه ضوابط، وللمتلبِّس به آداب ووظائف، ولطلبه أوضاع ومعارف، لابدَّ لمن أراد شيئاً منه من الوقوف عليها، والرُّجوع في مطلوبه إليها، لئَلّا يضيعَ سعيُه ولايخمُدَ جِدُّه ...

❋ هذا الخبر (قول النبيّصلى الله عليه وآله وسلم: إنَّما الأعْمالُ بِالنِّيّاتِ) من أُصول الإسلام وأحد قواعده وأوَّل دعائمه، قيل وهو ثلث العلم ...

❋ اعلم أنَّ هذه الدَّرجَة ـ درجة الإخلاص ـ عظيمةُ المقدار كثيرةُ الأخطار، دقيقةُ المعنى صعبةُ المرتقى، يحتاج طالبها إلى نظرٍ دقيق وفكرٍ صحيح ومجاهدةٍ تامَّة ...

❋ إنّ دينَ الإسلام لايندرس ... مادام الشيطان يُحبِّبُ إلى الخلق الرِّئاسة.

❋ اعلم أنَّ العلم بمنزلة الشجرة والعمل بمنزلة الثمرة، والغرض من الشجرة المثمرة ليس إلّا ثمرتُها.

❋ وما أعظمَ اغترارَ العالم بالعلوم الرَّسميَّة الغافل لإصلاح نفسه وإرضاء ربِّه تبارك و تعالى.

---

١. نفس المصدر، ص(ب).

٢. نفس المصدر، ص(ج).

❊ ومثال هذا الفقيه في الاقتصار على علم الفقه المتعارف، مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خَرْز الرّاوية والخفّ، ولاشكَّ أنَّه لو لم يكن لتعطَّل الحجُّ ولكنَّ المقتصر عليه ليس من الحاجِّ في شيءٍ.

❊ إنَّ مثال هؤلاء أجمع مثال بيت مُظْلِمٍ باطنُه وُضِعَ السِّراجُ على سطحِه.

❊ و عندي في ذلك من الوقائع والدَّقائق ما لو جمعته بلغ ما يعلمه الله من حسن صنع الله تعالى بي و جميل معونته منذُ اشتغلت بالعلم ... و ليس الخبر كالعيان.

❊ نور العلم لايقذفه الله تعالى في القلب المنجَّس بالكدورات النفسيَّة والأخلاق الذَّميمة ... و بهذا يعلم أنَّ العلم ليس هو مجرَّد استحضار المعلومات الخاصَّة، وإن كانت هي العلم في العرف العامِّيِّ. وإنَّما هو النُّور المذكور النّاشئ من ذلك العلم الموجب للبصيرة والخشيةِلِلّه تعالى.

❊ ليترك ـ المتعلِّم ـ التَّزويج حتّى يقضِيَ وَطَرَه من العلم، فإنَّه أكبرُ شاغلٍ وأعظمُ مانع، بل هو المانع جملة.

❊ إذا سبرتَ أحوال السَّلَف والخلَف لم تجد النَّفع غالباً إلّا إذا كان للشيخ من التقوى والنُّصح والشَّفقة للطلبة نصيب وافر. وكذلك إذا اعتبرت المصنَّفات، وجدت الانتفاع بتصنيف الأتقى أوفر والفلاح بالاشتغال به أكثر، وبالعكس حال العالم المجرّد.

❊والَّذي ينبغي لطالب العلم أن لايخالط إلّا من يفيده أويستفيد منه، فإن احتاج إلى صاحبٍ فليختر الصاحبَ الصّالحَ الدَّيِّنَ التَّقيَّ الزَّكيَّ الذي إن نسي ذكَّره و إن ذكر أعانه وإن احتاج واساه وإن ضجِر صبَّره... فإن لم يتَّفق مثل هذا فالوحدة ولاقرينَ السُّوء.

❊ ولايغترَّ الطالب بمن زاد علمه مع نقصٍ في ورعه أو دينه أو خُلقه، فإنَّ ضرره في خُلق المتعلِّم ودينه أصعب وأشدُّ ضرراً من الجهل الَّذي يطلب زواله. وعن جماعةٍ من السَّلف: «هذا العلم دينٌ فانظروا عمَّن تأخذون دينكم».

❊ ليحترز مِن ـ التعلُّم مِنْ ـ مَن أخذ علمه من بطون الكتب من غير قراءةٍ على

الشُّيوخ ... قال بعض السَّلف «إيّاكم والصَّحَفيُّون».

* وليعلم ـ المتعلِّم ـ أنَّ ذُلَّه لشيخه عزٌّ، وخضوعَه له فخرٌ، وتواضعَه له رِفعة، و تعظيمَ حرمته مثوبة.

* إنَّ في المذاكرة نفعاً عظيماً قُدِّم على نفع الحفظ ... فلا شيءَ يَتخرَّجُ به الطّالبُ في العلم مثلُ المذاكَرَة.

* إنَّ العالمَ الصّالحَ في هذا الزَّمانِ بمنزَلَة نبيٍّ من الأنبياء، ومتى كان كذلك فليعلَمْ أنَّه قد علَّق في عنقه أمانةً عظيمة.

* مثل العالم والمتعلِّم مثل الفصِّ والشَّمع، فإنَّه لاينتقش في الشَّمع إلّا ما هو منقوش في الفصِّ. وقد شاهدنا هذا عياناً في جماعات من طلبةِ العلم مع مشايخهم على اختلاف أفعالهم وأخلاقهم ﴿ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثلُ خَبيرٍ ﴾.[١]

* يجب كفايةً أن يكون في كلِّ بلد وقرية واحدٌ يعلِّم الناس دينهم، باذلاً نفسه للإرشاد والتَّعليم باللُّطف، متوصِّلاً إليه بالرِّفق وكلِّ مايكون وسيلةً إلى قبولهم، وأهمُّه قطع طمعه عنهم وعن أموالهم. فإنَّ من علموا منه الرَّغبة في شيءٍ من ذلك زهِدوا فيه وفي علمه واضمحلَّ أمرهم بسبب ذلك. وأمّا إذا قصد وجه الله تعالى وامتثال أمره وقع ذلك في قرب الخاصَّة والعامَّة وانقادوا لأمره واستقاموا على نهج السَّداد.

* ينبغي للشيخ أن يأمر الطلبة بالاجتماعِ في الدَّرس لما يترتَّب عليه من الفائدة الَّتي لاتحصل مع الانفراد، وإعادةِ ماوقع من التَّقرير بعد فراغه فيما بينهم ليثبُتَ في أذهانهم.

* واعلم أن قولَ العالم «لاأدري» لايضعُ منزلتَه بل يزيدها رِفعةً ويزيدُه في قلوبِ الناس عظمةً، تفضُّلاً من الله تعالى عليه وتعويضاً له بالتزامه الحقِّ.

---

١. فاطر/١٤.

* واعلم أنَّ ثناءك على نفسك ـ مع قبحه ونهي الله تعالى عنه ـ ينقص قدرَك عند النّاس، ويوجب مقتك عند الله تعالى. وإذا أردت أن تعرف أنَّ ثناءك على نفسك لايزيد في قدرك عند غيرك، فانظُر إلى أقرانك إذا أثْنَوا على أنفسهم بالفضل كيف يستنكره قلبك ويستثقله طبعك، وكيف تَذُمُّهم عليه إذا فارقتهم.

* العلم لايُهمل العالم أبداً، بل إمّا أن يُهْلِكَه ويشقيه، أو يُسعِدَه ويُقرِّبَه من الله تعالى ويُدْنيَه.

*نقل؇ عن بعض الأكابر: «إذا جاءك الرَّجُل يسألك فلايكن همُّك أن تخرجه ممّا وقع فيه، ولتكن همَّتك أن تتخلَّص ممّا يسألك عنه».

* يستحبّ أن يقرأ ـ المفتي ـ الرُّقعة (رقعةَ الاستفتاء) على حاضريه ممّن هو أهل لذلك، ويستشيرهم ويباحثهم برفق وإنصاف ـ وإن كانوا دونه وتلامذته ـ للاقتداء بالسّلف، ورجاء ظهور ماقد يخفى عليه، فإنَّ لكل خاطر نصيباً من فيض الله تعالى.

* ... وباقي العلوم ... أكثره موصوف بالإباحة ... وقديمكن جعله مندوباً ... وقديكون حراماً إذا استلزم التقصير في العلم الواجب عيناً أو كفايةً، كما يتَّفق كثيراً في زماننا هذا لبعض المحرومين الغافلين عن حقائق الدّين.

* ليس في العلوم شيءٌ أشدُّ ارتباطاً بسائر العلوم ولاأعمّ احتياجاً إليه من علم الفقه، فليبذُل فيه جُهدَه وليُعظم فيه جِدَّه، فإنّه المقصد الأقصى والمطلب الأسنى ووِراثة الأنبياء. ولايكفي ذلك كلُّه إلّا بهبةٍ من الله تعالى إلهيَّة وقوَّةٍ منه قدسيَّة تُوصِلُه إلى هذه البُغية وتبلِّغه هذه الرُّتبة ...

* هذه العلوم بمنزلة الآلات القريبة أو البعيدة للعمل ... وما أجهلَ وأخسرَ وأحمقَ من يتعلَّمُ صنعةً لينتفعَ بها في أمر، ثمّ يصرفُ عمره ويجعل كدَّه في تحصيل آلاتها من غير أن يشتغلَ بها اشتغالاً يحصل به الغرض منها، فتدبَّر.

* أينَ السَّلامةُ من أهوال القيامة للقاعد عن الاشتغال بالعلوم الشَّرعيَّة ...

فتنبَّهوا معشرَ إخواني وأحبّائي ... من غفلتكم واغتنموا أيّام مـهلتكم ... نـبَّهنا الله وإيّاكم من مراقد الطَّبيعة، وجعل مابقي مـن أيّام هـذه المـهلة مـصروفاً على عـلوم الشَّريعة.

فاطلُبْ هذه النكات ومئاتٍ أُخرى من قَبِيلها من مواضعها من هذا الكتاب.

❊ ❊ ❊ ❊

وأفضلُ من ذلك وأجمل، حسنُ اختيار المؤلِّف‌ﷺ لطوائف كثيرة من الرِّوايات المونقات من مثل:

❊ قول النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم حينما اطَّلع في المسجد على مجلسين: مجلس يـتفقَّهون ومجلس يدعون الله تعالى ويسألونه: «كِلا الْمَجْلِسَيْنِ إلى خَيْرٍ، أمّا هؤلاءِ فَيَدْعونَ اللهَ، وَ أمّا هؤلاءِ فيَتَعَلَّمونَ ويُفَقِّهونَ الْجاهِلَ، هؤلاءِ أفْضَل، بِالتَّعليمِ أُرْسِلْتُ».

❊ وقول الصّادق عليه السلام: «لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ التَّعَلُّم، إنَّما هُوَ نورٌ يَقَعُ في قَلْبِ مَنْ يُريدُ اللهُ أنْ يَهْدِيَه. فإذا أرَدْتَ الْعِلْمَ فَاطْلُبْ أوّلاً في نَفْسِكَ حَقيقَةَ الْعُبُودِيَّة ... وَاسْتَفْهِم اللهَ يُفْهِمْكَ».

❊ وقول النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم: «ذَرُوا الْمِراءَ فَإنَّهُ لا تُفْهَمُ حِكْمَتُهُ وَ لا تُؤْمَنُ فِتْنَتُهُ».

❊ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا إنَّ شَرَّ الشَّرِّ شِرارُ الْعلَماءِ، وَ إنَّ خَيْرَ الْخَيْرِ خِيارُ الْعُلَماءِ».

❊ وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ماقُلْتُ وَ لا قالَ الْقائِلونَ قَبْلي مِثْلَ لا إلهَ إلّا الله».

والحمدللّه

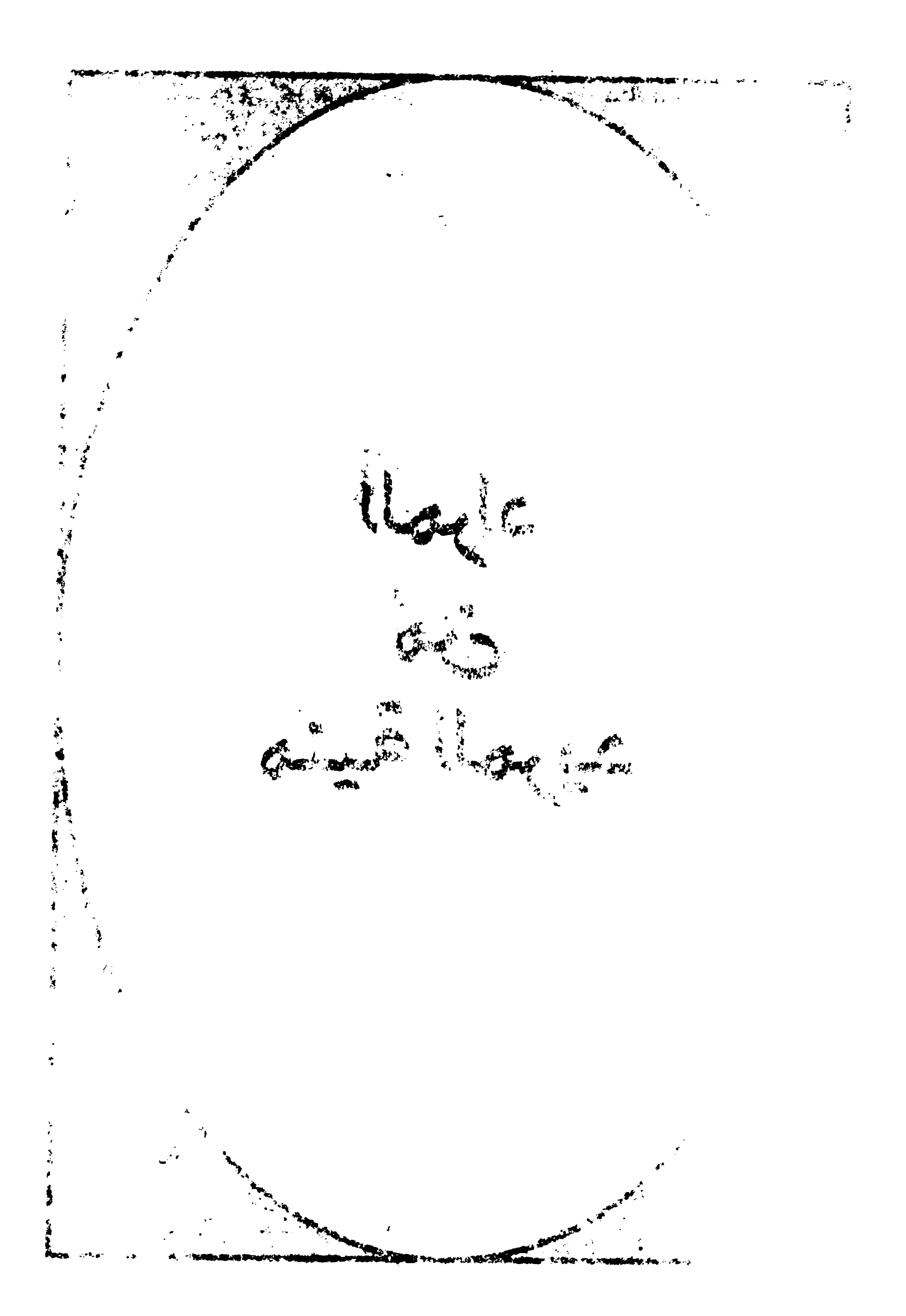
المُحرِّر

صورةٌ من خطّ الشهيد؛ قد كتبه بيمناه المباركة على نُسخة من **منية المريد** استنسخها أحد تلاميذه من الأصل بعد شهرين و ثلاثة أيام من فراغ المؤلّف ﷺ من إكماله. راجع للتّفصيل مقدّمة الأُستاذ **رضا المختاريّ** لمنية المريد طبع قم و خاتمة الأُستاذ **حسن المصطفويّ** للمطبوعة منها بطهران:

⇕

أنهاهُ أحسنَ اللهُ توفيقَه
وتسديدَه وأجزلَ من كلِّ
مثوبةٍ وخيرٍ نصيبَهُ وتأييدَهُ
ومزيدَه، سماعاً معتبَراً وتصحيحاً
وتدبُّراً في مجالسَ آخِرُها يومُ الخميس
ثاني شهرِ ذي‌القعدةِ الحَرام عامَ
أربعٍ وخمسينَ وتسعِمائة وكتَبَ مؤلِّفُهُ العبدُ
الفقيرُ إلى عَفوِ اللهِ تَعالى و كَرَمِه ومَغْفرتِه
زينُ‌الدّينِ بنُ عليِّ بنِ أحمَد حامِداً مُصَلِّياً مُسَلِّماً


المراد
من
منية المريد



تقدِمَةٌ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلِلّه الذي عَلَّمَ بالقلم، عَلَّمَ الإنسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ، وصلَّى الله علىٰ عَبْدِهِ وحبيبه ونبيِّه محمَّدٍ، أفضلِ من عُلِّمَ وعَلَّمَ، وعلى آله وأصحابِه المتأدِّبينَ بآدابِهِ وسَلَّم.

أما بعد؛ فإنَّ كمالَ الإنسانِ إنَّما هو بالعلم، الذي يُضاهِئُ به ملائكةَ السماءِ، ويَسْتَحِقُّ به رفيعَ الدَّرَجاتِ في الْعُقْبىٰ مع جَمِيلِ الثَّناءِ في الدُّنْيا، ويَتَفضَّلُ مِدادُه على دماءِ الشُّهَداءِ، وتَضَعُ الملائكةُ أَجْنِحَتَها تحتَ رِجْلَيْهِ إذا مشىٰ، ويَسْتَغْفِرُ له الطيرُ في الهواء والحيتانُ في الماء، وتَفْضُلُ نَوْمَةُ ليلةٍ من لياليه على عبادةِ العابد سبعين سنةً. وناهيك بذلك جَلالة وعِظَماً.

لكن ليس جميع العلم يُوجِب الزُّلْفىٰ، ولاتحصيله كيف اتَّفق يُثْمِرُ الرضى، بل لتحصيله شرائطُ، ولترتيبه ضوابطُ، وللمُتَلَبِّسِ به آداب و وظائف، ولطلبه أوضاع ومعارف، لابُدَّ لمن أراد شيئاً منه من الوقوف عليها، والرجوع في مطلوبه إليها، لِئَلّايَضِيعَ سعيهُ ولايَخْمُدَ جِدُّه.

وكم رأينا بُغاةَ هذا العلمِ الشريفِ دَأَبُوا في تحصيله، وأَجْهَدُوا نفوسَهُم في طَلَبِهِ ونَيْلِهِ، ثُمَّ بَعْضُهم لميجدْ لذلك الطلبِ ثمرةً، ولاحصل منه على غاية معتبرة. وبعضهم حَصَّلَ شيئاً منه في مُدَّةٍ مديدةٍ طويلةٍ، كان يُمْكِنُه تحصيلُ أضعافه في بُرْهَةٍ يسيرةٍ قليلةٍ، وبعضُهم لميَزِدْهُ العلمُ إلّا بُعداً عن الله تعالى وقَسْوَةً وقلباً مُظْلِماً، مع قول الله

سبحانه ـ وهو أصدق القائلين ـ : ﴿ إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَمٰاءُ ﴾.[١] وما كان سَبَبُ ذلك وغيره ـ من القواطعِ الصادَّةِ لهم عن بلوغ الكمال ـ إلّا إخلالهم بمراعاة الأُمور المعتبرة فيه من الشرائط والآداب، وغيرها من الأحوال. وقد رأينا في هذه الرسالة إفرادَ نَبْذَةٍ من شرائط العلم وآدابه ومايَتْبَعُ ذلك من وظائف العالم والمتعلِّم؛ نافعةٍ إن شاء الله تعالى لمن تَدَبَّرها، موصلةٍ له إلى بُغْيته إذا راعاها ونَـقَشَها عـلى صحائف خاطره وكَرَّرَها، مُسْتَنْبَطَةٍ من كلام الله تعالى وكلام رسـوله والأئـمّة عليهم السلام وكلام أساطين الحكمة والدين والعلماء الراسخين، وسَمَّيْتُها ***منية المريد في أدب [آداب] المفيد والمستفيد***.

وأنا أسأل الله تَعالى من فضله العميمِ، وجـودِهِ القـدِيم أن يَـنْفَعَ بـها نـفسي وخاصَّتي وأحِبّائي، ومن يُوفَّقُ لها من المسلمين، وأن يُجْزِلَ عليها أجري وثوابي ويُثَبِّتَ لي بها قدمَ صدقٍ يوم الدين، إنَّه جواد كريم.

وهي مُرَتَّبةٌ على مُقَدِّمَةٍ وأبواب وخاتمةٍ:

١. فاطر /٢٨.

أمّا المقدِّمة

فتشتمل على التَّنبيه على فضل العلم والعالم والمتعلِّم من الكتاب والسُّنَّةِ واهتمام الله سبحانه بشأنهم.

اِعلم أنَّ الله سبحانه جَعَل العلمَ هو السببَ لخلق العالم و قال: ﴿اللهُ الَّذي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوات ومن الأَرض مثلهنّ يَتَنَزَّلُ الأَمر بينهنّ لِتَعْلَمُوا أنَّ الله عَلىٰ كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ وأَنّ الله قَد أَحاطَ بكلِّ شيءٍ عِلماً ﴾.[1] و جَعَلَ سبحانَه العلمَ أعلى شرفٍ، وأَوَّلَ منَّةٍ امْتَنَّ بها على ابن آدم بعد خَلْقِهِ فقال سبحانه في أوَّلِ سُورَةٍ أنزلها على نَبِيِّهِ محمّدٍ ﷺ: ﴿اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ● خَلَقَ الإنْسٰانَ مِنْ عَلَقٍ ● اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ● الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ● عَلَّمَ الإنْسٰانَ مٰا لَمْ يَعْلَمْ ﴾.[2]

وقد قيل في وجه التناسب بين الآي المذكورة في صدر هذه السورة: إنَّه تعالى ذَكَرَ أوَّلَ حالِ الإنسانِ، وهو كونُه عَلَقَةً، مع أنَّها أخسُّ الأشياء؛ وآخِرَ حاله، وهو

---

١. الطّلاق/١٢.

٢. العلق/١ ـ ٥.

صيرورتُه عالِماً، وهو أجلُّ المراتِب.

ووجهُ آخَرُ أنَّه تعالى قال: ﴿وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ● الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ● عَلَّمَ الإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ﴾.[1] وهذا يدلّ على أن لو كان شيءٌ أَفضلَ من العلم وأنفسَ لكان اقترانُهُ بالأكرميّةِ المؤَدَّاة بأفعلِ التفضيلِ أولى.

وبَنَى الله سبحانَه تَرَتُّبَ قبولِ الحقِّ والأخذَ به على التَّذَكُّرِ، والتَّذَكُّرَ على الخشية، وحَصَرَ الخشيةَ في العلماءِ، فقال: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشىٰ﴾[2]، و: ﴿إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ﴾[3].

ورجّح العلماء على كلّ من سواهم فقال سبحانه: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ والَّذِينَ لايَعْلَمُونَ إنّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الألبابِ﴾.[4] وقرن سبحان أُولي العلم بنفسه وملائكته فقال: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلٰهَ إلّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وأُولُوا الْعِلْمِ﴾.[5] و زاد في إكرامهم بقوله تعالى: ﴿وما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ في الْعِلْمِ﴾،[6] وقوله تعالى: ﴿قُلْ كَفىٰ بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ﴾.[7] وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجات﴾.[8]

وقد خَصَّ الله سبحانه ـ في كتابه ـ العلماءَ بخمسِ مناقبَ:

---

١. العلق/٣ ـ ٥.

٢. الأعلى/١٠.

٣. فاطر/٢٨.

٤. الزّمر/٩.

٥. آل عمران/١٨.

٦. آل عمران/٧.

٧. الرّعد/٤٣.

٨. المجادلة/١١.

الأُولى: الإيمان: ﴿ والرَّاسِخُونَ في الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾.[١]

الثانية: التوحيد: ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاٰاِلٰهَ إِلّا هُوَ وَالْمَلاٰئِكَةُ وأُولُوا الْعِلْمِ ﴾.[٢]

الثالثة: البُكاء والحُزْن: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ ... وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقٰانِ يَبْكُونَ ﴾.[٣]

الرابعة: الخُشُوع: ﴿ وَيَخِرُّون لِلأذْقانِ يَبْكونَ وَيَزيدُهم خُشوعاً ﴾.[٤]

الخامسة: الْخَشْيَة: ﴿ إِنَّما يَخْشَىٰ اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَمٰاءُ ﴾.[٥]

فهذه نبذة من فضائل العلم الَّتي نبَّه الله عليها في كتابه الكريم.

*****

وأمّا السُّنَّة فهي في ذلك كثيرة تَنْبُوعن الْحَصْرِ.

فمنها قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «من يُرِدِ الله به خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ».[٦]

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ».[٧]

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحَبَّ أنْ يَنْظُرَ إلىٰ عُتَقٰاءِ الله مِن النار فَلْيَنْظُرْ إلى المتعلِّمينَ، فوالذي نفسي بيده ما مِنْ متعلِّم يَخْتَلِفُ إلى باب العالم إلّاكَتَبَ اللهُ له بِكُلِّ قَدَمٍ عبادةَ سَنَةٍ، وبَنَى اللهُ له بكلِّ قدمٍ مدينةً في الجنة، ويمشي على الأرض وهي تَسْتَغْفِرُ له، ويُمْسي ويُصْبِحُ مغفوراً له،

---

١. آل عمران/٧.

٢. آل عمران/١٨.

٣. الإسراء/١٠٧ ـ ١٠٩.

٤. الإسراء/١٠٩.

٥. فاطر/٢٨.

٦. صحيح البخاري، ج٢، ص٣٦.

٧. الكافي، ج١، ص٣٠.

وشَهِدَتِ الملائكة أنّهم عُتَقاءُ اللهِ مِنَ النَّارِ».[١]

وقوله ﷺ: «من طلب العلم لِلّه، فهو كالصائم نهارَه القائمِ ليلَه، وإنّ باباً من العلم يتعلَّمُه الرّجلُ خيرٌ له من أن يكونَ لَهُ أبوقبيس ذهباً فأنْفَقَهُ في سبيل الله».[٢]

وقوله ﷺ: «مَنْ جَاءَهُ الموتُ وهو يطلب العلم لِيُحْيِيَ به الإسلامَ كان بينه وبين الأنبياء درجةٌ واحدةٌ في الجنّة».[٣]

وقوله ﷺ: «فضل العالم على العابد سبعون درجةً، بين كُلِّ درجتين حُضْر[٤] الفرس سبعين عاماً، وذلك لأنَّ الشيطان يَضعُ الْبِدْعَةَ لِلنَّاسِ فيُبْصِرُها العالِمُ فـيُزِيلها، والعـابد يُقْبِلُ على عبادته».[٥]

وقوله ﷺ: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، إنَّ الله وملائكته وأهلَ السماوات والأرض حتَّى الَّنمْلةِ في جُحْرِها وحتّى الْحُوتِ في الماء، لَيُصَلُّونَ على مُعَلِّم الناسِ الخيرَ».[٦]

وقوله ﷺ: «من خَرَجَ في طلب العلم فهو في سبيل الله حتّى يَرْجِعَ».[٧]

وقوله ﷺ: «من خرج يَطْلُبُ باباً من العلم لِيَرُدَّ به باطلاً إلى حقٍّ، وضالاً إلى هُدىً

---

١. تفسير الرّازيّ، ج ٢، ص ١٨٠ مع اختلاف في التعبير.

٢. نفس المصدر مع اختلاف فى التعبير.

٣. نفس المصدر.

٤. أحْضَرَ الفَرَسُ: وثَبَ في عدوه (المعجم الوسيط)، الحُضر والإحضار: إرتفاع الفرس في عدوه (لسان العرب، ج ٤، ص ٢٠١).

٥. نفس المصدر مع اختلاف في التعبير.

٦. سنن الترمذي، ج ٥، ص ٥٠، الحديث ٢٦٨٥.

٧. نفس المصدر، ص ٢٩، الحديث ٢٦٤٧.

كان عَمَلُه كعبادة أربعين عاماً».[١]

وقوله ﷺ لعليٍّ عليه السلام: «لَأَنْ يَهْديَ اللهُ بِكَ رجلاً واحداً خَيْرٌ مِنْ أنْ يَكُونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ».[٢]

وقوله ﷺ لِمعاذ: «لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بكَ رجلاً واحداً خيرٌ لكَ مِنَ الدُّنيا ومافيها».[٣] وروي ذلك أنّه قاله لعليٍّ عليه السلام أيضاً.[٤]

وقوله ﷺ: «رَحِمَ الله خُلفائي، فقيل: يا رسولَ الله! ومن خُلَفاؤك؟ قال: الَّذين يُحْيُونَ سُنَّتِي ويُعَلِّمونَها عبادَ الله».[٥]

وقوله ﷺ: «من دَعا إلى هُدىً كان له من الأجر مِثْلُ أُجورِ من تَبِعَه، لايَنْقُصُ ذلك من أُجورِهم شيئاً، ومن دَعا إلى ضَلالةٍ كان عليه من الإثمِ مثلُ آثامِ من تَبِعَهُ، لايَنْقُصُ ذلك من آثامِهِمْ شيئاً».[٦]

وقوله ﷺ: «إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطعَ عَمَلُه إلّا مِنْ ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنْتَفَعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يَدْعُو لَهُ».[٧]

وقوله ﷺ: «خيرُ مايُخَلِّفُ الرجلَ من بعدِه ثلاثٌ: ولدٌ صالحٌ يَدْعُو له، وصَدَقَةٌ تجري يَبلُغُه أجرُها، وعِلمٌ يُعْمَلُ به مِنْ بعدِه».[٨]

---

١. أمالي الطّوسي، ج ٢، ص ٢٣١.

٢. المحجّة البيضاء، ج ١، ص ١٩، الهامش.

٣. إحياء علوم الدّين، ج ١، ص ٩.

٤. تفسير الرّازي، ج ٢، ص ١٨٠.

٥. كتاب من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٠٢، الحديث ٩١٥.

٦. سنن الترمذي، ج ٥، ص ٤٣، الحديث ٢٦٧٤.

٧. إحياء علوم الدّين، ج ١، ص ١٠.

٨. سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٨٨، الحديث ٢٤١.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ الملائكةَ لَتَضَعُ أجْنِحَتَها لطالب العلم رِضًى بما يَصْنَعُ».[١]

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أُطْلُبوا العِلْمَ ولو بالصِّينِ».[٢]

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من غدا في طَلَبِ الْعِلْمِ أظَلَّتْ عليه الملائكةُ، وبُورِكَ له في مَعِيشَتِهِ، ولم يُنْقَصْ من رِزْقِهِ».[٣]

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من سَلَكَ طريقاً يَلْتَمِسُ به علماً سَهَّلَ الله له طريقاً إلى الجنَّةِ».[٤]

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «نَوْمٌ مع عِلْمٍ خيرٌ من صلاةٍ على جَهْلٍ».[٥]

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «فقيهٌ أشدُّ على الشَّيْطانِ من ألفِ عابدٍ».[٦]

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ مَثَلَ العلماءِ في الأرض كمثلِ النُّجُومِ في السَّماءِ، يُهْتَدىٰ بها في ظُلُماتِ البَرِّ والبحر، فإذا انْطَمَسَتْ أوْشَكَ أنْ تَضِلَّ الهُداةُ».[٧]

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما جُمِعَ شيءٌ إلى شيءٍ أَفْضَلُ من عِلْمٍ إلى حِلْمٍ».[٨]

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما تَصَدَّق الناسُ بصدقةٍ مثلِ علمٍ يُنْشَر».[٩]

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أهدى المرءُ المسلمُ إلى أخيه هَدِيَّةً أفْضَلَ من كَلِمَةِ حِكْمَةٍ يَزِيدُه اللهُ

---

١. إحياء علوم الدّين، ج ١، ص ٨.

٢. نفس المصدر.

٣. كنز العمّال، ج ١٠، ص ١٦٢، الحديث ٢٨٨٤١، و فيه: «صلّت عليه الملائكة ..».

٤. سنن الترمذي، ج ٥، ص ٢٨.

٥. كنز العمّال، ج ١٠، ص ١٤٠، الحديث ٢٨٧١١.

٦. نفس المصدر، ص ١٥٥، الحديث ٢٨٧٩٣.

٧. نفس المصدر، ص ١٥١، الحديث ٢٨٧٦٩.

٨. الجامع الصغير، ج ٢، ص ١٤٥.

٩. نفس المصدر، ص ١٤٤.

بها هُدىً، وَيردُّه عن رَدىً».[١]

وقوله ﷺ: «أفضلُ الصدقةِ أن يَعْلَمَ المرءُ علماً ثُمَّ يُعَلِّمَهُ أخاه».[٢]

وقوله ﷺ: «قَليلُ العِلْمِ خيرٌ من كثير العِبادَةِ».[٣]

وخرج رسول الله ﷺ فإذا في المسجد مَجْلِسان: مَجْلِسٌ يَتَفَقَّهُونَ، وَمَجْلِسٌ يَدْعُونَ الله تعالىٰ وَيَسْألُونَه، فقال: «كِلا المجْلِسَيْنِ إلى خَيْرٍ، أمّا هؤلاء فَيَدْعُونَ اللهَ، وأمّا هؤلاء فَيَتَعَلَّمُونَ ويُفَقِّهُونَ الجاهِلَ، هؤلاء أفضلُ، بالتعليم أُرْسِلْتُ»، ثمَّ قَعَدَ معهم.[٤]

وما رُوِّيناهُ بالإسناد الصحيح إلى أبي الحسن عليِّ بنِ موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عن النبيِّ ﷺ أنّه قال: «طَلَبُ العلم فريضة على كل مسلم، فاطلبوا العلم في مظانّه واقْتَبِسُوه مِنْ أهله، فإنّ تَعَلُّمَهُ لِلّهِ تعالى حَسَنَةٌ، وطلبه عبادة، والمذاكرة به تسبيحٌ، والعمل به جِهادٌ، وتعليمه من لا يَعْلَمُه صَدَقَةٌ، وبَذْلُه لأهله قربةٌ إلى الله تعالىٰ؛ لأنّه معالِمُ الحَلالِ والحرام ومَنارُ سبيل الجنة، والمؤنسُ في الوَحْشَةِ، والصاحبُ في الغُرْبَةِ والوَحْدةِ، والمُحَدِّثُ في الخلوة، والدليلُ على السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، والسِّلاحُ على الأعداءِ، والزين عند الأخلّاء، يَرْفَعُ الله به أقواماً فَيَجْعَلُهُمْ في الخير قادةً تُقْتَبَسُ آثارُهم، ويُقْتَدىٰ بفعالهم، ويُنْتَهىٰ إلى آرائهم، تَرْغَبُ الملائكةُ في خُلَّتهم وبأجْنِحَتِها تَمْسَحُهُم، وفي صلواتها تُبارِكُ عليهم، يَسْتَغْفِرُ لهم كلُّ رَطْبٍ ويابسٍ حتّى حِيتانِ البَحْرِ وهَوامُّه وسباع البَرِّ وأنْعامه. إنّ العلمَ حياة القلوب من الجهل، وضياء الأبصار من الظُلمة، وقُوّةُ الأبْدانِ من الضعفِ، يَبْلُغُ بالعَبْدِ منازِلَ الأخيارِ، ومجالِسَ الأبرار، والدرجات العُلا في الآخرة والأُولى. والذكرُ فيه يُعْدَلُ بالصيام، ومدارَسَتُه

---

١. نفس المصدر، ص١٤٣.

٢. سنن ابن ماجة، ج١، ص٨٩.

٣. الجامع الصغير، ج٢، ص٨٧.

٤. إحياء علوم الدّين، ج١، ص١٠.

بالقِيام. به يُطاعُ الرَبُّ ويُعْبَدُ، وبه تُوصَلُ الأرْحامُ، ويُعْرَفُ الْحَلالُ والْحَرامُ. والعلم إمامٌ والعمل تابِعُه، يُلْهَمُهُ السُّعَداء، ويُحْرَمُهُ الأشْقِياء، فطوبىٰ لمن لم يَحْرِمْهُ الله مِنْ حَظِّهِ».[1]

و عن أميرالمؤمنين عليه‌السلام: «أيُّها النّاسُ إعْلَمُوا أنَّ كمالَ الدين طلب العلم والعمل به، ألا وإنّ طلبَ العلم أوْجَبُ عليكم من طلب المال، إنّ المال مقسوم مضمون لكم، قد قسَّمَه عادلٌ بينكم، وقد ضَمِنَه وسَيَفي لكم، والعلم مخزون عند أهله [وقد أُمِرْتُمْ بطلبه من أهله] فاطْلُبوه».[2]

وعنه عليه‌السلام: «العالِم أفضلُ من الصائمِ القائمِ المجاهِد، وإذا مات العالم ثُلِمَ في الإسلام ثُلْمَة لايَسدُّها إلّا خَلَفٌ منه».[3]

وعنه عليه‌السلام: «كفى بالعلم شَرَفاً أن يَدَّعِيَه مَنْ لايُحْسِنُه ويَفْرَحُ به إذا نُسِبَ إليه، وكفى بالجهل ذمّاً أن يَبْرأ منه من هو فيه».[4]

وعنه عليه‌السلام أنّه قال لكميلِ بنِ زياد: «ياكُمَيْلُ! العلمُ خيرٌ من المال، العلم يَحْرُسُكَ وأنت تَحْرُسُ المالَ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال تَنْقُصُه النفقةُ والعلم يَزْكُو على الإنفاق».[5]

وعنه عليه‌السلام أيضاً: «العلم أفضلُ من المالِ بسبعةٍ: الأوّل: أنّه ميراث الأنبياء، والمال ميراث الفراعنة؛ الثاني: العلم لاينْقُصُ بالنفقة، والمال ينْقُصُ بها؛ الثالث: يَحْتاجُ المالُ إلى الحافظ، والعلم يَحْفَظُ صاحِبَه؛ الرابع: العلمُ يَدْخُلُ في الكَفَنِ ويبقى المالُ؛ الخامس: المالُ

---

١. بحارالأنوار، ج١، ص١٧١.

٢. الكافي، ج١، ص٣٠.

٣. بصائر الدرجات، ص٤، الحديث ١٠.

٤. تذكرة السّامع، ص١٠.

٥. نهج البلاغة، الحكمة ١٤٧.

يَحْصُلُ للمؤمن والكافر، والعلم لايَحْصُلُ إلّا للمؤمن؛ السادس: جميعُ الناسِ يحتاجون إلى العالم في أمر دينهم، ولايحتاجون إلى صاحب المال؛ السابع: العلم يُقَوِّي الرجلَ على المرور على الصِّراط والمال يَمْنَعُه».[١]

وعنه عليه السلام: «قِيمَةُ كُلِّ امرىءٍ مايَعْلَمُه».[٢] و في لفظٍ آخَرَ: «مايُحْسِنُه».[٣]

وعن زينِ العابدينَ عليِّ بنِ الحسينِ عليهما السلام: «لويَعْلَمُ الناسُ مافي طَلَبِ الْعِلْمِ لَطَلَبُوهُ ولو بِسَفْكِ الْمُهَجِ وخَوْضِ اللُّجَجِ، إنَّ الله تعالى أوْحىٰ إلى دانيالَ: أنَّ أمْقَتَ عِبادي إلَيَّ الْجاهِلُ المسْتَخِفُّ بِحَقِّ أهلِ الْعِلْمِ التَّارِكُ لِلاقْتِداءِ بِهِمْ، وأنَّ أحَبَّ عَبِيدي إلَيّ التَّقِيُّ الطالِبُ لِلثَّوابِ الْجَزِيلِ، اللازِمُ لِلْعُلَماءِ، التّابِعُ لِلْحُلَماءِ، القابِلُ عَنِ الْحُكَماءِ».[٤]

وعن الباقر عليه السلام قال: «من عَلَّمَ بابَ هُدىً فَلَهُ مِثْلُ أجْرِ مَنْ عَمِلَ به، ولايَنْقُص أُولئك من أُجُورِهِمْ شَيْئاً، ومن عَلَّم بابَ ضَلالَةٍ كان عليه مِثْلُ أوزارِ من عَمِلَ به، ولايَنْقُص أُولئك من أوْزارِهِمْ شَيْئاً».[٥]

وعنه عليه السلام: «عالِمٌ يُنْتَفَعُ بِعِلْمِهِ أفضلُ من سَبْعِينَ ألف عابدٍ».[٦]

وعنه عليه السلام: «إنَّ الذي يُعَلِّم الْعِلْمَ منكم لَهُ أجْرُ المتعلِّمِ، وَلَهُ الفَضْلُ عليه، فَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ وعَلِّمُوهُ إخْوانَكُمْ كما عَلَّمَكُمُوهُ الْعُلَماءُ».[٧]

---

١. تفسير الرّازي، ج ٢، ص ١٨٢ مع اختلاف في بعض الألفاظ.

٢. غرر الحكم، الحديث ٦٧٥٢.

٣. نهج البلاغة، الحكمة ٨١.

٤. الكافي، ج ١، ص ٣٥.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر، ص ٣٣.

٧. نفس المصدر، ص ٣٥.

وعنه عليه السلام: «لَـمَجْلِسٌ أَجْلِسُهُ إلىٰ مَنْ أثِقُ بِهِ أوْثَقُ في نَفْسي مِنْ عَمَلِ سَنَةٍ».[١]

وعن أبي بصير عن الصادق عليه السلام: «من عَلَّم خيراً فَلَهُ مثلُ أجْرِ مَنْ عَمِلَ به، قلتُ: فإنْ عَلَّمه غَيْرَه يَجْري ذلك له؟ قال: إنْ عَلَّمَهُ الناسَ كُلَّهم جَرىٰ له. قلتُ: فإنْ ماتَ؟ قال: وإنْ ماتَ».[٢]

وعنه عليه السلام قال: «تَفَقَّهُوا في الدِّينِ، فإنَّ من لم يَتَفَقَّهْ منكم في الدين فهو أعرابيٌّ، وإنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يقول في كتابه: ﴿ لِيَتَفَقَّهُوا في الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إذا رَجَعُوا إلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾».[٣]

وعنه عليه السلام: «عليكم بِالتَّفَقُّهِ في دينِ اِلله ولاتكونوا أعْراباً؛ فإنَّهُ مَنْ لمِيَتَفَقَّهْ في دينِ الله لمِيَنْظُرِ الله إليه يَوْمَ القيامة، ولميُزَكِّ له عَمَلاً».[٤]

وعنه عليه السلام: «لَوَددتُ أنَّ أصْحابي ضُرِبَت رُؤُوسُهم بالسِّياطِ حتّى يَتَفَقَّهُوا».[٥]

وعنه عليه السلام: «إنَّ الْعُلَماءَ وَرَثَةُ الأنْبياءِ، إنّ الأنبياءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِرْهماً ولادِيناراً، وإنَّما وَرَّثُوا أحادِيثَ منْ أحادِيثِهِمْ، فَمَنْ أخَذَ بِشَيْءٍ منها فَقَدْ أخَذَ حَظّاً وافِراً، فانْظُرُوا عِلْمَكُمْ هذا عَمَّنْ تَأْخُذُونَهُ؛ فَإنَّ فِينا أهْلَ الْبَيْتِ في كُلِّ خَلَفٍ عُدُولاً يَنْفُوْنَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغالِينَ وانْتِحالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجاهِلِينَ».[٦]

---

١. نفس المصدر، ص٣٩.

٢. نفس المصدر، ص٣٥.

٣. نفس المصدر، ص٣١، والآية الشّريفة في سورة التوبة/١٢٢.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر، ص٣٢.

وعنه عليه السلام: «إذا أرادَ الله بِعَبْدٍ خَيْراً فَقَّهَهُ في الدِّينِ».[١]

وقال مُعاوِيَةُ بنُ عَمّارٍ للصادِقِ عليه السلام: رَجُلٌ راوِيَة لِحَدِيثِكُمْ يَبُثُّ ذلك في الناسِ ويُشَدِّدُهُ في قُلُوبِهِمْ وقُلوبِ شِيعَتِكُمْ، ولعَلَّ عابِداً مِنْ شيعَتِكُمْ لَيْسَتْ له هذِهِ الرِّوايَةُ، أيُّهُما أفْضَلُ؟ قال: «الرَّاوِيَةُ لِحَديثِنا يَشُدُّ بِهِ قُلُوبَ شيْعَتِنا أفْضَلُ من ألفِ عابِدٍ».[٢]

وعنه عليه السلام قال: «ما مِنْ أحدٍ يَمُوتُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أحَبَّ إلى أبْلِيسَ مِنْ مَوْتِ فَقِيهٍ».[٣]

وعنه عليه السلام قال: «إذا ماتَ المؤمِنُ الْفَقِيهُ ثُلِمَ في الإسْلامِ ثُلْمَةٌ لايَسُدُّها شَيْءٌ».[٤]

وعن الكاظم عليه السلام قال: «إذا ماتَ المؤمنُ بَكَتْ عَلَيْهِ الملائِكَةُ وبِقاعُ الأرضِ الّتي كان يَعْبُدُ اللهَ عَلَيْها، وأبوابُ السَّماءِ الّتي كانَ يَصْعَدُ مِنْها أعْمالُه، وثُلِمَ في الإسلامِ ثُلْمَةٌ لايَسُدُّها شَيْءٌ، لأنَّ المؤْمِنِينَ الْفُقَهاءَ حُصُونُ الإسْلامِ كَحِصْنِ سُورِ المدِينَةِ لَها».[٥]

وعنه عليه السلام قال: «دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم المسْجِدَ، فاذا جَماعَةٌ قَدْ أطافُوا بِرَجُلٍ، فَقَالَ: ما هذا؟ فقيل: عَلّامَةٌ، فقالَ: ومَا العلاَّمَةُ؟ فَقالُوا: أعْلَمُ الناسِ بأنْسابِ الْعَرَبِ وَوَقائِعِها، وأيّامِ الْجاهِلِيَّةِ والأشْعارِ الْعَرَبِيَّة، قال: فقال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: ذاك عِلْمٌ لايَضُرُّ مَن جَهِلَهُ، ولايَنْفَعُ مَنْ عَلِمَهُ؛ ثمَّ قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّما الْعِلْمُ ثَلاثَةٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، أو فَرِيضَةٌ عادِلَةٌ، أو سُنَّةٌ قائِمَةٌ، وما خَلاهُنَّ فَهُوَ فَضْلٌ».[٦]

---

١. نفس المصدر.

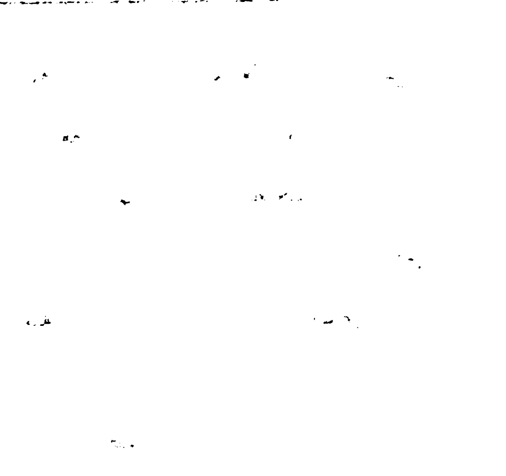
٢. نفس المصدر، ص٣٣.

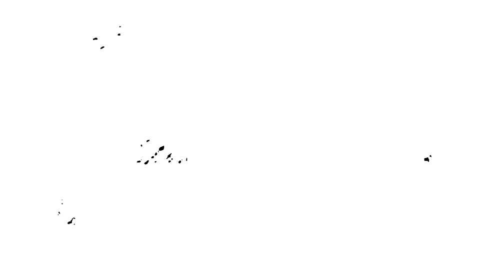
٣. نفس المصدر، ص٣٨.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر، ص٣٢.







البَابُ الأوَّل

في آداب المعلِّم والمتعلِّم

- و هي ثلاثة أنواعٍ:
  - ☑ النوع الأوَّل: آدابٌ اشتركا فيها
  - ☑ النوع الثّاني: آداب يختصُّ بها المتعلِّم
  - ☑ النوع الثّالث: آداب يختصُّ بها المعلِّم

النَّوع الأوَّل: آداب اشتركا فيها

وهي قسمان: آدابهما في أنفسهما، وآدابهما في مجلس الدَّرس.

القسم الأوَّل: آدابهما في أنفسهما

الأمر الأوّل (أوّل مايجب عليهما) إخلاص النية لله تعالى في طلبه وبذله، فإنّ مَدار الأعمال على النيات، وبسببها يكون العملُ تارةً خَـزَفَةً لاقـيمة لهـا، وتـارةً جَوْهَرَةً لاتُعلَمُ قيمتُها لِعِظَمِ قَدْرِها، وتارةً وبالاً على صاحبه، مكـتوباً فـي ديـوان السَّيِّئاتِ وإنْ كانَ بصورةِ الواجبات.

فيجبُ على كلّ منهما أن يَقْصِدَ بعمله وجهَ الله تعالى وامتثالَ أمره، وإصـلاحَ نفسه، وإرشادَ عباده إلى معالم دينه، ولايَقْصِدَ بذلك غرَضَ الدنيا من تحصيل مالٍ أو جاهٍ أو شُهْرَةٍ أو تَمَيُّزٍ عن الأشباه أو المفاخرة للأقران أو التَّرَفُّع على الإخوان، ونحو ذلك من الأغراض الفاسدة التي تُثْمِرُ الْخِذْلانَ من الله تعالى وتُوجِبُ المقْتَ، وتُفَوِّتُ الدارَ الآخرةَ والثوابَ الدائمَ، فيصير من ﴿الأخْسَرِينَ أعْمالاً ● الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ في

الْحَيٰوةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنونَ صُنْعاً ﴾.[١]

وقال النبيُّ ﷺ: **«إنّما الأعمالُ بالنّيات وإنّما لكلِّ امرئٍ مانَوىٰ، فمن كانت هجرتُه إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يُصيبها أو امرأةٍ يَنْكحُها، فهِجْرتُه إلى ما هاجر إليه».**[٢]

وهذا الخبر من أُصول الإسلام، وأحد قواعده وأوَّل دعائمه، قيل: وهو ثلث العلم. ووجّهه بعض الفضلاء بأنّ كسب العبد يكون بقلبه ولسانه وبنانه، فالنية أحد أقسام كسبه الثلاثة، وهي أرجحها، لأنها تكون عبادة بانفرادها بخلاف القسمين الآخرين.

وكان السلف وجماعة من تابعيهم يَسْتَحِبُّونَ استفتاحَ المصنَّفاتِ بهذا الحديث تنبيهاً لِلْمُطَّلِع على حسن النية وتصحيحها، واهتمامه بذلك واعتنائه به.

وقال ﷺ: **«نِيَّةُ المؤمنِ خيرٌ مِنْ عَمَلِه». و في لفظ آخر: «أبْلَغُ من عمله».**[٣]

وقال ﷺ: **«إنّما يُبعَثُ الناسُ على نيّاتِهِم».**[٤]

وقال ﷺ ـ مخبراً عن جبرئيل عن الله عزَّ وجلَّ أنَّه قال ـ: **«الإخلاص سِرٌّ من أسراري، استودعتُه قلبَ من أحْبَبْتُ من عبادي».**[٥]

وقال ﷺ: **«إنّ أوّلَ الناس يُقْضىٰ يوم القيامة عليه رجلٌ استُشْهِدَ، فأُتِيَ به فَعَرَّفَه نِعَمَه فَعَرَفَها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتَلْتُ فيك حتى استُشْهِدْتُ. قال: كَذَبتَ، ولكنَّك**

---

١. الكهف/١٠٣ و ١٠٤.

٢. صحيح البخاري، ج ١، ص ١٧.

٣. الكافي، ج ٢، ص ٨٤.

٤. سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٤١٤، الحديث ٤٢٢٩.

٥. إحياء علوم الدّين، ج ٤، ص ٣٢٢.

قاتلتَ ليقال جريءٌ، فقد قيل ذلك. ثم أُمِرَ به، فَسُحِبَ على وجهه حتى أُلقِيَ في النار. ورجل تعلَّم العلمَ وعَلَّمه وقَرَأَ القرآنَ، فأُتِيَ به فَعَرَّفَه نِعَمَه فَعَرفَها، قال: فما عَمِلْتَ فيها؟ قال: تعلَّمتُ العلمَ وعلَّمتُه وَقَرَأْتُ فيك القرآنَ. قال: كَذَبتَ، ولكنّك تعلَّمتَ ليقال: عالم، وقَرَأْتَ الْقُرْآنَ ليقال: قارئ القرآن، فقد قيل ذلك. ثم أُمِرَ به، فَسُحِبَ على وجهه حتى أُلقِيَ في النار».[١]

وقال ﷺ: «من تعلَّم عِلْماً ممّا يُبْتَغىٰ به وجهُ الله عز وجل، لايتعلَّمه إلّا لِيُصِيبَ به غَرَضاً مِنَ الدنيا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيامَةِ».[٢]

وقال ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْماً لِغَيْرِ الله وأرادَ به غَيْرَ الله فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه مِنَ النَّارِ».[٣]

وقال ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجارِيَ به العلماءَ أو لِيُمارِيَ به السفهاء، أو يَصْرِفَ به وُجُوهَ النَّاسِ إلَيْهِ أدْخَلَهُ الله النَّارَ».[٤] و في رواية: «فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه من النار».[٥]

وقال ﷺ: «لاتَعَلَّموا العلمَ لِتُمارُوا به السُّفَهاء، وتُجادِلُوا به العلماء؛ ولتصرفوا [به] وجوه الناس إليكم. وابتغوا بقولكم ما عندالله فإنّه يَدُومُ ويَبْقى، ويَنْفَدُ ماسواه. كونُوا ينابيعَ الحِكْمَةِ، مصابيح الهدى، أحْلاسَ البيوت، سُرُجَ الليل، جُدُدَ الْقُلوبِ، خُلْقانَ الثِّيابِ، تُعْرَفُونَ في أهْلِ السَّماءِ وتُخْفَوْنَ في أهلِ الأرْضِ».[٦]

---

١. تفسير القرطبي، ج١، ص١٨.

٢. كنزالعمّال، ج١٠، ص١٩٣، الحديث ٢٩٠٢٠. وفيه «عرضاً» بدل «غرضاً».

٣. سنن الترمذي، ج٥، ص٣٣.

٤. نفس المصدر، ص٣٢.

٥. كنزالعمال، ج١٠، ص٢٠١، الحديث ٢٩٠٥٧، وفيه: «مَن طلب العلمَ ليماريَ به السفهاء أو يكاثِرَ به العلماء أو يصرفَ به وجوهَ النّاسِ إليه فليتبوَّأ مقعدهُ مِنَ النّار».

٦. سنن الدّارمي، ج١، ص٨٠.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لأرْبَعٍ دَخَلَ النار: لِيُباهِيَ به العلماءَ، أو يماري به السُّفَهاءَ، أو لِيصْرِفَ به وُجُوهَ الناسِ إليه، أو يَأْخُذَ به من الأُمَراءِ».[١]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «مَاازْدادَ عَبْدٌ عِلْماً فازْدادَ في الدُّنيا رَغْبَةً، إلّا ازْدادَ مِنَ الله بُعْداً».[٢]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «كُلُّ علمٍ وَبالٌ على صاحبِهِ يومَ القيامة إلّا مَنْ عَمِلَ به».[٣]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أشَدُّ الناسِ عذاباً يَوْمَ القيامة عالمٌ لم ينفَعْهُ علمُه».[٤]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «مَثَلُ الَّذي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ، ويَنْسىٰ نَفْسَه مثل الفتيلة تُضيءُ للناس وتُحْرِقُ نَفْسَه». و في رواية: «كمثل السراج».[٥]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من كَتَمَ عِلماً أَلْجَمَهُ الله بِلِجامٍ من نار».[٦]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «العِلْمُ عِلْمان: فَعِلْمٌ في الْقَلْبِ فذاكَ الْعِلْمُ النّافعُ، وعِلْمٌ عَلى اللِّسانِ فَذاكَ حُجَّةُ اللهِ عَلى ابْنِ آدَمَ».[٧]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّي لاأتَخَوَّفُ على أُمَّتي مُؤْمِناً ولامُشْركاً. فَأمّا المؤمنُ، فَيَحْجِزُهُ إيمانُه؛ وأمّا المشْرِكُ، فَيَقْمَعُهُ كُفْرُه. ولكن أتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ مُنافِقاً عليمَ اللّسانِ، يَقُولُ ماتَعْرِفُونَ، ويَعْمَلُ ماتُنْكِرُونَ».[٨]

---

١. نفس المصدر، ص١٠٣.

٢. نفس المصدر، ص١٠٧.

٣. الترغيب و الترهيب، ج١، ص١٢٧.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر، ص١٢٦.

٦. نفس المصدر، ص١٢١.

٧. إحياء علوم الدّين، ج١، ص٥٢.

٨. كنزالعمّال، ج١٠، ص١٩٩، الحديث ٢٩٠٤٦.

وقال ﷺ: «إنَّ أخْوَفَ ماأخافُ عَلَيْكُمْ بَعدي كلُّ منافقٍ عَليم اللِّسانِ».[١]

وقال ﷺ: «ألا إنَّ شرَّ الشَّرِّ شِرارُ العلماء، وإنَّ خيرَ الخير خيارُ العلماء».[٢]

وقال ﷺ: «من قال أنا عالم فهو جاهل».[٣]

وروي الكلينيُّ بإسناده إلى عليٍّ عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: منهومان لايَشْبَعانِ: طالبُ دنيا، وطالبُ علمٍ؛ فمن اقْتَصَرَ من الدنيا على ماأحلَّ الله له سَلِمَ، ومَنْ تَناوَلَها من غير حِلِّها هَلَكَ، إلّا أن يتوبَ ويُراجِعَ. ومن أخَذَ العلمَ من أهله وعمل به نجا، ومن أراد به الدنيا فهي حظّه».[٤]

وبإسناده إلى الباقر عليه السلام: «من طَلَبَ العلمَ لِيُباهِيَ به العلماء، أو يُمارِيَ به السُّفَهاءَ، أو يَصْرِفَ به وجوهَ الناس إليه، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَه من النار؛ إنّ الرئاسة لاتصلح إلّا لأهلها».[٥]

وبإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: «مَنْ أرادَ الحديثَ لمنفعةِ الدنيا لم يكنْ له في الآخرة نصيبٌ، ومن أراد به خَيرَ الآخِرَة أعطاه الله خيرَ الدنيا والآخرة».[٦]

وعنه عليه السلام: «إذا رأيتم العالمَ مُحِبّاً للدُّنيا، فاتَّهِمُوه على دينكم، فإنّ كُلَّ مُحِبٍّ لشيءٍ يحوط ما أحَبَّ. وقال: أوْحَى الله تعالى إلى داوُد عليه السلام: لاتَجْعَلْ بيني وبينَك عالماً مفتوناً بالدنيا، فَيَصُدَّكَ عن طريقِ مَحَبَّتي، فإنَّ أُولئك قُطّاعُ طَرِيقِ عِبادي المريدين، إنَّ أدنى ما أنا صانعٌ بهم

---

١. نفس المصدر، ص١٧٦، الحديث ٢٨٩٧٠.

٢. إحياء علوم الدّين، ج١، ص٥٦.

٣. كنز العمّال، ج١٠، ص٢٤٣، الحديث ٢٩٢٩٠.

٤. الكافي، ج١، ص٤٦.

٥. نفس المصدر، ص٤٧.

٦. نفس المصدر، ص٤٦.

أنْ أنْزَعَ حَلاوَةَ مناجاتي من قلوبهم».[١]

وعنه عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الفُقَهاء أُمَناءُ الرُّسُلِ ما لم يَدْخُلوا في الدنيا، قيل: يا رسول الله! ومادُخُولهم في الدنيا؟ قال: اتِّباعُ السُّلطان، فإذا فعلوا ذلك فاحْذَرُوهُمْ عَلىٰ دِينِكُم».[٢]

وروي الصدوق في كتاب ***الخصال*** بإسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال: «إنَّ مِنَ العلماءِ من يُحِبُّ أن يَجْمَعَ عِلْمَه، ولايُحِبُّ أنْ يُؤْخَذَ عنه، فذاك في الدرك الأوّل من النار؛ ومن العلماء من إذا وُعِظَ أنِفَ، واذا وَعَظَ عَنُفَ، فذاك في الدرك الثاني من النار؛ ومن العلماء من يَرىٰ أن يضعَ العلمَ عند ذوي الثَرْوَة والشَرَف ولايرى له في المساكين وضعاً، فذاك في الدرك الثالث من النار؛ ومن العلماء من يذهبُ في علمه مذهبَ الجبابرة والسلاطين، فإنْ رُدَّ عليه أو قُصِّرَ في شيءٍ من أمره غَضِبَ، فذاك في الدرك الرابع من النار؛ ومن العلماء من يَطْلُبُ أحاديثَ اليهود والنصارى لِيُغْزِرَ به علمَه ويُكْثِرَ به حديثَه، فذاك في الدرك الخامس من النار؛ ومن العلماء من يضع نفسه للفتْيا ويقول: سلوني، ولعلّه لايُصيبُ حرفاً واحداً، والله لايُحِبُّ المتكلِّفين، فذاك في الدرك السادس من النار؛ ومن العلماء من يتَّخِذُ العلمَ مُرُوءَةً وعقلاً فذاك في الدرك السابع من النار».[٣]

وعن النبيِّ صلى الله عليه وآله: «أنَّ موسى عليه السلام لَقِيَ الْخِضْرَ عليه السلام فقال: أوْصِني. فقال الخِضْر: يا طالبَ العلم، إنَّ القائلَ أقلُّ مَلالَةً من المستمع، فلا تُمِلَّ جُلَساءَكَ إذا حَدَّثْتَهُمْ، واعْلَمْ أنَّ قلبَكَ وِعاء، فانْظُرْ ماذا تَحْشُو به وِعاءَك ... ياموسى! تَفَرَّغْ للعلم إنْ كنتَ تريده، فإنّما العلم لمن تَفَرَّغَ له،

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر.

٣. الخصال، ج٢، ص٣٩٥، الحديث ٨٤٠.

ولاتكونَنَّ مِكْثاراً بالمنطق مِهْذاراً، إنَّ كثرةَ المنطق تَشينُ العلماء، وتُبْدئ مساوئ السُّخَفاء، ولكن عليك بذي اقتصاد؛ فإنّ ذلك من التوفيق والسَداد، وأعْرِضْ عن الجُهّال، واحْلُمْ عن السفهاء، فإنَّ ذلك فضل الحلماء وزين العلماء. إذا شَتَمَك الجاهلُ فاسْكُتْ عنه سلماً، وجانِبْه حَزْماً ... يا ابن عمران! لاتفتحنَّ باباً لاتَدْري ماغَلْقُه، ولاتَغْلِقَنَّ باباً لاتدري مافتحه. يا ابن‌عمران! من لاتنتهي عن الدنيا نَهْمَتُهُ، ولاتنقضي فيها رغبتُه كيف يكون عابداً؟ مَنْ يُحَقِّرُ حالَه ويتَّهم الله بما قضى له كيف يكون زاهداً؟ يا موسى! تَعَلَّمْ ما تَعَلَّمُ لِتَعْمَلَ به، ولا تَعَلَّمْه لِتُحَدِّثَ به، فيكون عليك بُوره، ويكون على غيرك نُوره».[١]

ومن كلام عيسى عليه السلام: «... إنَّكم علماء السُّوء، الأجرَ تأخذون والعمل تُضَيِّعُونَ؟ يُوشكُ ربُّ العمل أنْ يَطْلُبَ عَمَلَه، وتُوشكُونَ أن تَخْرُجُوا من الدنيا العريضة إلى ظلمة القبر وضيقه. اللهُ تعالى نهاكم عن الخطايا كما أمَرَكم بالصيام والصلاة. كيف يكون من أهل العلم مَنْ سَخِطَ رزقَه واحتَقَرَ منزلَتَه؟! وقد عَلِمَ أنَّ ذلك من عِلْم الله وقدرته؟! كيف يكون من أهل العلم من اتَّهَمَ الله فيما قَضَى له، فليس يَرْضَى شيئاً أصابه؟! كيف يكون من أهل العلم من دنياه عنده آثَرُ من آخرته، وهو مُقبل على دنياه، ومايَضُرُّه أحبُّ إليه مما يَنْفَعُه؟! كيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليُخْبِرَ به، ولايطلب لِيَعْمَلَ به؟!».[٢]

ومن كلامه صلوات الله عليه: «وَيْلٌ لِعُلَماءِ السُّوءِ تُصْلى عَلَيهم النّارُ».[٣]

ثم اعلم أنّ هذه الدرجة ـ وهي درجة الإخلاص ـ عظيمةُ المقدار كثيرة الأخطار دقيقةُ المعنى صَعْبَةُ المرْتَقىٰ، يَحْتاجُ طالِبُها إلى نظر دقيق، وفكر صحيح،

---

١. مجمع الزوائد، ج ١، ص ١٣٠.

٢. سنن الدّارمي، ج ١، ص ١٠٣.

٣. الكافي، ج ١، ص ٤٧. والتعبير فيه هكذا: «ويلٌ للعلماء السُّوء كيف تلظّى عليهم النار».

ومجاهَدَةٍ تامَّة. وكيف لايكون كذلك، وهو مدار القبول، وعليه يَتَرَتَّبُ الثوابُ، وبه تَظْهَرُ ثَمَرةُ عبادةِ العابد، وَتَعَبِ العالم، وجِدِّ المجاهد.

ولو فَكَّرَ الإنسان في نفسه، وفَتَشَ عن حقيقة عمله لَوَجَد الإخلاص فيه قليلاً، وشوائِبَ الفَساد إليه متوجّهةً، والقواطِعَ عليه مُتَراكمةً، سيما المتَّصِفِ بالعلم وطالبِه، فإنّ الباعثَ الأكثري ـ سيما في الابتداء لباغي العلم ـ طلبُ الجاه والمال والشهرة، وانتشار الصيْت، ولَذَّة الاستيلاء، والفرح بالاستتباع، واستثارة الحمد والثناء.

وأمرُ هذه المقاصد يَتَبَيَّنُ عند ظهور أحدٍ من الأقران أكثر علماً منه وأحسن حالاً، بحيث يصْرفُ الناسَ عنه. فلينظر حينئذ: فإن كان حالُه مع المُوَقِّرِ له، والمعْتَقِدِ لفضله أحسن، وهو له أكثر احتراماً، وبلقائه أشدُّ استبشاراً ممّن يميل إلى غيره مع كون ذلك الغير مُسْتَحِقّاً للموالاة؛ فهو مغرور، وعن دينه مخدوع. وربما انتهى الأمر بأهل العلم إلى أن يتغايروا تغايُرَ النساء فَيَشُقُّ على أحدهم أن يَخْتَلِفَ بعضُ تلامذته إلى غيره وإن كان يعلم أنه منتفع به ومستفيد منه في دينه.

وهذا رشح الصفات المُهلِكة المستَكِنَّة في سرِّ القلب الّتي يظُنُّ العالمُ النجاةَ منها، وهو مغرور في ذلك، وإنّما ينكشف بهذه العلامات ونحوها.

وربما يَلْبِسُ على هؤلاءِ الشيطانُ، ويقول لهم: غَرَضُكم نشر دين الله، والنِضال عن الشرع الذي شَرَعَه رسول الله ﷺ. ولو كان الباعث له على العلم هو الدين لكان إذا ظهر غيره مُسْتَبِدّاً أو معيناً على التعليم لشكر الله تعالى إذ كفاه أوأعانه على هذا المهمّ بغيره، وكَثَّرَ أوتادَ الأرض، ومُرْشِدي الخلقِ، ومُعَلِّمِيهِمْ دينَ الله تعالى ومحيي سنن المرسلين.

وقد يَنْخَدِعُ بعضُ أهل العلم ـ غَيْرِ المبتلىٰ بمثلِ ماسبَق ـ بغرور الشيطان، ويُحَدِّثُ نَفْسَه بأنّه لو ظهر مَنْ هو أولى منه لَفَرِحَ به. وإخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة

والامتحان غرور. فإنّ النفسَ سَهْلَةُ القياد في الوعد، ثمَّ إذا دهاه الأمر تَغَيَّرَ ورجع ولم يَفِ إلّا من عصمه الله تعالى، لايَعْرِفُ ذلك إلّا من عرف مُكايَدَة النفس وطال اشتغاله بامتحانها.

ومنْ أحسَّ في نفسه بهذه الصفات المهلكة، فالواجب عليه طلبُ عِلاجها من أرباب القلوب، فإن لم يجدهم، فمن كُتُبِهم المُصَنّفةِ في ذلك. وإنْ كان كلا الأمرين قد امتحىٰ أثرُه، وذَهَبَ مُخْبِرُه، ولم يَبْقَ إلّا خبره، يَسْأَل الله المعونةَ والتوفيقَ. فإنْ عجز عن ذلك، فالواجب عليه الانفراد والعُزلة، وطلب الخمول والمدافعة مهما سُئِلَ.

وربَّما يأتيه الشيطانُ هنا من وجه آخر، ويقول: هذا الباب لوفُتِحَ لاندرستِ العلوم، وخرب الدين من بين الخلق، لقلّة الملتفتِ إلى الشرائط والمتَلَبِّسِ بالإخلاص، مع أنَّ عمارة الدين مع أعظم الطاعات. فليُجِبْه حينئذ بأنَّ دين الإسلام لايندرس بسبب ذلك مادام الشيطان يُحَبِّبُ إلى الخلق الرئاسةَ، و حيثُ لايَفْتُرُ هو عن عمله إلى يوم القيامة، فلايزالُ ينتهض لنشر العلم أقوام لانصيبَ لهم في الآخرة، كما قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله يُؤَيِّد هذا الدين بأقوامٍ لاخَلاقَ لَهُمْ»**.[1] وقالَ ﷺ: **«إنَّ الله يُؤَيِّدُ هذا الدِّينَ بالرَّجُلِ الفاجِر»**.[2]

فلاينبغي لِلْعالِم أن يغترَّ بهذه التلبيسات، فيشتغلَ بمخالطة الخلق حتى يَترَبَّىٰ في قلبه حُبُّ الجاه والثناء والتعظيم، فإنَّ ذلك بذرُ النفاق؛ وقال ﷺ: **«حُبُّ الجاهِ والمالِ يُنْبِتُ النِفاقَ في القلب كما يُنْبِتُ الماءُ البقلَ»**.[3] وقال ﷺ: **«ما ذِئْبان ضارِيان أُرْسِلا في**

---

١. الكافي، ج ٥، ص ١٩، (كتاب الجهاد).

٢. إحياء علوم الدّين، ج ١، ص ٤٣.

٣. نفس المصدر، ج ٣، ص ٢٠٠.

زريبة غنم بأكثرَ فساداً فيها من حبِّ الجاه والمال في دينِ المرءِ المسلِمِ».[١]

فَلْيَكُنْ فكره في التفطُّنِ لخفايا هذه الصفات من قلبه، وفي استنباط طريق الخلاص منها، فإنَّ الفتنة والضرر بهذه الصفات من العالم والمتعلم أعظم منها في غيره بمراحلَ، لأنَّه مُقْتَدى به فيما يأتي ويذر، فيقول الجاهلُ: لو كان ذلك مذموماً لكان العلماء أولى باجتنابه منّا، فيتلَبَّسُونَ بهذه الأخلاق الذميمة. إلّا أنَّ بين الذنبين بوناً بعيداً. فإنّ الجاهلَ يأتي يومَ القيامة بذنبه، والعالم يأتي بذنبه الذي فَعَلَه وذنب من تَأَسّىٰ به واقتدىٰ بطريقته إلى يوم القيامة، كما ورد في الأخبار الصحيحة.[٢]

وبالجملة، فمعرفة حقيقة الإخلاص والعمل به بحرٌ عميق يغرق فيه الجميعُ إلّا الشاذَّ النادر المستثنىٰ في قوله تعالى: ﴿إلّا عِبادَكَ مِنْهُمُ المخْلَصِينَ﴾.[٣] فليكن العبدُ شديد التفقُّدِ والمراقبة لهذه الدقائق، وإلّا التحَقَ بأتباع الشياطين وهو لايَشْعُر.[٤]

الأمر الثّاني: استعمال مايعلَمُه كُلٌّ منهما شيئاً فشيئاً، فإنَّ العاقِلَ هَمُّهُ الرعاية، والجاهلَ هَمُّه الرواية، وقد رُوِيَ عن عليٍّ عليه السلام أنّه قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: العلماء رجلان: رجلٌ عالمٌ آخِذٌ بعلمه، فهذا ناجٍ، وعالمٌ تاركٌ لعلمه، فهذا هالك. وإنّ أهل النار لَيَتأَذَّوْنَ من ريح العالِم التارِكِ لعلمه. وإنَّ أشدَّ أهلِ النارِ ندامةً وحسرةً رجل دعا عبداً إلى الله تبارك وتَعالىٰ فاستجابَ له وقَبِلَ منه، فأطاعَ الله فأدخلَه الجنَّةَ، وأدخل الداعِيَ النارَ بتركه علمَه، واتِّبَاعِه

---

١. نفس المصدر.

٢. تحف العقول، ص٢١٧، عن أبي جعفر عليه السلام.

٣. الحجر/ ٤٠.

٤. لاحظ الأدبَ الخامس من آداب المعلّم في نفسه والأوّلَ من آدابه مع طلبته.

الهوى وطول الأمل؛ أمّا اتّباعُ الهوى فَيَصُدُّ عن الحق وطولُ الأمل يُنْسي الآخرةَ».[١]

وعن أبي‌عبدالله عليه‌السلام قال: «إنَّ العالِمَ إذا لم‌يَعْمَلْ بعلمه زَلَّتْ موعظتُه عن القلوب كما يزِلُّ المطرُ عن الصَّفا».[٢]

وجاء رجل إلى عليِّ بن الحسين عليهما‌السلام فسأله عن مسائل فأجابَ، ثُمَّ عادَ لِيَسْأَلَ مثلَها فقال عليُّ بن الحسين عليهما‌السلام: «مكتوب في *الإنجيل*: لاتَطْلُبُوا علمَ مالاتعلمون ولمّا تَعْمَلُوا بما عَلِمْتُم، فإنَّ العلمَ إذا لم‌يُعْمَل به لَمْ‌يَزِدْ صاحبَه إلّاكفراً، ولم‌يَزْدَدْ مِنَ الله إلّا بُعداً».[٣]

وسَأَل المفضَّلُ بنُ عُمَرَ أبا عبدالله عليه‌السلام فقال: بِمَ يُعْرَفُ الناجي؟ قال عليه‌السلام: «من‌كان فعلُه لقوله موافقاً فأُثْبِتْ له الشهادةَ، ومن لم‌يكن فعله لقوله موافقاً، فإنّما ذلِكَ مُسْتَوْدَعٌ».[٤]

وقال أميرالمؤمنين عليه‌السلام في كلام له خَطَبَه على المنبر: «أيُّهَاالنـاسُ إذا عَـلِمْتُم فَاعْمَلوا بِما عَلِمْتُم لعلَّكُم تَهْتَدُون، إنَّ العالِمَ العامِلَ بغيرِه كالجاهلِ الحائرِ الَّذي لايستفيقُ عن جَهْلِه، بل قد رأيتُ أنّ الحُجَّةَ عليه أعظمُ، والحسرةَ أدومُ على هذا العالمِ المنْسَلِخِ من علمه منها على هذا الجاهل المتحيِّرِ في جهله، وكلاهما حائرٌ بائر..».[٥]

وعن أبي‌عبدالله عليه‌السلام قال: «جاء رجل إلى النبيِّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فقال: يا رسول الله ما العلم؟ فقال: الإنصات. قال: ثُمَّ مَهْ يا رسول الله؟ قال: الاستماع. قال: ثُمّ مَهْ؟ قال: الحفظ. قال: ثمّ مَهْ يا رسول الله؟ قال: العمل به. قال: ثم مه يا رسول الله؟ قال: نَشْرُهُ».[٦]

---

١. الكافي، ج ١، ص ٤٤.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. الكافي، ج ١، ص ٤٥.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر، ص٤٨.

ورَوى أبوبصير عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال: «قال أميرالمؤمنين عليه السلام: يا طالب العلم إنّ العلم ذو فضائلَ كثيرةٍ، فرأسُه التّواضعُ، وعينُه البراءةُ من الحسد، وأُذُنه الفهمُ، ولسانه الصِّدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النّيّة، وعقله معرفة الأسباب والأُمور، ويده الرَّحمة، ورجله زيارة العلماء، وهمّته السَّلامة، وحكمته الورَع، ومستقرُّه النّجاة، وقائده العافية، ومركبه الوفاء، وسِلاحه لِين الكلمة، وسيفه الرِّضى، وقوسه المداراة، وجيشه محاورة العلماء، وماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذّنوب، ورداؤه المعروف، ومأواه الموادعة، ودليله الهدى، ورفيقه محبّةُ الأخيار».[1]

وفي حديث عُنوان البصريّ الطَّويل عن الصّادق عليه السلام: «ليس العلمُ بكثرة التَّعلُّم، إنَّما هو نورٌ يقع في قلب من يُريد الله أن يهديَه، فإذا أردتَ العلم فاطلُبْ أوّلاً في نفسِك حقيقةَ العبوديَّة، واطلُب العلمَ باستعمالِه، واستَفْهِمِ اللهَ يُفْهِمْكَ».[2]

و اعلم أنّ العلم بمنزلة الشجرة، والعمل بمنزلة الثمرة، والغرض من الشجرة المثمرة ليس إلّا ثمرتُها. وانّما كان الغرض الذاتيُّ من العلم مطلقاً العمل، لأنّ العلوم كلَّها ترجع إلى أمرين: علم معاملة، وعلم معرفة. فعلم المعاملة هو معرفة الحلال والحرام ونظائرهما من الأحكام، ومعرفة أخلاق النفس المذمومة والمحمودة، وكيفية علاجها والفرار منها. وعلم المعرفة كالعلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه. وماعداهما من العلوم إمّا آلات لهذين أو يراد بها عمل من الأعمال في الجملة، كما لايخفى على من تَتَبَّعَها.

ثُمَّ إنَّ علومَ المعامَلةِ لاتُرادإلّا للعمل بِها، بل لولا العملُ لم تكن لها قيمة، قال الله

---

١. نفس المصدر.

٢. بحارالأنوار، ج ١، ص ٢٢٤.

تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّيٰها﴾،[١] ولم يقل: قد أفلح من تَعَلَّمَ كيفيَّةَ تزكِيَتِها وَكَتَبَ عِلْمَها وَعَلَّمَها الناسَ.

وأمّا علم المعرفة بالله تعالى وما يَتَوَقَّفُ عليه من العلوم العقليّة، فَمَثَلُ العالِم به المهْمِلِ للعملِ المضيِّعِ لأمر الله تعالى وحدودِه مَثَلُ من أراد خدمة مَلِكٍ فَعَرَفَ الملكَ وعرف أخلاقَه وأوصافَه وعادتَه ومجلسه، ولم يَتَعَرَّفْ مايُحِبُّه ويَكْرَهُه ويَغْضَبُ به، وعاطلَ عن جميع مايُحِبُّه من زِيٍّ وهَيْأةٍ وحركةٍ وسكون. فَوَرَدَ على المِلكِ وهو يُريدُ التَقَرُّبَ منه والاختصاص به، مُتَلَطِّخاً بجميع مايَكْرَهُه الملكُ عاطلاً عن جميع مايُحِبُّه، متوسِّلاً إليه بمعرفته له ولنسبِهِ واسمِهِ وبلدِه وشكلِه وصورته وعادته في سياسة غلمانه ومعاملة رَعِيَّتِه.

بل هذا مثال العالم بالقسمين معاً، التارك لما يَعْرِفُه وهو عين الغرور. فلو ترك هذا العالم جميع ماعَرَفَه، واشتغل بأدنى معرفته وبمعرفة مايُحِبُّه ويَكْرَهُه، لكان ذلك أقرب إلى نيله المراد من قربِه والاختصاص به. بل تقصيرُه في العمل، واتِّباعُه للشهوات يَدُلُّ على أنّه لم ينكشفْ له من المعرفة إلّا الأسامي دون المعاني، إذ لو عرف الله حقَّ معرفتِه لَخَشِيَه واتَّقاه، كما نَبَّهَ اللهُ عليه بقوله: ﴿إنّما يَخْشَى اللهَ مَنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ﴾.[٢]

ولا يُتَصَوَّرُ أنْ يَعرِفَ الأسدَ عاقلٌ، ثمَّ لا يَتَّقِيه ولا يخافه، وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: «خَفْني كما تَخافُ السَّبُعَ الضاري».[٣] نعم من يعرف من الأسد لونَه وشَكْلَه واسمَه قد لا يخافه، ولكنّهُ كمن لا يعرِفُ الأسدَ أصلاً. وفي فاتحة *الزَّبور*: «رأسُ الحِكْمَةِ

---

١. الشّمس/٩.

٢. فاطر/٢٨.

٣. إحياء علوم الدّين، ج٣، ص٣٣٥.

خَشْيَةُ اللهِ تعالى».[١]

ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن ازْدادَ عِلْماً، وَلَمْ يَزْدَدْ هُدىً لَمْيَزْدَدْ مِنَ الله إلّا بُعداً».[٢]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يُلْقَى العالِمُ في النّار فَتَنْدَلِقُ أقْتابُه، فَيَدُورُ بها كما يَدُورُ الْحِمارُ في الرَّحا».[٣]

وقال عليه السلام: «شَرُّ النّاسِ الْعُلَماءُ السُّوء».[٤]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّ أشَدَّ النّاسِ عذاباً يومَ القيامةِ عالمٌ لميَنْفَعْهُ الله بِعِلْمِهِ».[٥]

فهذا وأمثاله ممّا قد أسلفناه أكثر من أن يحصى. والذي أخْبَرَ بفضيلة العلم هو الذي اخبر بِذَمِّ العلماء المقصِّرِينَ في العمل بعلمهم، وأنّ حالهم عند الله أشَدُّ من حال الجُهّال، ﴿ أفَتُؤْمِنُونَ بِبِعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبِعْضٍ ﴾.[٦]

وللعالم في تقصيره في العمل بعد أخذه بظواهر الشريعة ضروبٌ كثيرة؛ لأنَّ الأعمالَ الواجبةَ عليه غير منحصرة فضلاً عن غير الواجبة. بل من الخارج عن الأبواب التي رَتَّبَها الفقهاء ما هو أهمُّ ومعرفته أوجب، وهو تطهير النفس عن الرذائل الخُلقيَّةمن الكبر والرئاء والحسد والحقد وغيرها من الرذائل المهلكات ممّا هو مُقَرَّرٌ في علوم تَخْتصُّ به. وكذا حِراسة اللّسان عن الغيبة والنميمة وكلامِ ذي اللّسانين وذكر عيوب المسلمين وغيرها. وكذا القول في سائر الجوارح؛ فإنَّ لها أحكاماً تَخُصُّها

---

١. نفس المصدر.

٢. بحارالأنوار، ج٢، ص٣٧.

٣. إحياء علوم الدّين، ج٣، ص ٣٣٤.

٤. نفس المصدر.

٥. كنزالعمّال، ج ١٠، ص٢٠٨، الحديث ٢٩٠٩٩.

٦. البقرة/٨٥.

وذنوباً مقرَّرَةً في محالّها، لابدَّ لِكلِّ أحدٍ من تَعَلُّمِها وامتثال حكمها، وهي تكليفاتٌ لاتوجد في كتاب البيوع والإجارات وغيرها من كتب الفقه، بل لابدَّ من الرجوع فيها إلى علماء الحقيقة العاملين، وكُتُبِهم المدَوَّنَةِ في ذلك. وما أعْظَمَ اغترارَ العالمِ بالعلوم الرَّسميَّةِ، الغافلِ لإصلاحِ نفسِه وإرضاءِ رَبِّه تبارك وتعالى!.

ومثالُ مَن هذا شأنُه، مثالُ المريض إذا تَعَلَّمَ نُسخةَ الدَّواء واشتغل بِتَكراره وتعليمه، لا بل مثالُه مثالُ رجلٍ به علّة البِرْسام مثلاً وهو مُشرِفٌ على الهَلاك، محتاج إلى تعلُّم الدواء واستعماله، فاشتغل بتَعَلُّمِ دواءِ الاستحاضة وتكرارِه ليلاً ونهاراً، مع علمه بأنّه رجل لايَحِيضُ ولايَسْتَحِيضُ، ولكنَّه يقول: ربّما تقع علّة الاستحاضة لامرأةٍ وتسألني عنه؛ وذلك غاية الغرور، حيث ترك تَعَلُّمَ الدواء النافع لعلَّته مع استعماله، واشتغل بما ذكرناه. وكذلك المتَفَقِّهُ الَّذى تَسَلَّطَ عليه اتّباعُ الشهوات والإخلادُ إلى الأرض والحسدُ والرئاءُ والغضبُ والبغضاءُ والعُجْبُ بالأعمال التي يَظُنُّها من الصالحات ولوفَتَشَ عن باطنها وجدها من المعاصي الواضحات. فَلْيَلْتَفِتْ هذا المسكينُ إلى قولهﷺ: «**أدنى الرِّئاءِ شِرْكٌ**»،[1]

وإلى قولهﷺ: «**لايَدْخُلُ الجَنَّةَ من في قلبه مثقالُ ذَرَّةٍ من كبرٍ**»،[2]

وإلى قولهﷺ: «**الحَسَدُ يأكلُ الحسناتِ كما تَأْكُلُ النارُ الحطبَ**»،[3]

وإلى قولهﷺ: «**حُبُّ المال والشَرَفِ يُنْبِتانِ النِّفاقَ كما يُنْبِتُ الماءُ البَقْلَ**».[4]

وغايةُ أمرِ تلك العلوم ـ إذا قُصِدَ بها وجهُ الله تعالى العظيم وثوابُه الجسيم ـ أنَّها

---

١. إحياء علوم الدّين، ج ٣، ص ٣٣٥.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

فرض كفايةٍ، ومرتبةُ فرضِ الكفاية بعدَ تحصيلِ فرضِ العين. فلو كان غرضُ هذا الفقيهِ وجهَ الله تعالى، لاشتغل في ترتيب العلوم بالأهمِّ فالأهمّ، والأنفعِ فالأنفع؛ فهو إمّا غافل مغرور، وإمّا مُراءٍ في دينه مخدوع، طالب للرئاسة والاستعلاء والجاه والمال؛ فيجب عليه التنبُّهُ لدواء علَّةِ نفسِه قبل أن تَقْوىٰ عليه وتُهْلِكَه.

ولْيَعْلَمْ مع ذلك أيضاً أنّ مُجَرَّدَ تَعَلُّم هذه المسائل المدَوَّنَةِ ليس هو الفقه عند الله تعالى، وإنّما الفقه عن الله[1] تعالى بإدراك جلاله وعظمته، وهو العلم الذي يُورِثُ الهيبةَ والخشوع، ويحملُ على التَّقوى، ويَسْتَشْعِرِ الخوفَ ويَسْتَثِير الحُزْنَ، كما نَبَّهَ الله تعالى عليه في كتابه بقوله: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا في الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إذا رَجَعُوا إلَيْهِمْ﴾.[2] فإنّ الذي يحصل به الإنذار غيرُ هذاالعلم المدَوَّنِ.

إنّما العلمُ المهمُّ هو معرفةُ سلوكِ الطريق إلى الله تعالى، وقطعِ عَقَباتِ القلب التي هي الصفات المذمومة، وهي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى. ومِنْ ثَمَّ عُدَّ العلم موجباً للخشية، بل الخشيةُ منحصرةً في العالِم كما نَبَّهَ عليه تعالى بقوله: ﴿إنّما يَخْشَى اللهَ مَنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ﴾.[3]

ومثالُ هذا الفقيه في الاقتصار على علم الفقه المتعارف، مثالُ من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خَرْز الرّاوِيَةِ والخُفِّ، ولاشكَّ أنّه لو لم يكن لَتَعَطَّلَ الحَجُّ، ولكنّ المقتصرَ عليه ليس من الحاجِّ في شيء. كذلك هذا الرجل لو لم يَتَعَلَّم هذه العلوم لَتَعَطَّلَتْ معرفةُ الأحكام، إلّا أنّها ليست المُنجِيَةَ بنفسها ـ كما حَرَّرْناه ـ بل هي مُقَدِّمَةٌ

---

١. في بعض النسخ «عندالله» بدل «عن الله».

٢. التوبة/١٢٢.

٣. فاطر/٢٨.

للمقصد الذاتيّ.

ومثالُ هؤلاء الفقهاء مثالُ مَلِكٍ اتَّخَذَ عبيداً، وأمَرَهم بدخلولِ داره والاشتغالِ بخدمته وتكميلِ نفوسِهم فيما يُوجِبُ الزُّلْفىٰ لَدىٰ حضرته واجتنابِ مايُبَعِّدُ من جهته؛ فلمّا أدخلَهُم دارَه لِيشتغلوا بما أَمَرَهم به أخَذُوا ينظرون إلى جُدْرانِ داره وأرضِها وَسَقْفِها حتّى صَرَفُوا عُمْرَهم في ذلك النظر وماتوا، ولمِيَعْرِفُوا ماأرادَ منهم في تلك الدار؛ فكيف ترى حالهم عند سَيِّدهم المنعِم عليهم المسْدي جليلَ إحسانه إليهم مع هذا الإهمال العظيم لطاعته، بل الانهماك الفظيع في معصيته؟!

واعلم أنّ مثالَ هؤلاءِ أجمعَ مثالُ بيتٍ مُظْلِمٍ باطنُهُ، وُضِعَ السِّراجُ على سطحِه حتّى استنار ظاهرُه؛ بل مثالُ بئرِ الْحُشِّ[١]، ظاهرها جَصٌّ، وباطنها نَتْنٌ؛ أو كقُبُورِ الموتى ظاهرُها مُزَيَّنَةٌ وباطنُها جِيفَةٌ؛ وكمثالِ رجلٍ قصد ضِيافةَ الملكِ إلى دارِه فَجَصَّصَ بابَ دارِه، وترك المزابِلَ في صدر الدّار، وهذا كلُّه غرورٌ واضحٌ جَلِيٌّ. بل أقربُ مثالٍ إليه: رجلٌ زَرَع زَرْعاً فَنَبَتَ، ونَبَتَ معه حَشِيشٌ يُفْسِدُه، فأُمِرَ بتنقية الزرع عن الحشيش بِقَلْعِهِ من أصله، فأَخَذَ يَجُزُّ رأسَه ويَقْطَعُه، فلايزال يَقْوىٰ أصلُه وَيَنْبُتُ؛ لأنّ مَغارِسَ النقائصِ ومَنابِتَ الرذائلِ هي الأخلاق الذميمة في القلب، فمن لايُطَهِّرُ القلبَ منها لاتَتِمُّ له الطاعاتُ الظاهرة إلّا مع الآفات الكثيرة. بل كمريض ظَهَرَ به الجَرَبُ، وقد أُمِرَ بِالطِّلاءِ وشُرْبِ الدواء؛ أمّا الطِّلاء لِيُزِيلَ ما على ظاهره، والدواء لِيقْلَعَ مادَّتَه من باطنه، فَقَنَعَ بالطِّلاء وتَرَكَ الدَّواءَ، وَبَقِيَ يتناولُ مايَزِيدُ في المادَّة، فلايزال يَطْلي الظاهِرَ، والجَرَبُ دائماً يتزايد في الباطن إلى أنْ أهْلَكَه.

نَسْأَلُ اللهَ تعالى أنْ يُصْلِحَنا لأنفسنا، ويُبَصِّرَنا بعيوبنا، ويَنْفَعَنا بما عَلِمْنا ولايَجْعَلَه

---

١. الحُشّ: موضع قضاء الحاجة.

حُجَّةً علينا؛ فإنَّ ذلك بيده وهو أرحم الرّاحمين.

الأمر الثّالث: ممّا يلزم كلَّ واحد منهما ـ بعد تطهير نفسه من الرذائلِ المذكورة وغيرها ـ توجيهُ نفسِهِ إلى الله تعالى والاعتماد عليه في أُموره، وتَلَقِّي الفيض الإلهي من عنده، فإنَّ العلم ـ كما تَقَدَّمَ من كلام الصادق عليه السلام ـ ليس بكثرة التعلُّمِ، وإنّما هو نورٌ من الله تعالى يُنْزِلُه على من يُريد أنْ يَهدِيَه. وأنْ يتوَكَّلَ عليه ويُفَوِّضَ أمَره إليه، ولايعتمدَ على الأسباب فَيُوكَلَ إليها وتكونَ وبالاً عليه، ولا على أحد من الخلق؛ بل يُلْقي مَقالِيدَ أمره إلى الله تعالى في أمرِه ورزقِه وغيرِهما حتّى يَظهرَعليه من نَفَحاتِ قُدْسِه ولَحَظاتِ أُنسِهِ مايقُوم به أوَدُه، ويَحْصُلُ به مَطْلَبُه، ويَصْلُحُ به أمرُه.

واعلَم أن قد ورد في الحديث عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**أنَّ اللهَ تعالى قد تَكَفَّلَ لطـالبِ العلم برزقِهِ خاصَّةً عمَّا ضَمِنَه لغيره**».[١] بمعنى أنّ غيرَه يحتاج إلى السعي على الرزق حتّى يَحْصُلَ غالباً، وطالب العلم لايُكَلَّفُه، وكفاه الله مؤونةَ الرزقِ إنْ أحسنَ النـيَّةَ وأخْلَصَ العَزِيمةَ. وعندي في ذلك من الوقائع والدقائقِ ما لوجمعتُه بَلَغَ مايعلمه الله من حسنِ صُنعِ الله تعالى بي وجميلِ معونَتِهِ عليَّ منذُ اشتغلتُ بالعلم، وهو مبادئ عَشر الثّلاثين وتسع مائة إلى يومي هذا وهو مُنْتَصفُ شـهرِ رمـضان سـنةَ ثـلاثٍ وخمسين وتسع مائة، وليس الخبر كالعِيان.

ورَوى شيخُنا المتقدِّمُ محمّدُ بنُ يعقوبَ الكُلينيّ ـ قَدَّسَ الله رُوحَه ـ بإسناده إلى الحسين بن عُلْوانَ قال: كُنّا في مجلسٍ نَطْلُبُ فيه العلمَ، وقد نَفِدَتْ نَفَقَتي في بعضِ الأسْفارِ، فقالَ لي بعضُ أصْحابِنا: مَنْ تُؤَمِّلُ لِما قَدْ نَزَلَ بكَ؟ فقلتُ: فُلاناً. فقال: إذَنْ

---

١. كنزالعمّال، ج ١٠، ص ١٣٩، الحديث ٢٨٧٠١.

واللهِ لاتُسْعَفُ حاجتُك، ولايَبْلُغُكَ أمَلُكَ، ولاتُنْجَحُ طَلِبَتُكَ. قلتُ: وماعلمُكَ رَحِمَكَ اللهُ؟ قال: إنّ أبا عبدِالله عليه السلام حَدَّثني أنّه قرأ في بعض الكُتُبِ: «أنّ الله تبارك وتعالى يقولُ: وَعِزَّتي وَجَلالي وَمَجْدي وَارْتِفاعي علىٰ عَرْشي لَأَقْطَعَنَّ أمَلَ كُلِّ مُؤَمِّلٍ غَيْري بِاليأسِ، وَلأَكْسُوَنَّهُ ثَوْبَ المَذَلَّةِ عِنْدَ النَّاسِ، وَلأُنَحِّيَنَّهُ مِنْ قُرْبي، ولَأُبْعِدَنَّهُ مِنْ وَصْلي، أيُؤَمِّلُ غَيْري في الشَّدائِدِ، والشَّدائِدُ بِيَدي؟! ويَرْجُو غَيْري وَيَقْرَعُ بِالْفِكْرِ بابَ غَيْري وبِيَدي مَفاتِيحُ الأبْوابِ وَهِيَ مُغْلَقَةٌ، وَبابي مَفْتُوحٌ لِمَنْ دَعاني؟! فَمَنِ الَّذي أمَّلَني لِنَوائِبِهِ فَقَطَعْتُهُ دُونَها؟ وَمَنِ الَّذي رَجاني لِعَظِيمَةٍ فَقَطَعْتُ رَجاءَهُ مِنِّي؟ جَعَلْتُ آمالَ عِبادي عِنْدي محفوظةً، فَلَمْ يَرْضَوْا بِحِفْظي، وَمَلَأْتُ سَماواتي مِمَّنْ لايَملُّ من تَسْبيحي، وأمَرْتُهُمْ أن لايُغْلِقُوا الأبوابَ بَيْني وبينَ عِبادي، فلَمْ يَثِقُوا بقولي. ألَمْ يَعْلَمْ مَنْ طَرَقَتْهُ نائِبَةٌ مِنْ نَوائِبي أنَّه لايَمْلِكُ كَشْفَها أحدٌ غَيْري إلّا مِنْ بَعْدِ إذْني؟! فَمالي أراهُ لاهِياً عنِّي؟ أعْطَيْتُه بِجُودي ما لمَ يَسْألْني، ثُمَّ انْتَزَعْتُه عنه، فلَمْ يَسْألْني رَدَّهُ، وَسَألَ غَيْري! أفَيَراني أبداً بالْعَطاءِ قبل المسْألَةِ، ثمَّ أُسْألُ فَلاأُجِيبُ سائِلي؟! أبَخِيلٌ أنا فَيُبَخِّلُني عَبْدي؟! أوَلَيْسَ الْجُودُ والْكَرَمُ لي؟ أوَلَيْسَ الْعَفْوُ وَالرَّحْمَةُ بِيَدي؟ أوَلَيْسَ أنَا مَحَلّ الآمالِ؟ فَمَنْ يَقْطَعُها دُوني؟ أفَلايَخْشَى المؤَمِّلُونَ أنْ يُؤَمِّلُوا غَيْري؟ فَلَوْ أنّ أهْلَ سَماواتي وَأهْلَ أرْضي أمَّلُوا جَمِيعاً، ثُمَّ أعْطَيْتُ كُلَّ واحِدٍ مِنْهُمْ مِثْلَ ماأمَّلَ الْجَمِيع مَاانْتَقَصَ مِنْ مُلْكي مِثْلُ عُضْوِ ذَرَّةٍ، وَكَيْفَ يَنْقُصُ مُلْكٌ أنا قَيِّمُهُ؟ فَيابُؤْساً لِلْقانِطِينَ مِنْ رَحْمَتي، وَيابُؤْساً لِمَنْ عَصاني وَلَمْ يُراقِبْني».[1] ورواه الشيخ المبرور رحمة الله عليه بسندٍ آخرَ عن سَعِيدِ بنِ عبدِالرحمنِ، وفي آخره: فقلتُ: يا ابنَ رسولِ الله، أمْلِ عَلَيَّ، فأمْلاهُ عَلَيَّ، فقلتُ: لاوَاللهِ ماأسْألُه حاجةً بَعْدَها.[2]

---

١. الكافي، ج ٢، ص ٦٦.

٢. نفس المصدر، ص ٦٧.

أقول: ناهِيكَ بهذا الكلامِ الجليلِ الساطعِ نورُه من مطالع النُبُوَّةِ على أُفق الإمامةِ من الجانب القدسيَّ حاثّاً على التَّوَكُّلِ على الله تعالى، وتفويض الأمرِ إليه والاعتماد في جميع المهمّات عليه، فما عليه مزيدٌ من جوامع الكلام في هذا المقام.

الأمر الرّابع: حسنُ الخلق زيادةً على غيرهما من الناس، والتّواضعُ وتـمامُ الرِّفـق وبذلُ الوُسعِ في تكميلِ النَّفس. رَوى مُعاوِيَةُ بنُ وَهْبٍ قال: سِمِعْتُ أبـاعبدالله عليه السلام يقول: «أُطْلُبُوا العِلْمَ وَتَزَيَّنُوا مَعَهُ بِالْحِلْمِ والْـوَقارِ، وَتَـواضَـعُوا لِـمَنْ تُـعَلِّمُونَه الْـعِلْمَ، وَتَواضَعُوا لِمَنْ طَلَبْتُمْ مِنْهُ الْعِلْمَ، وَلاتكُونُوا عُلَماءَ جَبّارِينَ، فَيَذْهَبَ باطِلُكُمْ بِحَقِّكُمْ».[1]

وروي الحَلَبيُّ في الصَّحيح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال أميرالمؤمنين عليه السلام: ألا أُخبِرُكُمْ بالفقيهِ حَقِّ الْفَقِيهِ؟ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ الله، وَلَمْ يُؤَمِّنْهُمْ مِنْ عَذابِ الله، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ في مَعاصي الله، ولَمْ يَتْرُكِ الْقُرْآنَ رَغْبَةً عَنْهُ في غيره، ألا لاخَيْرَ في عِلْمٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّمٌ، ألا لاخَيْرَ في قِراءَةٍ لَيْسَ فِيها تَدَبُّرٌ، ألا لاخَيْرَ في عبادَةٍ لَيْسَ فِيها تَفَكُّرٌ».[2]

واعلم أنَّ المتَلَبِّسَ بالعلم منظورٌ إليه، ومُتَأَسّى بفعلِه وقوله وهيأته. وقد قـال بعض العارفين: إنّ عامَّةَ الناسِ أبداً دون المتَلَبِّسِ بالعلم بمرتَبَةٍ، فإذا كان العالِمُ وَرِعاً تَقِيّاً صالحاً تَلَبَّسَتِ العامَّةُ بالمُباحات، وإذا اشتغل بالمُباح تَلبَّسَتِ العامَّةُ بالشُّبَهاتِ، فإنْ دخل في الشُّبَهات تَعَلَّقَ العامِّيُّ بالحرام فإنْ تَناوَلَ الحرامَ كَفَرَ العامِّيُّ. وياليته إذا هلك، انقطع عمله وبَطَلَ وِزْرُهُ، لكنَّهُ باقٍ مابقي من تَأَسّىٰ به واسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ. وكـفى شاهداً على صدق هذه العِيانُ وعُدول الوِجْدانِ، فضلاً عن نقل الأعيان.

---

١. الكافي، ج ١، ص ٣٦.

٢. نفس المصدر.

الأمر الخامس: أن يكونَ عفيفَ النفس عاليَ الْهِمَّةِ مُنْقَبِضاً عن الملوك وأهل الدنيا، لايدخل إليهم طَمَعاً ماوَجَدَ إلى الفِرار منهم سبيلاً؛ صيانةً للعلم عمّا صانه السلف. فمن فعل ذلك، فقد عَرضَ نَفْسَه وخانَ أمانتَه، وكثيراً مايُثْمِرُ عدمَ الوصول إلى البُغْيَةِ، وإنْ وصل إلى بعضها لم‌يكن حالُه كحال المتَعَفِّفِ المنْقَبِضِ، وشاهِدُهُ مع النّقل الوجدانُ.

قال بعض الفضلاء لبعض الأبدال: مابالُ كُبَراءِ زَمانِنا ومُـلوكِها لايَـقْبَلُونَ مِـنّا ولايَجِدُونَ للعلم مقداراً، وقد كانوا في سالف الزمان بخلاف ذلك؟ فقال: إنّ علماءَ ذلك الزمان كان يأتيهم الملوكُ والأكابرُ وأهلُ الدنيا، فَيَبْذُلُونَ لهم دنياهم ويلتمسون منهم علمَهم، فيبالغون في دفعهم وردّ مِنَّتِهِمْ عنهم، فَصَغُرَتِ الدنيا في أعين أهـلها وعَظُمَ قدرُ العلم عندهم؛ نظراً منهم إلى أنَّ العلمَ لولا جلالتُه وَنفاسَتُه ما آثَرَه هؤلاءِ الفضلاءُ على الدّنيا، ولولا حَقارةُ الدنيا وانحطاطُها لَما تركوها رغبةً عنها. ولَمّا أقبلَ علماءُ زمانِنا على الملوك وأبناء الدنيا وبَذَلُوا لهم علمَهم التماساً لدنياهم، عَظُمَتِ الدنيا في أعينهم، وصَغُرَ العلمُ لديهم؛ لعين ماتَقَدَّمَ.

وقد سمعتَ جملةً من الأخبار في ذلك سابقاً، كقول النبيِّ ﷺ: **«الفُقَهاءُ أُمَناءُ الرُّسُلِ مالَمْ يَدْخُلُوا في الدُّنْيا. قيل: يا رسولَ الله! ومادُخُولُهم فـي الدنـيا، قـال: اتّـباعُ السُّلْطانِ، فإذا فَعَلُوا ذٰلِكَ فاحْذَرُوهُمْ عَلىٰ دِينِكُمْ»**، [1] وغيره من الأحاديث.

واعلم أنَّ القدرَ المذمومَ من ذلك ليس هو مجرَّدَ اتّباع السُّلطان كيف اتَّفَقَ، بل اتّباعه ليكون توطِئَةً ووسيلةً إلى ارتفاع الشأن والتَّرَفُّعِ على الأَقْران وعِظَمِ الجـاهِ والمقدار وحُبِّ الدنيا والرئاسةِ ونحو ذلك؛ أمّا لواتَّبَعَهُ ليجعَلَه وُصْلَةً إلى إقامةِ نظامِ

١. الكافي، ج ١، ص٤٦.

النَّوع وإعلاء كلمةِ الدِّين وترويجِ الحَقِّ وقَمْعِ أهلِ البِدَعِ والأمر بالمعروف والنهيِ عن المنكَر ونحوِ ذلك، فهو من أفضلِ الأعمال فضلاً عن كونه مُرَخَّصاً فيه؛ وبهذا يُجمَع بين ماورد من الذَّمِّ وماورد من الترخيص في ذلك، بل من فعلِ جماعةٍ من الأعيان كعليِّ بنِ يقطين وعبدالله النَّجاشيّ وأبي‌القاسم الحسين بن روح ـ أحد الأبواب الشّريفة ـ ومحمّدِ بنِ إسماعيلَ بنِ بَزِيع ونوحِ بنِ دَرّاجٍ وغيرهم من أصحاب الأئمة، ومن الفقهاء مثل السيِّدَين الأجلَّين المرتضى والرَّضيِّ وأبيهما والخواجه نصيرالدين الطوسيّ، والعلّامة بحرالعلوم جمال‌الدين ابن المطهَّر وغيرِهم.

واعلم أنّ هذا ثوابٌ كريم لكنَّه موضعُ خطرٍ وخيم وغرورٍ عظيم، فإنّ زَهْرَةَ الدُّنيا وحُبَّ الرئاسةِ والاستعلاء، إذا نَبَتا في قلبٍ غَطَّيا عليه كثيراً من طُرُقِ الصَّواب، والمقاصدِ الصَّحيحة الموجِبةِ للثَّوابِ، فلابُدَّ مِنَ التَّيَقُّظِ في هذا الباب.

الأمر السّادس: أن يُحافِظَ على القيام بشعائر الاسلام وظواهر الأحكام، كإقامة الصَّلَوات في مساجد الجماعات محافظاً على شريف الأوقات، وإفشاء السَّلام للخاصِّ والعامِّ مُبتدئاً ومُجيباً، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، والصَّبر على الأذى بسبب ذلك، صادعاً بالحقِّ باذلاً نفسَه لله لايخاف لومةَ لائم متأسِّياً في ذلك بالنَّبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وغيرِه من الأنبياء، متذكّراً مانزل بهم من المِحَنِ عند القيام بأوامرِ الله تعالى.

ولايرضىٰ من أفعاله الظاهرة والباطنة بالجائز، بل يأخذ نفسَه بأحسنِها وأكملها؛ فإنّ العلماءَ هُمُ القُدوةُ وإليهم المرجِعُ، وهم حُجَّة الله تعالى على العَوامِّ. وقد يُراقِبُهم للأخذِ منهُم من لاينظُرون إليه، ويَقْتَدي بهم من لايَعْلَمون به. وإذا لم‌ينتفع العالم بعلمه فغيره أبعد عن الانتفاع به، ولهذا عَظُمَتْ زَلَّةُ العالمِ لما يَتَرَتَّبُ عليها من المَفاسِدِ.

وليَتَخَلَّق بالمحاسنِ الَّتي ورد بها الشَّرعُ وحَثَّ عليها، والخِلالِ الحميدةِ والشِّيَمِ

المرْضِيَّةِ من السَّخاءِ والجود، وطَلاقةِ الوجهِ من غيرِ خروجٍ عن الاعتدال، وكـظمِ الغَيْظِ، وكفِّ الأذى واحتمالِه، والصَّبرِ والمروءَة، والتنَزُّهِ عن دنيٍّ الاكتساب، والإيثارِ وتركِ الاستيثار، والإنصافِ وتركِ الاستنصاف، وشكرِ الْمُفْضلِ، والسَّعيِ في قضاءِ الحاجات، وبذل الجـاه والشَّـفاعات، والتـلَطُّفِ بـالفقراء، والتَـحبُّبِ إلى الجـيرانِ والأقرِباء، والإحسانِ إلى ما مَلَكتِ الأيمانُ، ومجانَبَةِ الإكثار من الضِّحك والمزاحِ، والتزام الخوفِ والحزنِ والانكسارِ والإطراقِ والصَّمْتِ بحيث يَظْهَرُ أثرُ الخشيةِ على هَيْأَتِهِ وسيرتِهِ وحركتِهِ وسكونِهِ ونُطقِهِ وسكوتِه، وصارتْ صورتُه دليلاً على علمه بحيثُ لاينظُرُ اليه ناظر إلّا وكان نظرُه مُذَكِّراً لِلّه تعالى.

وعليه ملازمة الآداب الشرعيَّة القوليَّة والفعليَّة الظاهرة والخفيَّةِ، كتِلاوةِ القرآن متفَكِّراً في معانيه، ممتثلاً لأوامره منزجراً عند زواجره واقفاً عند وعـده ووعـيده قائماً بوظائفه وحدودِه؛ وذِكْرِ الله تعالى بالقلب واللسان، وكذلك ماورد من الدَعَوات والأذكار في آناءِ اللَّيل والنَّهار، ونـوافـل العـبادات مـن الصَّـلاة والصِّـيام وحـجِّ البيتالحرام؛ ولايقتصر من العبادات على مجرَّدِ العلم فَيَقْسُوَ قلبُه ويُظْلِمَ نورُه، كما تَقَدَّمَ التَّنبيه عليه.

وليُراعِ زيادةَ التَّنظيف بإزالة الأوساخ وقَصِّ الأظفارِ وإزالة الشُّعورِ المـطلوبِ زوالُها واجتنابِ الرَّوائحِ الكريهة وتسريح اللِّـحية، مـجتهداً فـي الاقـتداء بـالسنة الشريفة والأخلاق الحميدة المنيفة.

وليُطَهِّر نفسَه من مساوئ الأخلاق وذميم الأوصاف، من الحسد والرِّئاء والعُجْب واحتقار النّاس وإن كانوا دونه بدرجات، والغِلِّ والبَغْي والغَضَبِ لغـيرِ الله، والغِشِّ والبُخلِ والخُبْثِ والبَطَرِ والطَّمَعِ والفَخْرِ والخُيَلاءِ، والتَّنافسِ في الدُّنيا والمباهاةِ بها، والمداهَنَةِ والتزَيُّنِ للناس وحُبِّ المدحِ بما لميفعل، والعـمى عـن عـيوب النـفس

والاشتغال عنها بعيوب النّاس، والحميَّةِ والعصبيَّةِ لغير الله والرَّغبة والرَّهْبَة لغـيره، والغيبة والنَّميمة والبُهتان والكذب والفُحش في القول.

ولهذه الأوصاف تفصيل وأدوية وترغيب وترهيب، محَرَّرٌ في مواضِعَ تَخُصُّه؛ والغرض من ذكرها هنا تنبيه العالم والمتعلِّم على أُصولها، لِيَتَنَبَّهَ لها ارتكاباً واجتناباً على الجملة، وهي وإن اشتركتْ بين الجميع إلّا أنها بهما أولى، فلذلك جعلناها من وظائفهما؛ لأنّ العلم ـ كما قال بعض الأكابر [1] ـ عبادة القلب و عمارته وصلاة السِّرِّ، وكما لاتَصِحُّ الصَّلاةُ ـ الَّتي هي وظيفة الجوارح ـ إلّا بعد تطهيرها مـن الأحـداث والأخباث، فكذلك لاتصِحُّ عبادةُ الباطن إلّا بعد تطهيره من خبائث الأخلاق. ونورُ العلم لايَقْذِفُهُ الله تعالى في القلب المُنَجَّسِ بالكدورات النَّفسيّة والأخلاق الذَّميمة، كما قال الصَّادق عليه السلام: «**ليس العلم بكثرة التعلُّم، وإنّما هو نور يَقْذِفُه الله تعالى في قلب مَنْ يُرِيدُ الله أن يَهْدِيَه**».[2]

وبهذا يُعْلَمُ أنَّ العلمَ ليس هو مُجَرَّدَ استحضار المعلوماتِ الخاصَّة، وإن كانت هي العلمَ في العُرفِ العامّيِّ، وإنَّما هو النُّورُ المذكورُ النّاشئُ من ذلك العلمِ الموجِبِ للبصيرة والخَشْيةِ لِلّهِ تعالى، كما تَقَدَّم تقريرُه.

فهذه جملة من الوظائف المشتركَةِ بينهُما، وأكثرُها راجع إلى استعمال العلم إلّا أنّا أفْرَدْناها عنه اهتماماً بشأنِها وتنبيهاً على أُصولِ الفضائل.

---

١. هو الغزالي في إحياء علوم الدّين، ج ١، ص ٤٣.

٢. بحارالأنوار، ج ١، ص ٢٢٤ مع اختلاف يسير في التعبير.

القسم الثّاني: آدابهما في درسهما واشتغالهما

وهي أُمورٌ:

الأوّل: أن لايزال كلٌّ منهما مجتهداً في الاشتغال قراءةً ومطالعةً وتعليقاً ومباحثةً ومذاكرةً وفكراً وحفظاً وإقراءً[1] وغيرها، وأن تكون ملازمة الاشتغال بالعلم هي مطلوبَه ورأسَ ماله؛ فلايشتغلَ بغيره من الأُمور الدُّنيويّة مع الإمكان، وبدونه يقتصر منه على قدر الضَّرورة، وليكنْ هو أيضاً بعد قضاء وظيفته من العلم بحسب أوراده اليوميَّة. ومن هنا قيل: «أعطِ العلمَ كُلَّكَ يُعْطِك بعضَه».

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنَّ الله عَزَّ وجَلَّ يقول: تَذاكُرُ العِلْمِ بَيْنَ عِبادي مِمّا تَحْيا عليه القلوبُ الميِّتَةُ إذا هم انتَهَوْا فيه إلى أمْري».[2]

وعن الباقر عليه السلام: «رَحِمَ اللهُ عَبْداً أحْيا العِلْمَ. فقيل: وما إحْياؤُه؟ قال: أنْ يُذاكِرَ بِهِ أهلَ الدِّينِ وَالْوَرَعِ».[3]

وعنه عليه السلام: «تَذاكُرُ الْعِلْمِ دِراسةٌ، والدِّراسةُ صَلاةٌ حَسَنَةٌ».[4]

الثّاني: أنْ لايَسْأَلَ أحداً تَعَنُّتاً وتعجيزاً، بل سؤالَ متعلِّمٍ لِلّه أو مُعَلِّمٍ له مُنَبِّهٍ على الخير، قاصدٍ للإرشاد أو الاسترشاد، فهناك تظهر زُبدةُ التَّعليم والتَّعلُّمِ وتُثْمِرُ شجرتُه. فأمّا إذا قَصَدَ مُجَرَّدَ المِراءِ وَالجَدَلِ، وأحَبَّ ظهورَ الفَلْجِ والغَلَبة، فإنّ ذلك يُثْمِرُ في

---

١. أقرأ فلاناً: جعله يقرأ (المعجم الوسيط).

٢. الكافي، ج١، ص٤١.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر.

النَّفس مَلَكَةً رَدِيئَةً وَسَجِيَّةً خَبِيثَة، ومع ذلك يستوجب المقْتَ مِنَ الله تعالىٰ، وفيه مع ذلك عِدَّةُ مَعَاصٍ: كإيذاء المخاطبِ وتجهيلٍ له وطَعْنٍ فيه وثناءٍ على النفس وتزكيةٍ لها. وهذه كُلُّها ذُنُوبٌ مُؤَكَّدَةٌ وعيوبٌ منهيٌ عنها في محالِّها من السُّنَّة المطَهَّرَةِ؛ وهو مع ذلك مشوِّشٌ للعيش، فإنّك لاتُماري سفيهاً إلّا ويُؤْذِيك، ولاحليماً إلّا ويَقْليك. وقد أكَّدَ الله سبحانه على لسان نَبِيِّه وأئمَّته عليهم السلام تحريمَ المِراء؛ قال النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: «لاتُمارِ أخاكَ ولاتُمازِحْهُ، وَلا تَعِدْه مَوْعِداً فَتُخْلِفَه».[1]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ذَرُوا المِراءَ، فإنَّه لاتُفْهَمُ حكمتُه ولاتُؤْمَنُ فِتنتُه».[2]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لايَسْتَكْمِلُ عبدٌ حقيقةَ الإيمان حتّى يَدَعَ المراءَ وإن كان مُحِقّاً».[3]

وقال الصّادق عليه السلام: «المراء داءٌ دَوِيٌّ، وليسَ في الإنسان خَصْلَةٌ شَرٌّ منه، وهو خُلقُ إبليسَ ونسبتُه، فلايُماري في أيِّ حال كان إلّا من كان جاهلاً بنفسه وبغيره، محروماً من حقائق الدين».[4،5]

واعلم أنّ حقيقةَ المِراءِ الاعتراضُ على كلامِ الغير بإظهارِ خَلَلٍ فيه لفظاً أو معنًى أو قَصداً، لغير غرضٍ دينيٍّ أمَرَ الله به. وتركُ المراء يحصلُ بتركِ الإنكار والاعتراض بكلِّ كلام يسمعُه، فإنْ كان حقّاً وجب التَّصديقُ به بالقلب وإظهارُ صدقِه حيثُ يُطلَبُ منه، وإن كان باطلاً ولم‌يكن متعلِّقاً بأُمور الدّين فالسُّكوتُ عنه مالم‌يَتَمَحَّض النهيُ عن المنكَر بشروطِه. فإنَّه لاتَنْفَكُّ المماراةُ عن الإيذاءِ وتهييجِ الغضبِ وحملِ

---

١. إحياء علوم الدّين، ج٣، ص١٠٠.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر.

٤. بحارالأنوار، ج٢، ص١٣٤.

٥. راجع لبعضٍ آخر من روايات المراء، البابَ الثّالث، الفصل الثّاني، «أوّلها».

المعترضِ على أن يعودَ فينصُرَ كلامَه بما يُمكنه من حقٍّ أو باطل، ويقدَحَ في قائله بكلِّ مايتصوَّرُ؛ فيثُور التَّشاجرُ بين المتمارِيَيْنِ كما يثُور التَّهارُشُ بين الكَلْبَيْنِ يقصدُ كلٌّ منهما أنْ يَعَضَّ صاحبَه بما هو أعظمُ نِكايةً وأقوى في إفحامه وإنكائه.

وعِلاجُ ذلك أن يَكْسِرَ الكِبْرَ الباعثَ له على إظهار فضلِه، والسَبُعِيَّةَ الباعِثةَ له على تنقيصِ غيرِه، بالأدوية النّافعة في عِلاج الكِبر والغَضَب من كتابنا ***منار القاصدين في أسرار معالم الدين*** أو غيره من الكتبِ المؤلَّفَةِ في ذلك.

ولاينبغي أن يَخْدَعَك الشَّيطانُ، ويقولَ لك: أظْهِرِ الحقَّ ولاتُداهِنْ فيه، فإنّه أبداً يَسْتَجِرُّ الحَمْقىٰ إلى الشّرّ في مَعْرِضِ الخير، فلاتكوننَّ ضُحْكَةً له. فإنَّ إظهارَ الحقِّ حسنٌ مع من يَقْبَل منه وَإذا وقع على وجه الإخلاص، ولايكونُ ذلك إلّا من طريق النَّصيحة بالَّتي هي أحسن لابطريق المماراة.

وللنَّصيحة صفةٌ وهيأةٌ يُحْتاجُ فيها إلى التَّلطُّف، وإلّا صارتْ فضيحةً وَكان فَسادُها أعظمَ من صَلاحِها.

ومن خالَطَ مُتَفَقِّهَةَ هذا الزمان والْمتَّسِمِينَ بالعلم، غلبَ على طبعِه المراءُ والجِدال وعَسُرَ عليه الصَّمْتُ، ولاسيّما إذا ألْقىٰ عليه قُرَناءُ السُّوء أنّ المراءَ هو الفضل. فَفِرَّ منهم فِرارَك من الأسد.

الثّالث: أن لايستنكفَ من التعلُّم والاستفادة ممّن هو دونَه في مَنْصِبٍ أو سنٍّ أو شُهرةٍ أو دينٍ أو علم آخر، بل يستفيدُ ممّنْ يُمْكِنُ الاستفادةُ منه، ولايمنعُه ارتفاعُ مَنْصَبِه وشُهرته من استفادة مالايعرفه، فَتَخْسَرَ صَفْقَتُهُ ويَقِلَّ عِلمُه وَيَسْتَحِقَّ المقتَ

من الله تعالى. قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «الحكمة ضالَّةُ المؤمن، فحيثُ وجَدَها فهو أحقُّ بها».[١]

وأنشدَ بعضُهم في ذلك:

وَلَـيْسَ الْـعَمىٰ طُـولُ السُّـؤالِ وَإنّـما

تَمامُ الْعَمىٰ طُولُ السُّكُوتِ عَـلَى الْـجَهْلِ

و رُوِى عن الصّادق عليه السلام: «من رَقَّ وجهُه رَقَّ علمُه».[٢]

الرابع: ـ و هو من أهمّها ـ الانقياد للحقِّ بالرُّجوع عند الهَفْوَة ولو ظهرتْ على يد من هو أصغرُ منه. فإنّه مع وجوبه من بركة العلم، والإصرار على تركه كِبرٌ مذموم عند الله تعالى موجبٌ للطَّرد والبُعد.

فعن أحدِهما عليهما السلام: «لايدخُلُ الجنَّةَ مَن في قلبِه مثقالُ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ من كِبْرٍ».[٣]

الخامس: أن لايَحْضُرَ مجلسَ الدَّرس إلّا مُتَطَهِّراً من الحَدَثِ والخَبَثِ مُـتَنَظِّفاً مُتَطَيِّباً في بدنه وثوبه، لابِساً أحسنَ ثيابه، قـاصداً بـذلك تـعظيمَ العـلمِ وتـرويحَ الحاضرين من الجلساءِ والملائكة، سيّما إن كان في مسجدٍ. وجـيمعُ مـاورد مـن التَّرغيبِ في ذلك لمطلقِ النّاس، فهو في حقِّ العالمِ والمتعلِّمِ آكدُ.

---

١. بحارالأنوار، ج ٢، ص ٩٩.

٢. الكافي، ج ٢، ص ١٠٦.

٣. نفس المصدر، ص ٣١٠.

النَّوع الثّاني: الآداب المختصَّةُ بالمتعلِّم

وهي تنقسِم كما مرَّ ثلاثةَ أقسامٍ: آدابه في نفسِه، وآدابه مع شيخِه، وآدابه في مجلسِ درسِه.

القسم الأوَّل: آدابه في نفسه

وهي أُمورٌ:

الأوَّل: أن يُحَسِّنَ نِيَّتَه، ويُطَهِّرَ قلبَه من الأدناس، لِيَصْلُحَ لقبولِ العلمِ وحفظِه واستمرارِه. قال بعضُ الكاملين: تطييب القلبِ للعلم كتطييبِ الأرضِ للزِّراعة، فبدونه لاتَنْمُو ولاتَزْكُو ولاتَكْثُرُ بَرَكَتُه ، كالزَّرع في أرض بائرة غير مُطَيَّبَةٍ.

وَقال بعضُهم:

شَكَوْتُ إلىٰ وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظي ... فَأَرْشَدَني إلىٰ تَرْكِ الْمَعَاصي

وَقَالَ اعْلَمْ بِأَنَّ الْعِلْمَ فَضْلٌ ... وَفَضْلُ اللهِ لاَيُؤْتَاهُ عَاصٍ

الثّاني: أنْ يَغْتَنِمَ التَّحصيلَ في الفَراغِ والنَّشاطِ وحالةِ الشَّبابِ وقُوَّةِ البدن ونَباهَةِ

الخاطرِ وسَلامةِ الحواسِّ وقِلّةِ الشّواغلِ وتراكُمِ العوارِض، سِيَّما قَبْلَ ارتفاعِ المنزلةِ والاتّسامِ بالفضلِ والعلم، فإنّه أعظمُ صادٍّ عن دركِ الكَمال. بل سببٌ تامٌّ في النُّقْصانِ والاختلال.

قال بعضهم: تَفَقَّهُوا قبلَ أن تُسَوَّدُوا (أي تصيروا سادةً) فَتَأنَّفوا من التَّعَلُّمِ أوْ تَسْتَحْيُوا منه بسبب المنزلة فَيَفُوتَكُمُ العلمُ.

وقال آخرُ: تَفَقَّهْ قبل أن تَتَرَأَّسَ، فإذا رَأَسْتَ فلاسبيلَ إلى التَّفَقُّهِ.

وجاء في الخبر: «مَثَلُ الَّذِي يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ في صِغَرِه كالنَّقش على الحجر، ومَثَلُ الَّذي يَتَعَلَّمُ العلم في كِبَرِه كالَّذي يَكْتُبُ على الماءِ».[1]

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه: ماأُوتِيَ عالمٌ علماً إلّا وهو شابٌّ. وقد نَبَّهَ الله تعالى على ذلك بقوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾.[2] وهذا باعتبارِ الغالب، وإلّا فمن كَبِرَ لاينبغي له أن يُحجِمَ عن الطَّلب، فإنَّ الفضلَ واسعٌ والكَرَمَ وافرٌ والجودَ فائضٌ، وأبوابَ الرَّحمة والهِباتِ مُفَتَّحَةٌ، فإذا كان المحلُّ قابلاً تَمَّتِ النِّعْمَةُ وحَصَلَ المطلوبُ؛ قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَلَمّا بَلَغَ أَشُدَّه وَاسْتَوىٰ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾.[4]

وقداشتغل جَماعةٌ من السلف في حال كِبَرِهم، فَتَفَقَّهُوا وصارُوا أساطينَ في الدين وعلماءَ مُصَنِّفِينَ في الفقه وغيره، فَلْيَغْتَنِمِ العاقلُ عُمْرَهُ، وَلْيُحْرِزْ شَبابَه عن التضييع.

---

١. الجامع الصغير، ج ٢، ص ١٥٤.

٢. مريم/١٢.

٣. البقرة/٢٨٢.

٤. القصص/١٤.

الثّالث: أن يَقْطَعَ مايقدِرُ عليه من العوائق الشاغلة، والعلائق المانعة عن تَـمامِ الطلب وكَمالِ الاجتهاد، وقُوَّةِ الجدِّ في التحصيل، ويَرْضىٰ بما تَيَسَّرَ من القُوتِ وإن كان يسيراً، وبما يَسْتُرُ مثلَه من اللباس وإن كان خَلَقاً، فبالصَّبر على ضِيق العَيْشِ تُنالُ سَعَةُ العلم، ويُجْمَعُ شَمْلُ القلب عن مُفْتَرِقات الآمال. قال بعضُ السلف: «لايَطْلُبُ أحَدٌ هذا العلمَ بِعِزِّ النَّفْسِ فَيُفْلِح». ومن هنا قيل: «العلم لايُعْطِيكَ بعضَه حتّى تُعْطِيَه كُلَّك».

الرّابع: أن يَتْرُكَ التزويجَ حتّى يَقْضيَ وَطَرَه من العلم؛ فإنَّه أكْبرُ شاغل وأعظمُ مانع، بل هو المانع جُمْلَةً. وهذا أمر وجدانيٌّ مجرَّبٌ واضح، لايحتاج إلى الشواهد، كيف مع مايترتب عليه على تقدير السلامة فيه من تشـويش الفكـر بـهمِّ الأولاد والأسباب، ومن المثل السائر «لَوْ كُلِّفْتَ بَصَلَةً مافَهِمْتَ مَسْأَلَةً».

ولايغترُّ الطالب بما ورد في النكاح من الترغيب، فإنَّ ذلك حـيث لايـعارضُهُ واجبٌ أولى منه؛ ولاشيءَ أولى ولاأفضلُ ولاواجبَ أضيقُ من العـلم. سـيَّما فـي زماننا هذا، فإنَّه وإن وجب كفايةً في بعض الأزمان، فقد وجب على الأعيان مطلقاً في هذا الزَّمان؛ لأنَّ فرض الكفاية إذا لم‌يَقُمْ به من فيه كفاية، يصير كالواجب العينيِّ في مخاطبةِ الكلِّ به، وتأثيمِهم بتركه، كما هو محَقَّقٌ في الأُصول.[1]

الخامس: أن يتْرُكَ العِشرَة مع من يَشْغَلُه عن مطلوبه؛ فإنّ تركها من أهمِّ ماينبغي لطالب العلم، ولاسيما لغير الجنس، وخصوصاً لمن قَلَّتْ فِكْرتُه، وكَثُرَ تعبُه وبَطالته؛

١. لاحظ مايفيده المصنِّف‌﴿رحمه الله﴾ في تتمّة الكتاب بقوله «وأين القائم في هذا الزّمان بل في أكـثر الأزمـان بالواجب من تحصيل هذه العلوم الشَّرعيَّة؟! ...».

فإنَّ الطبعَ سَرّاق. وأعظمُ آفات العِشْرَة ضياع العمر بغير فـائدة، وذَهـاب الْـعِرْض والدين إذا كانت لغير أهل.

والذي ينبغي لطالب العلم أن لايخالط إلّا من يُفيده أو يَستفيد منه، فإنْ احتاج إلى صاحبٍ فَلْيَخْتَر الصاحبَ الصالحَ الدّيِّن التَّقيَّ الذَّكيَّ، الذي إن نَسِيَ ذَكَّرَه، وإن ذكر أعانه، وإن احتاج واساه، وإن ضَجِرَ صَبَّرَه؛ فيستفيد من خُلقه ملكةً صالحة. فإنْ لم يتَّفِقْ مثلُ هذا، فالوحدة ولاقرينُ السوء.

السّادس: أن يكون حريصاً على التعلُّمِ، مواظباً عليه في جـميع أوقـاته ليـلاً ونهاراً، سفراً وحضراً؛ ولايُذْهِبَ شيئاً من أوقاته في غـير طـلب العـلم إلّا بـقدر الضرورة لما لابُدَّ منه من أكلٍ ونومٍ واستراحةٍ يسيرة، لإزالة الْمَلَلَ ومؤانسةِ زائـرٍ وتحصيلِ قوتٍ وغيره ممّا يُحتاج إليه، أو لألم وغيره ممّا يَتَعَذَّرُ معه الاشتغال؛ فإنَّ بقيَّة العمر لاثَمَنَ لها و «مَن اسْتَوى يَوْماهُ فَهُو مَغْبونٌ».[١]

وليس بعاقلٍ من أمكنه الحصولُ على درجةٍ وَرَّثَها الأنبياءُ ثم فَوَّتَها. ومن هنا قيل: «لايُسْتَطاعُ العلم براحة الجِسم»، ورُوى: «الجنَّةُ حُفَّتْ بالمكارِه»،[٢] وقيل:

ولابُدَّ دونَ الشَّهدِ مِنْ أَلَمِ النَّحلِ[٣]

وقيل:

لاتَـحْسَبِ الْـمجْدَ تَـمْراً أنْتَ آكِـلُهُ   لَنْ تَبْلُغَ الْـمجْدَ حـتّىٰ تَـلْعقَ الصَّـبِرا[٤]

---

١. بحارالأنوار، ط بيروت (سنة ١٤٠٣ ها، ج٦٨، ص١٧٣.

٢. نهج‌البلاغة، الخطبة ١٧٦.

٣. عَجُزُ بيتٍ للمتنبّى، والبيت ورد في ديوانه هكذا: (ديوان المتنبيّ، ص٢١٤).

تريدينَ لُقيانَ المعالى رَخيصةً   ولابدَّ دون الشَّهد مِن إبر النَّحلِ

٤. شرح ديوان الحماسة، ج٣، ص١٥١١.

السّابع: أن يكون عاليَ الهِمَّة، فلايرضى باليسير مع إمكان الكثير، ولايُسَوِّفَ في اشتغاله، ولايُؤَخِّرَ تحصيلَ فائدةٍ ـ وإن قلّت ـ تَمَكَّنَ منها، وإن أمِنَ فواتَ حصولِها بعدَ ساعةٍ؛ لأنَّ للتَّأخير آفاتٌ، ولأنَّه في الزمن التالي يحصِّل غيرَها، حتّى لو عرض له مانع عن الدرس فليشتغل بالمطالعة والحفظ بجُهْده ولايربط شيئاً بشيءٍ.

وليَعْلَمْ أنَّه إنْ أراد التأخير إلى زمن يكْمُلُ فيه الفَراغ، فهذا زمن لم يَـخْلُقْه الله تعالى بعدُ، بل لابدَّ في كلِّ وقتٍ من موانعَ وعوائقَ وقواطع، فقاطِعْ ماأمكنك منها قبل أن يَقْطَعَكَ كُلّها؛ كما ورد في الخبر: «الوقت سيفٌ فإنْ قَطَعْتَه وإلّا قَطَعَكَ».[1]

قال بعضُ الأولياء الفضلاء[2]:

وَكُنْ صَارِماً كَالْوَقْتِ فَـالْمَقْتُ فـي «عَسـىٰ»

وَإيّـــاكَ «عَـــلِّي» فَــهْيَ أخْــطَرُ عِـلَّةٍ

الثّامن: أن يأخُذَ في ترتيب التعلُّم بما هو الأولى، ويَبْدَأ فيه بـالأهمِّ فـالأهمّ، فلايشتغلَ في النتائج قبلَ المـقدِّمات، ولافـي اخـتلافِ العـلماء ـ فـي العـقليّات والسمعيّات ـ قبلَ إتقانِ الاعتقاديّات؛ فإنّ ذلك يُحَيِّرُ الذِّهنَ ويُدْهِشُ العقلَ.

وإذا اشتغل في فنٍّ، فلاينتقلَ عنه حتّى يُتْقِنَ فيه كتاباً أو كُتُباً إن أمكن، وليَحْذَرِ التنقُّلَ من كتاب إلى كتاب ومن فنٍّ إلى فنٍّ من غير موجِبٍ؛ فإنّ ذلك علامة الضَّجَرِ وعدمِ الفَلاح. فإذا تَحَقَّقَتْ أهليَّتُه وتأكَّدَتْ معرفته، فالأولى له أن لايَدَعَ فـناً مـن

---

١. لم يوجد بصورة حديث فى الجوامع الحديثيّة.

٢. هو ابن الفارض قاله في ديوانه، ص٦٣.

العلومِ المحمودة ونوعاً من أنواعها إلّا وينظر فيه نظراً يطَّلِعُ به على مقاصِدِه وغايته، فإنَّ العلوم متقاربة وبعضها مرتبط ببعض غالباً؛ ثمَّ إنْ ساعَدَه العُمرُ وأنهضَهُ التوفيق طلب التبحُّرَ فيه، وإلّا اشتغل بالأهمِّ فالأهمِّ.

واعلم أنَّ العمرَ لايتَّسِعُ لجميع العلوم، فالحزمُ أن يأخذَ من كلِّ علمٍ أحسَنَه، ويَصْرِفَ جُمامَ قُوَّتِهِ في العلمِ الذي هو أشرفُ العلوم، وهو العلمُ النافعُ في الآخرة، مما يوجبُ كمالَ النفسِ وتزكيتَها بالأخلاقِ الفاضلَةِ والأعمالِ الصّالحة، ومرجِعُه إلى معرفةِ الكتابِ والسُّنَّة، وعلمِ مكارمِ الأخلاقِ ومناسبَه.

القسم الثّاني: آدابه مع شيخه وقُدْوَتِهِ

مقدِّمةٌ:

قال الصّادق عليه السلام: «كان أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: إنَّ من حقِّ العالم أن لاتُكْثِرَ عليه السؤال، ولاتأخُذَ بثوبه، وإذا دخلْتَ عليه ـ وعنده قوم ـ فَسلِّمْ عليهم جميعاً، وخُصَّه بالتحيَّةِ دونَهم، واجْلِسْ بين يَديه ولاتَجْلِسْ خَلْفَه، ولاتَغْمِزْ بعينك، ولاتُشِرْ بيدك، ولاتُكْثِرْ من القول: قال فلانٌ وقال فلانٌ، خلافاً لقوله، ولاتَضْجَرْ لطولِ صُحْبَتِهِ، وإنّما مَثَلُ العالِمِ مَثَلُ النَّخْلَة تنتظِرُها متى يَسْقُطُ عليك منها شيءٌ، والعالم أعظمُ أجراً من الصّائم القائم الغازي في سبيلِ الله».[1]

وفي حديث الحقوق الطويل المرويِّ عن سيِّد العابدين عليه السلام: «وحقُّ سائِسِك بالعلم التعظيمُ له والتوقيرُ لمجلسه وحسنُ الاستماع إليه والإقبال عليه، وألّا ترْفَعَ عليه صوتَك، ولاتُجِيبَ أحداً يسألُه عن شيءٍ حتّى يكونَ هو الذي يُجِيبُ، ولاتُحَدِّثَ في مجلسه أحداً،

١. الكافي، ج ١، ص ٣٧.

ولا تَغْتابَ عنده أحداً، وأن تَدْفَعَ عنه إذا ذُكر عندك بِسوءٍ، وأنْ تَسْتُرَ عيوبَه وتُظْهِرَ مَناقِبَه، ولا تُجالِسَ له عَدُوّاً، ولا تُعاديَ له وَلِيّاً. فإذا فَعَلْتَ ذلك شَهِدَتْ لك ملائكةُ الله جَلَّ وعَزَّ بأنَّكَ قَصَدْتَه، وتَعَلَّمْتَ عِلْمَه لِلّه جَلَّ اسْمُه لا لِلْنّاسِ».[١]

وفيما حكاهُ الله عَزَّ وجَلَّ عن موسى عليه السلام حين خاطبَ الخضرَ عليه السلام بقوله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلىٰ أنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾.[٢] وفي قوله: ﴿سَتَجِدُني إنْ شاءَ اللهُ صابِراً وَلاأعْصي لَكَ أمْراً﴾.[٣] جملةٌ جليلةٌ من الآداب الواقعة من المتعلِّم لمعلِّمِه، مع جَلالة قدر موسى عليه السلام وعِظَمِ شأنِه، وكونِه من أُولي العزمِ من الرُّسُل؛ ثُمَّ لم يَمْنَعْهُ ذلك من استعمالِ الآدابِ اللائقةِ بالمعلِّم، وإن كان المتعلِّمُ أكملَ منه من جهات أُخْرىٰ.[٤]

ثُمَّ مع هذه المعرفة من الخضر عليه السلام وهذه الغـاية مـن الأدب والتـواضـع مـن موسى عليه السلام أجابه بجوابٍ رفيعٍ وكلامٍ منيعٍ، مشتملٍ على العظمةِ والقوَّة، وعدمِ الأدبِ مع موسى عليه السلام بل وَصَفَه بالعجز وعدمِ الصبر، بقوله: ﴿إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾.[٥]

وقد دَلَّتْ هذه الكلمة الوجيزة أيضاً على فوائد كثيرة من أَدَب المعلِّم وإعزازِه للعلم وإجلالِهِ لمقامِه، على وجهٍ يقتضي التأسِّيَ به.[٦]

إذا تَقَرَّرَ ذلك، فلنَذكُرِ الآدابَ المختَصَّةَ بـالمتعلِّم مـع شـيْخِه، حَسَبَ مـاقَرَّرَه العلماءُ، تفريعاً على المنصوص منها، وهي أُمورٌ:

---

١. بحارالأنوار، ج ٢، ص ٤٢.

٢. الكهف/٦٦.

٣. الكهف/٦٩.

٤. راجع الأصلَ تجدُ اثنتي عشرةَ دقيقةً من دقائقِ الآداب المستفادةِ من الآيةِ الأولى الشَّريفة.

٥. الكهف/٦٧.

٦. راجع الأصلَ أيضاً تلاحظُ ثمانيَ نُكَتٍ استخرجها الشَّهيد رحمه الله من الآية الشَّريفة.

الأوّل: وهو أهمُّها أن يُقَدِّمَ النظرَ فيمن يأخُذُ عنه العلم، ويكتسب حسن الأخلاق والآداب منه؛ فإنَّ تربيةَ الشيخ لتلميذه، ونسبةَ إخراجه للأخلاقِ الذميمة وجعل المحمودةِ مكانَها، كفعل الفلّاح الذي يَقْلَعُ الشوكَ من الأرض، ويُخْرِجُ منها النباتاتِ الخبيثةَ من بين الزرع؛ لِيَحْسُنَ نَباتُه ويَكْمُلَ رَيْعُه.

وليس كلُّ شيخٍ يَتَّصِفُ بهذا الوصف، بل ماأقلَّ ذلك؛ فإنّه في الحقيقة نائبٌ عن الرَّسولﷺ، وليسَ كلُّ عالمٍ يَصْلَحُ للنّيابة، فَلْيَخْتَر المتعلِّمُ من كَمُلَتْ أهليَّتُه وظَهَرَتْ ديانتُه وتَحَقَّقَتْ معرفته وعُرِفَتْ عِفَّتُه واشْتَهَرَتْ صيانته وسيادته وظَهَرَتْ مروءَتُه وحَسُنَ تعلِيمُه وجاد تفهيمُه.

ولايَغْتَرَّ الطّالبُ بمن زاد علمُه مع نقصٍ في وَرَعِه أو دينِه أو خُلقِه؛ فإنّ ضررَه في خُلقِ المتعلِّمِ ودينِه أصعبُ وأشدُّ ضرراً من الجهلِ الذي يَطْلُبُ زوالَه. وعن جماعةٍ من السَّلف: «هذا العلم دينٌ، فانظروا عَمَّن تأخُذُونَ دينَكُم».

وممّا يُؤْنَسُ به أن يكونَ له مع مشايخِ عصرِه كثرةُ بحثٍ وطولُ اجتماعٍ وزيادةُ ممارَسةٍ، وثناءٌ منهم على سَمْتِهِ وخُلقِهِ وبحثِه. وليحترزْ ممَّنْ أخذَ علمَه من بطونِ الكُتُب من غير قِراءَةٍ على الشُّيوخ؛ خوفاً من وقوعه في التصحيف والغلط والتحريف. قال بعض السَّلف: «مَنْ تَفَقَّهَ مِنْ بُطُونِ الْكُتُبِ ضَيَّعَ الأحْكَامَ». وقال آخر: «إيّاكم والصَّحَفيُّون[1] فإنّ مايُفْسِدُونَ أكثرُ ممّا يُصْلِحُون».

---

١. هكذا في النسخ ولعلّه من باب الحكاية وإلّا فالصَّحيح «والصَّحَفيِّين» بالنَّصب كما لايخفى والصَّحفيُّون هُمُ الّذِينَ يَأخذون علمهم من الصُّحُفِ؛ و عن بعضِهم: «من أعظمِ البليَّةِ تشيُّخُ الصَّحيفة».

ولْيَحْذَرْ من التقيُّد بالمشهورين، وتركِ الأخذ من الخاملين؛ فإنَّ ذلك من الكِبْر على العلم، وهو عين الحَماقة، لِأنَّ الحكمةَ ضالَّةُ المؤمن يلتقطها حيث وجدها[1] ويغتنمها حيث ظَفِرَ بها، ويَتَقَلَّدُ المِنَّةَ ممَّنْ ساقها إليه. ورُبَّما يكون الخامل ممَّنْ تُرْجىٰ بَرَكَتُه ويكون النفعُ به أعمَّ والتحصيلُ من جهته أتمَّ.

وإذا سَبَرْتَ أحوالَ السَّلفَ والخلَف لمتَجِدِ النفعَ غالباً إلّا إذا كان للشَّيخ من التقوى والنُّصْحِ والشَّفَقَةِ للطلبة نصيبٌ وافر. وكذلك إذا اعْتَبَرْتَ المصنَّفاتِ وَجَدْتَ الانتفاع بتصنيف الأتقى أوفر، والفَلاحَ بالاشتغال به أكثر، وبالعكس حالُ العالِم المجرَّدِ.

الثّاني: أن يعتقدَ في شيخِه أنّه الأبُ الحقيقيُّ والوالدُ الروحانيُّ، وهو أعظمُ من الوالدِ الجسمانيِّ. فليُبالِغْ في رعايةِ حقِّ أُبوَّتِه ووفاءِ حقِّ تربيَتِه. وقد سُئِلَ الإسكندرُ عليه السلام: «مابالُكَ تُوَقِّرُ مُعَلِّمَكَ أكْثَرَ مِنْ والدك؟» فقال: «لأنّ المعلِّمَ سببُ لحياتيَ الباقية، ووالدي لحياتيَ الفانية».[2]

الثّالث: أن يعتقدَ أنّه مريضُ النَّفس؛ لأنّ المرَضَ هو الانحراف عن المجرى الطبيعيِّ، وطبعُ النَّفسِ العلمُ، وإنّما خَرَجَتْ عن طبعِها بسببِ غلبةِ أخلاطِ القُوى البدنيّة. ويعتقدَ أنّ شيخَه طبيبُ مرضِه، لأنّه يَرُدُّه إلى المجرى الطبيعيِّ. فلاينبغي أن يخالفَه فيما يشير عليه، كأن يقول له: «اقرَأ الكتابَ الفلانيَّ»، أو «اكتف بهذا القدر من الدرس»؛ لأنّه إن خالفه كان بمنزلة مريض يَرُدُّ على طبيبه في وجه علاجه.

---

١. لاحظ نهج‌البلاغة، الحكمة ٨٠.

٢. الذَّريعة إلى مكارم الشريعة، ص١٩٩.

وكما أنَّ الواجب على المريض ترك تناول المؤذيات، والأغذية المفْسِدَةِ للدواء في حضرة الطبيب وغيبته، فكذلك المتعلِّمُ يجب أن يُطَهِّرَ نفسَه من النجاسة المعنويَّة التي يهدف المعلِّمُ طهارتَه منها: من الحِقْد والحَسَد والغَضَبِ والشَّرَه والكِبْر والعُجْب وغيرها من الرذائل.

الرّابع: أن يَنْظُرَه بعين الاحترام والإجلال والإكرام. قال بعض السَّلف: «كنتُ أصْفَحُ الْوَرَقَةَ بين يدي شيخي صَفْحاً رفيقاً، هَيْبَةً له لِئَلّا يسمَعَ وَقْعَها، أو قال: رفعَها». وقال آخرُ: «واللهِ ما اجترأتُ أنْ أشْرَبَ الماءَ وشيخي يَنْظُرُ إليَّ، هيبةً له».

فعلى المتعلِّمِ أن يجْلِسَ بين يدى الأستاذ جِلْسَةَ الأدب بسكونٍ وخُضُوعٍ وإطراقِ رأسٍ وتواضعٍ وخشوعٍ، والأولى له الافتراش أو التورُّك. وليتعاهد تغطيةَ أقدامِه وارخاءَ ثيابه. ولايستندُ بحضرة الشيخ إلى حائط أو مخدّة أو نحو ذلك ولايجعلُ يدَه على الشيخ ولايوليه جنبَه أو ظهرَه، ولايعتمدُ بحضرته على يدِه إلى ورائِه أو جنبِه أو ظهرِه، ولايمسُّ بيده شيئاً من بدنِه أو ثيابِه، ولايضَعُ رِجلَه أو يدَه أو شيئاً من بدنِه أو ثيابِه على ثيابِ الشَّيخ أو وِسادَتِهِ أو سَجّادَتِهِ.

قال بعضهم: «ومن تعظيم الشيخ أن لايجلسَ إلى جانبه ولا على مصلّاه أو وِسادته؛ وإن أمره الشيخ بذلك فلايفعل أيضاً إلّا إذا جزم به جزماً يَشُقُّ عليه مخالَفَتُه؛ فيمتثلُ أمرَه في تلك الحال ثمّ يعودُ إلى ما يقتضيه الأدبُ».

وكذلك لايَحْسُرُ عن ذراعيه، ولايُومِئُ بيده إلى الشَّيْخِ، ولايَعْبَثُ بيدَيه أو رجلَيه أوغيرهمامن أعضائه، ولايَضَعُ يَدَه على لحيتِه أو فَمِه ولايَعْبَثُ بها في أنفِه، ولايَفْتَحُ فاه، ولايَقْرَعُ سِنَّه، ولايضرِبُ الأرضَ براحتِه، و لايَخُطُّ عليها بأصابعه، ولايُشَبِّكُ بيدَيه، ولايَعْبَثُ بأزرارِه، ولايُفَرْقِعُ أصابعَه، ولايُكْثِرُ التَّنَحْنُحَ من غيرِ حاجة،

ولايَبْصُقُ ولايَمْتَخِطُ ولايَتَنَخَّعُ ما أمكنه، ولايَلْفِظُ النُخامَةَ من فيه بل يأخذها منه بمنديلٍ ونحوه، ولايَتَجَشَّأُ، ولايَتَمَطّىٰ، ولايُكْثِرُ التَثاؤُبَ؛ وإذا تَثاءَبَ سَتَرَ فاه بعد ردِّه جُهْدَه، وإذا عَطَسَ حَفِظَ صوتَه جُهْدَه وسَتَرَ وَجْهَه بمنديل ونحوه، ولايرفَعُ صوتَه رفعاً بليغاً من غير حاجة.[1] و كذا لايُسارُّ في مجلس الشيخ، ولايَغْمِزُ أحداً، ولايُكْثِرُ الكلامَ بغير ضرورةٍ، ولايَحْكي مايُضْحَكُ منه أو مافيه بَذاءَةٌ، أو يَتَضَمَّن سوءَ مخاطبةٍ أو سوءَ أدبٍ، بل ولايَتَكَلَّمُ ما لم يسأَلْه، ولايَتَكَلَّمُ مالم يَسْتَأْذِنْ أوّلاً، ولايَضْحَكُ لغير عَجَبٍ ولالعجبٍ دونَ الشيخ، فإنْ غَلَبَه تَبَسَّمَ تَبَسُّماً بغيرِ صوتٍ البَتَّةَ.

وَلْيَعْلَمْ أنَّ ذُلَّه لشيخه عِزٌّ، وخضوعَه له فَخْرٌ، وتواضعَه له رِفْعَةٌ، وتعظيمَ حُرْمَتِهِ مَثُوبَةٌ، والتَّشمُّرَ في خدمتِه شَرَفٌ. وقد قال النبيُّ ﷺ: «تَعَلَّمُوا العلمَ، وتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السكينةَ والوَقارَ، وتَواضَعُوا لمن تَعَلَّمُونَ منه».[2]

وقال ﷺ: «من عَلَّمَ أحداً مسألةً مَلَكَ رِقَّه. قيل: أيبيعُه ويشتريه؟ قال: بل يأمُرُه ويَنْهاه».[3]

الخامس: أن لايُنْكِرَ عليه، ولايتآمَرَ ولايُشِيرَ عليه بخلاف رأيه، رأياً أنّه أعلمُ بالصواب منه، بل ينقادُ إليه في أُموره كُلِّها، ويُلْقِي إليه زِمامَ أمره رأساً، ويُذْعِنُ لِنُصْحه، ويَتَحَرّىٰ رضاه وإن خالفَ رأيَ نفسِه، ولايَسْتَبِقُ معه رأياً ولا اختياراً. ويُشاوِرُه في أُموره كُلِّها، ويأْتِمِر بأمره، ولايخرُج عن رأيه وتدبيره باللسان أو بالقلب.

---

١. لاحظ ما يأتي في الأدب الخامس عشر من آداب المتعلِّم في درسه.

٢. كنز العمّال، ج ١٠، ص ١٤١، الحديث ٢٨٧١٧.

٣. بحارالأنوار، ط بيروت (سنة ١٤٠٣ هـ)، ج ١٠٥، ص١٦.

قال بعض العلماء: «خطأ المرشِدِ أنفعُ للمسترشد من صوابِه في نفسه[1]». وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام تنبيه على ذلك.

السّادس: أن يُبَجِّلَهُ في خطابه وجوابه، في غيبته وحضوره، ولايخاطِبَه بتاءِ الخطاب وكافِه، ولايناديَه من بُعدٍ، فيقول في مخاطبتِه: «يا سَيِّدي» و «يا أُستاذ» وما أشبَهُ ذلك، ويُخاطِبُه بِصِيَغِ الجمع تعظيماً نحو «ما تقولونَ في كذا» و «ما رأيُكُم في كذا» و «قُلْتُمْ رَضِيَ الله عنكم» أو «تَقَبَّلَ الله مِنْكُمْ» أو «رَحِمَكُمُ الله».

ولايُسَمِّيْهُ في غيبتِه باسمِه إلّا مقروناً بما يُشْعِرُ بتعظيمِه، كقوله: «قال الشيخ، أو الأُستاذ، أو شيخنا، أو شيخ الاسلام» أونحو ذلك.

السّابع: تعظيمُ حرمته في نفسه واقتداؤه به، ومراعاةُ هَدْيه في غَيبته وبعد موته، فلايَغْفُلُ عن الدعاء له مُدَّةَ حياتِه، ويَرُدُّ غَيْبَتَه، ويَغْضَبُ لها زيادةً عمّا يجبُ رِعايتُه في غيره، فإن عَجَزَ عن ذلك قام وفارقَ المجلسَ.[2]

ويرعىٰ ذُرِّيَّتَه وأقاربَه وأوِدّاءَه ومُحِبِّيهِ في حياته وبعد موتِه، ويَتَعاهَدُ زيـارَةَ قبرِه والاستغفارَ له، والترحُّمَ عليه والصّدَقةَ عنه.

ويَسْلُكُ في السَّمْتِ والهَدْي مَسْلَكَهُ، ويراعي في العلمِ والدّين عادتَه، ويتأدَّبُ بآدابِه. ومن ثَمَّ كان الأهمَّ تحصيلُ شيخٍ صالحٍ يَحْسُنُ الاقتداءُ به. ثمّ إن قَدَرَ على الزيادة عليه بعد الاتّصافِ بصفته فَعَلَ، وإلّا اقتصر على التأسّي.

---

١. لاحظ إحياء علوم الدّين، ج ١، ص ٤٥.

٢. لاحظ ما يأتي في الأدب الثّاني عشر من آداب المتعلّم في درسه.

الثّامن: أن يَشْكُرَ الشيْخَ على توقيفه له على ما فيه فضيلة، وتوبيخه له على ما فيه نقيصةٌ. وإذا وَقَّفَهُ الشيخُ على دقيقةٍ من أدب أو نقيصةٍ صَدَرَتْ منه، وكان يَعْرِفُ ذلك من قبلُ، فلا يُظْهِرُ أنّه كان عارفاً به، بل يغفُلُ عنه ويَشْكُرُ الشَّيخَ على إفادتِه ذلك واعتنائِه بأمرِه، ليكون بذلك مستدعياً للعودِ إلى النصيحةِ في وقتِ الحاجة؛ فإن كان له في ذلك عُذْرٌ كأنْ يَتَرَتَّبَ على ترك الإظهار مَفْسَدةٌ، فلا بأسَ به بل قد يتعيَّنُ إعلامُه به.

التّاسع: أن يَصْبِرَ على جَفْوَةٍ تَصْدُرُ من شيخه أو سوءِ خُلقٍ، ولا يَصُدَّه ذلك عن ملازمتِه وحسنِ عقيدتِه واعتقادِ كماله، ويتأوَّلَ أفعالَه ـ التي ظاهرها مذموم ـ على أحسنِ تأويل وأصحِّه، فما يَعْجزُ عن ذلك إلّا قليلُ التوفيق.

وليبدأ هو عند جَفْوَةِ شيخِه بالاعتذار والتوبةِ مِمّا وَقَع والاستغفارِ، وينسِبَ الموجِبَ إلى نفسه، ويجعلَ الْعَتْبَ فيه على نفسه أيضاً، فإنّ ذلك أبقى لمودَّةِ شيخه وأحفظُ لقلبه، وأنفعُ للطالب في آخرته ودنياه. فعن بعض السَّلف: «من لم يَصْبِرْ على ذُلِّ التعلُّم بَقِيَ عُمْرَه في عَمايَةِ الجَهالة، ومن صَبَرَ عليه آل أمرُه إلى عِزّ الدنيا والآخرة[1]». ولبعضهم:

اصْبِرْ لِدائِكَ إنْ جَفَوْتَ طَبِيبَهُ وَاصْبِرْ لِجَهْلِكَ إنْ جَفَوْتَ مُعَلِّماً[2]

وللسلف الصالح في صبرهم مع مشايخهم أقاصيصُ غريبة، لو أتينا عليها لطال الخَطْبُ.

---

١. عُدَّة الدّاعي، ص ٧١.

٢. رُوي عجزُ البيت هكذا أيضاً: «وَاقنَعْ بجهلِكَ إن أهنتَ مُعلِّماً».

العاشر: أن يَجْتَهِدَ على أن يسبِقَ بالحضور إلى المجلس قبل حضور الشيخ ويَحْمِلَ على ذلك نفسَه، وإن انتظرَه على بابِ دارِه ليَخْرُجَ ويمشِيَ معه إلى المجلس فهو أولى مع تَيَسُّرِه. وليحترزْ عن أن يتأَخَّرَ في الحضور عن حضور الشيخ فَيَدَعَ الشيخَ في انتظاره، فإنّ فاعلَ ذلك من غير ضرورةٍ أكيدةٍ مُعَرِّضٌ نفسَه للمقْتِ والذّمِّ.

الحادي عشر: أن لايدخُلَ على الشيخِ في غير المجلس العامِّ بغير إذنه، سَواءٌ كان الشيخُ وحدَه أم معه غيره. فإن استأذن بحيثُ علمَ الشيخُ ولميَأذنْ، انْصَرَفَ ولايُكَرّرُ الاستئذان، وإن شكّ في علمِ الشيخ به كَرَّرَه ثلاثاً ولايزيدُ. وله أن يُبدِّل الاستئذانَ ثلاثَ طَرَقاتٍ بالباب أو بالحَلْقَة، ولْيَكُنْ طَرْقُ الباب خَفِيّاً بأظفار الأصابع، ثُمَّ بالأصابع، ثُمَّ بالحلقة قليلاً قليلاً. فإن كان الموضع بعيداً عن الباب، فلابأس برفعِ ذلك ابتداءً بقدر مايَسْمَعُ لاغير. وإن أذِنَ وكانوا جماعةً تَقَدَّمَ أفضلُهُم فأسنُّهم بالدخول والسلامِ عليه، ثُمَّ يُسَلِّمُ عليه الأفضلُ فالأفضلُ.

الثّاني عشر: أن يدخُلَ على الشيخ كامِلَ الهَيْأة فارغَ القلب من الشواغل، نشيطاً منشرِحَ الصّدر صافيَ الذهن، لافي حال نُعاسٍ أو غَضَبٍ أو جُوعٍ أو عطشٍ أو نحوِ ذلك؛ متطهِّراً مُتَنَظِّفاً، بعدَ استعمال مايحتاج إليه من سِواكٍ وأخذ ظُفُرٍ وشَعرٍ، وإزالةِ رائحةٍ كريهة، لابساً أحسنَ ملبوسِه؛ سيّما إذا كان يقصِدُ مجلسَ العلم، فإنّه مجلسُ ذكرٍ، واجتماعٌ في عبادة، وهذه الأُمور من آدابها.

الثّالث عشر: أن لايقرأَ على الشيخ عند شُغْل قلبه ومَلَلِه ونُعاسِه وجوعِه

وعطشِه وألَمِهِ ونحوِ ذلك ممّا يَشُقُّ عليه فيه البحثُ، اللّهم إلّا أن يبتدئَه الشَّيْخُ بطلب القِراءة فلْيُجِبْه كيف كان.

الرّابع عشر: إذا دخل على الشيخ في غير المجلس العامِّ، وعند الشيخ من يَتَحَدَّثُ معه فسكتوا عن الحديث، أو دخل والشيخ وحده يُصَلِّي أو يقرأ أو يذْكُرُ أو يطالِعُ أو يكتُب فترَك ذلك ولم‌يبدأه بكلام أو بَسْطِ حديث، فَلْيُسَلِّمْ ويخرُجْ سريعاً، إلّا أن يَحُثَّه الشيخُ على المكث، فإذا مكث فلايُطيلُ، إلّا أن يأمره بذلك، خَشْيَةَ أن يدخُلَ في عِدادِ من أشغل مشغولاً بالله وأدْرَكَه المقتُ في الوقت.

الخامس عشر: إذا حضر مكانَ الشيخ فلم يَجِدْهُ انتظرَه، ولايُفَوِّتُ على نفسه درسَه؛ فإنّ كلَّ درسٍ يفوتُ لاعِوَضَ له. ولايَطْرُقُ المتعلِّمُ على الشيخ ليخرجَ إليه، وإن كان نائماً صبر حتّى يستيقظ، أو ينصرفُ ثُمَّ يعودُ، والصّبر خير، ولايوقِظُه ولايأمُرُ بإيقاظه. هكذا كان السلفُ يَفْعَلُون.

السّادس عشر: أن لايطلُبَ من الشيخ إقراءً في وقتٍ يَشُقُّ عليه فيه، أو لم تجرِ عادتُه بالإقراء فيه. ولايخترعُ على الشيخ وقتاً خاصّاً بنفسه دون غيره وإن كان رئيساً، لما فيه من الترفُّع على الشيخ والطلبة والعلم وهو حمقٌ. وربما استحيا الشيخ منه، فيترك لأجله ما هو أهمُّ عنده في ذلك الوقت، فلايُفْلِحُ الطالب.

السّابع عشر: أن يُصْغِيَ إلى الشيخ ناظراً إليه، ويُقْبِلَ بكُلِّيَّتِهِ عليه، متَعَقِّلاً لقوله بحيث لايُحْوِجُه إلى إعادة الكلام، ولايتلفِتَ من غير ضرورةٍ ولاينظُرَ إلى يمينه أو

شماله، ولايضطربَ لِضَجَّةٍ يسمَعُها ولايلتفِتَ إليها. وينبغي أن لايُقَصِّرَ في الإصغاء والتفهُّمِ، و لايَشْغَلَ ذهنَه بفكرٍ أو حديثٍ ثمَّ يستعيدَ الشيخَ ماقاله، لأنّ ذلك إساءَةُ الأدب. بل يكون ـ كما مرَّ ـ مُصْغِياً لكلامه حاضرَ الذهن لما يسمَعُه من أوّلِ مَرَّةٍ. وكان بعضُ المشايخ لايُعِيدُ لمثل هذا إذا استعاده ويَزْبُرُه عقوبةً له. أما إذا لميسمَعْ كلامَ الشيخ لبعده، أو لميَفْهَمْهُ مع الإصغاء إليه والإقبال عليه، فله أن يَسْأَلَ الشيخَ إعادتَه أو تفهيمَه بعد بيان عذره بِسؤالٍ لطيف. ولاينبغى له أن يكرِّرَ سؤالَ مايعلمُه ولا استفهامَ مايفهمُه، فإنّ ذلك يُضيعُ الوقتَ وربما أضجَر الشيخَ.

الثّامن عشر: ليَحْذَرْ كُلَّ الْحَذَر من أن يغتابَ أحداً في مجلس الشيخ، أو يَنُمَّ له عن أحدٍ، أو يُوقِعَ بين الشيخ وبين أحد بنقل ما يسوؤه عنه كاستنقاصٍ به أو تكلُّمٍ فيه أورَدٍّ ماقاله؛ أو يقول ـ كالحاثِّ له على الاعتناء بأمره ـ: «فلان يَوَدُّ أن أقرَأَ عليه» أو «أردتُ أو أقرأ على فلان وتركتُه لأجلك»، أو نحو ذلك. ففاعل ذلك وأمثالِه مع كونه ارتكبَ مكروهاً أو حراماً أو كبيرةً، مستحِقٌّ للزَّجر والإهانةِ والطَّردِ والبُعدِ، لحماقته ورئائه.

التّاسع عشر: أن يُحَسِّنَ خطابَه مع الشيخ بقدر الإمكان، ولايقول له: «لِمَ؟» أو: «لانُسَلِّمُ»، أو: «من نَقَلَ هذا؟» أو: «أين موضِعُه؟» أو: «المحفوظ أو المنقول غير هذا»، أو شبه ذلك. فإنْ أراد استفادة أصله أو من نَقَلَه، تَلَطَّفَ في الوصول إلى ذلك على سبيل الاستفادة، والأولى أن يكون ذلك في مجلس آخر. وكذلك ينبغي أن يقولَ ـ في موضع «لِمَ؟» و«لاأُسلّم» و نحوِه ـ: «مانُجيبُ إنْ قيل لنا كذا؟ أو إن مُنِعْنا كذا؟ أو إن سُئِلْنا عن كذا؟ أو إنْ أُورِدَ كذا»، وشبهه، ليكونَ مستفهِماً للجواب سائلاً له بحسنِ

أدب ولطفِ عبارةٍ.

وإذا أصَرَّ الشيخُ على قول أو دليلٍ ولميَظْهَرْ له، أو على خلاف صوابٍ سهواً، فلايُغَيِّرُ وجهَه أو عينَيْهِ، ولايُشِيرُ إلى غيره كالمنكرِ لما قال، بل يأخُذُه بِبِشْرٍ ظاهر، فإنّ العصمةَ في البَشَرِ للأنبياءِ والأوصياءعليهم‌السلام.[١]

وإذا استفهمه الشيخُ استفهامَ تقريرٍ وجزمٍ كقوله: «ألم تَـقُلْ كـذا؟» أو «أليس مرادُك كذا؟» فلايبادِر بالرّدِّ عليه بقوله: «لا»، ونحو ذلك، بل يَسْكُت أو يُوَرِّي عن ذلك بكلامٍ لطيفٍ يَفْهَمُ الشيخُ قصدَه منه، فإنْ لميكن بُدٌّ من تحريرِ قصدِه وقـولِه، فَلْيَقُلْ: «الآن أقولُ كذا»، أو «أعودُ إلى قصدِ كذا». ويُعِيدُ كلامَه، ولايقول: «الّـذي قُلْتُه كذا»، أو «الّذي قصدتُه كذا»؛ لِتضمُّنِهِ الرَّدَّ عليه.

وليتحفَّظ من مخاطبةِ الشيخ بما يعتادُهُ بعضُ الناس ولايليق خطابُه بـه مـثل «إيش بك؟» و «فهمتَ؟» و «سمعتَ؟» و «تدري؟» و «يا رجل مبارك» ونحو ذلك.

العشرون: إذا ذكر الشيخ تعليلاً وعليه تَعَقّبٌ ولَمْيَتَعَقَّبْهُ؛ أو بحثاً وفيه إشكـال ولميَسْتَشْكِلْهُ؛ أو إشكالاً وعنه جواب ولميذكره، فلايبادِرُ هو إلى ذكر ذلك ولا إلى التَعقُّبِ على الشيخ بسبب إهماله له، بل له أن يُشيرَ إلى ذلك بألطف إشارة كقوله: «مالَمحْتُمْ عن الإشكال جواباً» مثلاً، ونحو ذلك، فإنْ تَذَكَّرَ الشيخُ فَبِها ونِعْمَتْ، وإلّا فالأولى السُّكوتُ عن ذلك إلّا أنْ يَأْذَنَ الشيخُ، أو يَعْلَمَ منه أَنَّه يُؤْثِرُ ذلكَ منه.

وإذا سَبَقَ لسانُ الشيخ إلى تحريف كلمةٍ يكونُ لها توجيهٌ مستَهْجَنٌ أو نحوه، فلايَضْحَكُ ولايَسْتَهْزِئُ ولايُعِيدُها ولايغمِزُ غيرَه ولايُشيرُ إليه، بل ولايتأمَّلُ ماصَدَرَ

---

١. لاحظ ما يأتي في الأدب الثّالث من آداب المتعلّم في درسه.

منه، ولايُدْخِلُه قلبَه ولايُصْغِيْ إليه سَمْعَه، ولايَحْكِيْه لأحَـد؛ فـإنّ اللّسـانَ سَـبّاقٌ والإنسانَ غيرُ معصومٍ لاسيَّما فيما هو فيه معذور؛ وفاعلُ شيءٍ ممّا ذُكِرَ مع شيخِه مُعَرِّضٌ نفسَه للـحِرْمانِ والبَـلاء والخُسْـران، مسـتحِقٌّ للـزّجر والتأديب والهَـجر والتأنيب، مع مايستوجِبُه من مَقْتِ الله سبحانَه وملائكتِه وأنبيائِه وخاصَّتِه.

الحادي والعشرون: أن لايسبِقَ الشيخَ إلى شرح مسألةٍ أو جواب سؤالٍ منه أو من غيره، لاسيّما إذا كان من غيره وتَوَقَّفَ، ولايساوِقَه فيه، ولايُظْهِرَ معرفتَه به أو إدراكَه له قبل الشيخ، إلّا أن يَعْلَمَ من الشيخِ إيثارَ ذلك منه، أو عَرَضَ الشَّيْخُ عليه ذلك ابتداءً والْتمَسَه منه، فلابأسَ به حينئذٍ.

الثّاني والعشرون: أن لايَقْطَعَ على الشيخ كلامَه أيَّ كلامٍ كان، بل يَصْبِر حـتّى يَفْرُغَ الشيخُ من كلامه ثمّ يتكلَّم. ولايَتَحَدَّثُ مع غيره والشيخُ يتحدَّثُ معه أو مـع جَماعةِ المجلس، بل لايجْعَلُ همَّه سوى الإصغاء إلى قولِ الشيخ وفهمِه.

الثّالث والعشرون: إذا سَمِعَ الشيخَ يذكُرُ حُكماً في مسألةٍ، أو فائدةً مُسْتَغْرَبَةً، أو يَحْكي حكايةً،أويُنْشِدُ شعراً،وهو يحفَظُ ذلك، فعليه أنْ يُصْغِيَ إليه إصغاءَ مستفيدٍ له في الحال، متعطِّشٍ إليه، فَرِحٍ به، كأنّه لميَسْمَعْه قَطُّ. قال بعضُ السلف: «إنّ الشابَّ ليَتَحَدَّثُ بحديثٍ فأستمعُ له كأنّي لم أسْمَعْه ولقد سَمِعْتُه قبلَ أن يُولَدَ». فإنْ سألَه الشيخُ ـ عند الشروع في ذلك ـ عن حفظه له، فلايجِيبُ بـ«نَعَم» لما فيه من الاستغناء عن الشيخ فيه،ولايقول:«لا»لمافيه من الكِذْبِ، بل يقولُ: «أُحِبُّ أن أستفيدَه من الشيخ أو:أسمَعَه منه»،أو:«بَعُدَ عهدي به»،أو:«هو من جهتكم أصَحُّ»،ونحو ذلك. فإنْ عَـلِمَ

من حال الشيخ أنَّه يُؤْثِرُ العلمَ بحفظه له مَسَرَّةً به، أو أشار إليه بإتمامِه امتحاناً لضبطه أو حفظه أو لإظهار تحصيله، فلابأسَ باتِّباعِ غرضِ الشيخ ابتغاءً لمرضاتِه وازدياداً لرغبتِه فيه.

الرّابع والعشرون: أن لايسألَ عن شيءٍ في غير موضعه، ففاعِلُ ذلك لايستحِقُّ جواباً، إلّا أن يعلمَ من حال الشيخ أنّه لايكْرَهُ ذلك، ومع ذلك فالأولى أن لايفعلَ. ولايُلِحُّ عليه في السؤال إلحاحاً مُضْجراً، ولايسألُه في طريقه إلى أن يَبْلُغَ مقصَدَه. بل يغتنم سؤالَه عند طيبِ نفسِه وفراغِه وليتلطّفْ في سؤالِه. قال النبيُّ ﷺ: «... حُسنُ السُّؤالِ نِصفُ الْعِلْمِ».[1]

الخامس والعشرون: أن لايستحييَ من السّؤال عمّا أشكلَ عليه، بل يستوضِحُه أكملَ استيضاح، فمن رقَّ وجهُه رقَّ علمُه. قال الصّادق عليه السلام: «**إنَّ هذا العلمَ عليْهِ قفلٌ ومفتاحُهُ المسألة**».[2]

السّادس والعشرون: إذا قال له الشيخ: «أفَهِمْتَ؟» فلايقولُ: «نَعَم»، قبل أن يَتَّضِحَ له المقصود اتّضاحاً جليّاً، لئلّا يَكْذِبَ ويَفُوتَه الفهمُ، ولايستحيي من قوله: «لمأفهَمْ»، لأنّ استثباتَه يُحَصِّلُ له مَصالِحَ عاجلةً وآجلةً. فمن العاجِلَةِ فهم المسألَةِ وسلامتُه من الكِذْبِ والنّفاقِ بإظهارِ فهمِ ما لميكن فَهِمَه، واعتقادُ الشيخ اعتناءَه

---

١. بحارالأنوار، ج١، ص٢٢٤.

٢. الكافي، ج١، ص٤٠.

ورغبتَه وكمالَ عقلِه ووَرَعِهِ ومَلَكَتَهُ لنفسه؛ ومن الآجلة ثبوتُ الصّواب في قلبه دائماً، واعتيادُه هذه الطريقةَ المرضيّةَ والأخلاقَ الرضيّة. قال الخليلُ بن أحمدَ الْعَروضيُّ: «مَنْزِلةُ الجهل بين الحياء والأَنَفَةِ».

السّابع والعشرون: أنْ لايرميَ إليه الشَّيءَ رمياً من كتابٍ أو ورقةٍ أو غيرِهما، ولايَمُدَّ يدَه إليه إذا كان بعيداً، ولايُحْوِجَ الشّيخَ إلى مدِّ يدِه أيضاً لأخذِ الشَّيء منه أو إعطائِه له، بل يقومُ إليه قائماً، ولايَزْحَفُ زَحْفاً. وإذا قامَ أو جلسَ بين يدَيه لشيءٍ من ذلك، فلايقرُبُ منه كُلَّ القُرْب.

وإذاناوَلَه الشَّيْخُ شيئاً تناوَلَه بالُيمنى، وإذاناوَلَ الشيخَ هو شيئاً ناوَلَه إيّاه بِالُيمْنىٰ أيضاً. فإن كان وَرَقَةً أو قِصَّةً مثلاً نَشَرَها ثُمَّ دَفَعَها إليه ولايَدْفَعُها إليه مَطْوِيَّةً إلّا إذا عَلِمَ أو ظَنَّ إيثارَ الشَّيْخِ لذلك، وإذا أخذ من الشيخ ورقةً بادَرَ إلى أخذها منشورةً قبل أنْ يَطْوِيَها أو يُتَرِّبَها. وإذا ناوَلَ الشَّيْخَ كتاباً ناوَلَه إيّاه مُهَيَّأً لِفَتْحِه والقِراءَةِ فيه من غيرِ احتياجٍ إلى إدارتِه، فإن كان للنّظرِ في موضعٍ مُعَيَّنٍ فليكُنْ مفتوحاً كذلك، ويُعَيِّنْ له المكانَ. وإذا ناوَلَه قَلَماً ليكتُبَ به، فَلْيُعِدَّهُ ـ قبلَ إعطائه إيّاه ـ للكتابة، وَيَتَفَقَّدْ أوصافَه، وإن وضَعَ بين يديه دواةً، فلتكنْ مفتوحةَ الأَغطِيَةِ مُهَيَّأَةً للكتابة منها. وإن ناوله سِكِّيناً فلايُصَوِّبْ إليه شَفْرَتَها ولانِصابَها ويدُه قابضةٌ على الشَّفْرَة، بل يكونُ عَرْضاً وحدُّ شَفْرتِها إلى جهتِه قابضاً على طرف النِّصابِ ممّا يلي النَّصْلَ جاعلاً نِصابَها على يمينِ الآخِذ. ولايَجْلِسُ بحضرةِ الشيخ على سَجّادةٍ، ولايصلِّي عليها ـ إذا كان المكان طاهراً ـ إلّا إذا اطَّرَدَتِ العادةُ باستصحابها واستعمالها. وإذا ناوله سَجّادَةً ليصلِّيَ عليها نَشَرَها أوّلاً، وأولى منه أن يَفْرُشَها له؛ قال بعض العلماء: «وإذا فَرَشَها، وكان فيها صورَةُ محرابٍ تَحَرّىٰ بها القبلَةَ إن أمكن». وإذا قام الشيخ بادر القومُ إلى

أخذ السجّادة إن كانت مما تُنقل له، وإلى الأخذ بيده أو عَضُدِه إن احتاج إليه، وإلى تقديم نعله إن لم يَشُقَّ ذلك على الشيخ، ويقْصدُ بذلك كلِّه التقرُّبَ إلى الله تعالى بخدمته والقيام بحاجته. وقد قيل: «أربعة لايأنَفُ الشريفُ مِنْهُنَّ، وإن كان أميراً: قيامُه من مجلِسِه لأبيه، وخدمتُه للعالِمِ الَّذي يتعلَّم منه، والسُّؤالُ عَمّا لايعلَمُ، وخدمتُه للضَّيْف».

الثّامن والعشرون: أن يقومَ لقيام الشيخ، ولايجلِسَ وهو قائم، ولايضْطَجِعَ وهو قائمٌ أو قاعد، بل لايضطجِعُ بحضرتِه مطلقاً، إلّا أن يكونَ في وقتِ نومٍ ويأذَنَ له، والأجودُ حينئذٍ أن لايَنامَ حتّى يَنامَ الشيخُ إلّا أن يأمُرَه بالنَّوم فيُطِيعُه.

التّاسع والعشرون: إذا مشى مع شيخِه، فليكن أمامَه باللَّيل ووراءَه بالنَّهار، إلّا أن يقتضِيَ الحالُ خلافَ ذلك لزحمةٍ أو غيرها، أو يأمرَه الشيخُ بحالة فَيمتَثِلُها.

وَيَتَعَيَّنُ أنْ يَتَقَدَّمَ عليه في المواطِئِ المجهولةِ الحالِ لِوَحَلٍ أو حوضٍ مثلاً، والمواطِئِ الخَطِرَة. وليحترز من ترشيش ثياب الشيخ. وإذا كان الشيخ في زحمةٍ صانه عنها بيديه إمّا من قُدّامِه أو من ورائِه. وإذا مشى أمامَه التفت إليه بعد كُلِّ قليل. وإنْ كان وحدَه والشيخُ يُكَلِّمُه حالةَ المشي فَلْيكُنْ عن يمينِه أو يسارِه متقدِّماً عليه قليلاً، ملتفتاً إليه، ويُعْلِمُ الشيخَ بمن قَرُبَ منه أو قَصَده من الأعيان إن لم يَعْلَم الشيخُ به. ولايمشي إلى جانبه إلّا لحاجةٍ أو إشارةٍ منه، ويحترزُ من مزاحمته بكَتِفِه أو بِركابِه ـ إن كانا راكبين ـ وملاصَقَةِ ثيابِه؛ ويُؤْثرُه بجهة الظِلِّ في الصَّيف، وبجهة الشَّمس في الشِّتاء، وبجهة الجِدار في الرِّصافات ونحوها، وبالجهة التي لاتَقْرَعُ الشَّمسُ فيها وجهَه إذا التفتَ إليه [أى إذا التفت الشيخ إلى المتعلِّم].

ولايمشي بينَه و بينَ من يُحَدِّثُه، بل يتأخَّرُ عنهما أو يتقَدَّمُ، ولايقرُبُ ولايستمعُ

ولايلتفتُ، فإن أدخلاه في الحديث فليأتِ من جانب آخر ولايَشُقّ بينهما.

وإذا مشى مع الشيخ اثنان، فاكتنفاه فالأولى أن يكون أكبرُهما عن يمينه، وإن لميكتنفاه تقدَّمَ أكبرهما وتأخَّر الأصغرُ.

الثَّلاثون:إذا صادَفَ الشيخَ في طريقه بدأه بالسَّلام ولايناديِه ولايسلِّمُ عليه من بعيد ولا من ورائه، بل يقرُبُ منه ثمّ يسلِّمُ. ولايُشِيرُ ابتداءً بالأخذ في طريقٍ حتّى يستشيرَه،ويبادِرُ فيما يستشيرُه فيه مطلقاً بالردِّإلى رأيِه إلّا أن يُلْزِمَه بإظهار ما عنده، أو يكونَ مارآه الشيخ خطأً، فيُظْهِرُ ما عنده بتلطُّف وحُسْنِ أدب، كقوله: «يَظْهَرُ أنَّ المصْلَحَةَ في كذا»، ولايقول: «الرَّأيُ عندي كذا»، أو «الصَّوابُ كذا» أو نحو ذلك.

* * * *

واعلم أنّ هذه الآداب ممّا قد دلَّ النصُّ على جملةٍ منها بل على أشرفها وأهمّها، والباقي ممّا يُسْتَنْبَطُ منه بِإحدى الطُّرُق التي تُبْنى عليها الأحكام، التي أحدُها مراعاةُ العادةِ الْمحْكَمة في مثل ذلك، والله الموفِّقُ.

القسم الثّالث: آدابه في درسه

وهي أمورٌ:

الأوّل: ـ وهو أهمُّها ـ أن يبتدئَ أوّلاً بحفظِ كتابِ الله تعالى العزيز حفظاً مُتْقَناً، فهو أصل العلوم وأهمُّها،وكان السلفُ لايُعَلِّمُونَ الحديثَ والفقهَ إلّا لمن حَفِظَ القرآن.

وإذا حَفِظَه فَلْيَحْذَرْ من الاشتغال عنه بغيره اشتغالاً يُؤَدِّي إلى نسيان شيءٍ منه أو تعريضه للنسيان، بل يَتَعَهَّد دِراستَه وملازمَةَ وِرْدٍ منه كُلَّ يومٍ ثمَّ أيّامٍ ثمَّ جمعةٍ دائماً أبداً. ويجتهد بعد حفظه على إتقان تفسيره وسائر علومه.

ثمَّ يَحْفَظُ من كلِّ فَنٍّ مختصراً يجمَعُ فيه بين طرفيه (أى صدره و ذيله) ويُقَدِّم الأهمَّ فالأهمَّ على مايأتي تفصيله ـ إن شاء الله ـ في الخاتِمة.

ثُمَّ يشتغل باستشراح محفوظاته على المشايخ، ولْيَعْتَمِدْ في كلِّ فنٍّ أكثرهم تحقيقاً فيه وتحصيلاً له.

الثّاني: أن يقتصرَ من المطالعة على مايحتملُهُ فهمُه وينساقُ إليه ذهنُه ولايَمُجُّه طَبْعُه. وَلْيَحْذَرْ من الاشتغال بما يُبَدِّدُ الفكرَ ويُحَيِّرُ الذهنَ من الكتبِ الكثيرةِ وتفاريقِ التصانيف؛ فإنّه يُضَيِّعُ وقتَه ويُفَرِّقُ ذِهْنَه.

وَلْيُعْطِ الكتابَ الّذي يقرؤه والفنَّ الذي يأخُذُه كُلِيَّتَه حتّى يُتْقِنَه، حَذَراً من الخَبْطِ والانتقال المؤدِّي إلى التضييع وعدم الفَلاح، ومن هذا الباب الاشتغال بكتب الخِلاف في العقليّات ونحوها قبل أن يَصِحَّ فَهْمُه، ويستقرَّ رَأيُه على الحقِّ، ويَحْسُنَ ذِهْنُه في فهم الجواب، وهذا أمر يختلف باختلاف النفوس.

الثّالث: أن يُحْضِرَ معه الدَّواةَ والقلمَ والسِّكِّينَ للتصحيح، وَيَضْبِطَ مايُصَحِّحُه الشَّيخُ لغةً وإعراباً وغيرهما. وإذا ردَّ الشَّيْخُ لفظةً، فَظَنَّ أو عَلِمَ أنّ رَدَّه خلافُ الصَّواب كَرَّرَ اللَّفظةَ مع ماقبلَها لِيَتَنَبَّهَ لها الشيخ، أو يأتِيْ بلفظ الصَّواب على وجه الاستفهام. فإنْ كان ذلك كالكتابة في رِقاع الاستفتاء وكونِ السائل غريباً أو بعيدَ الدار أو مُشَنِّعاً تَعَيَّنَ تنبيهُ الشيخ على ذلك ـ في الحال ـ بالإشارة ثُمَّ بالتصريح، فإنّ ترك ذلك خيانةٌ للشيخ فيَجِبُ نُصْحُه بما أمكن.

الرّابع: أن يُقَسِّمَ أوقاتَ لَيْلِهِ ونهارِه على مايُحَصِّلُه؛ وأجودُ الأوقاتِ للحفظ

الأسحارُ، وللبحث الأبْكارُ، وللكتابة وَسَطُ النَّهار، وللمطالَعَةِ والمذاكَرَةِ اللَّيلُ وبقايا النَّهار. وممّا قالوه ـ وَدَلَّتْ عليه التَّجرِبة ـ أنّ حفظَ الليل أنفعُ من حفظِ النهار، ووقتَ الجوع أنفعُ من وقتِ الشِبَع، والمكانَ البعيد عن المُـلهياتِ كـالأصواتِ والخُـضْرَةِ والنباتِ والأنهارِ الجاريات وقوارِعِ الطرقِ التي تَكْثُرُ فيها الحَرَكات ـ لأنّها تَمْنَعُ من خُلُوِّ القلبِ ـ أنفعُ من المشتمِلِ عليها.

الخامس: أن يُبَكِّرَ بدرسه، لخبرِ: «بُورِكَ لأُمَّتي في بُكُورِها.»[١] ولخبرِ: «اغْدُوا في طَلَبِ العلمِ، فإنّي سَأَلْتُ رَبِّي أن يُبارِكَ لِأُمَّتي في بُكـورِها».[٢] ويَـجْعَلَ ابـتداءَه يَـوْمَ الخَميس،[٣] وفي روايةٍ: يومَ السَّبْتِ أو الخميس،[٤] وفي خبرٍ آخر عنه ﷺ: «أُطْلُبُوا الْعِلْمَ يومَ الاثنَيْنِ فإنَّه يُيَسَّرُ لطالبه».[٥] ورُوِيَ في يومِ الأربعاء خبرُ: «مامِنْ شَيءٍ بُدِئَ يَوْمَ الأرْبعاء إلّا وقد تَمَّ».[٦] وربما اختار بعضُ العلماء الابتداء يومَ الأحَد، ولمنـقِفْ على مأخذه.

السّادس: أن يُبَكِّرَ بسَماع الحديث ولايُهْمِلَ الاشتغال به وبعلومه، والنظرَ فـي إسنادِهِ ورجالِهِ ومعانيه وأحكامِهِ وفوائدِهِ ولغتِهِ وتواريخِهِ وصحيحِهِ وحسنِهِ وضعيفِهِ

---

١. الجامع الصغير، ج١، ص١٢٦.

٢. كنز العمّال، ج١٠، ص٢٥٠، الحديث ٢٩٣٤١.

٣. لاحظ تحف العقول، ص٨٠.

٤. بحارالأنوار، ط بيروت (سنة ١٤٠٣ هـ)، ج١٠٠، ص٤١.

٥. كنز العمّال، ج١٠، ص٢٥٠.

٦. تعليم المتعلّم، ص١٥.

ومُسْنَدِه ومُرْسَلِه وسائر أنواعه؛ فإنَّه أحدُ جَناحَي العالِمِ بالشريعة والمبيِّنِ للأحكام، والجناحُ الآخرُ القرآن.

ولايَقْنَعْ من الحديث بمجرَّدِ السَّماع، بل يعتني بالدِّراية أكثرَ من الرِّواية؛ فإنَّه المقصودُ من نقل الحديث وتبليغه.

السّابع: أن يبالِغَ في الجِدِّ والطلبِ والتشمير، ولايقنَعَ من إرث الأنبياء باليسير، ويغتنِمَ وقتَ الفَراغِ والنَّشاطِ والشَّبابِ قبلَ عوارض البَطالة وموانعِ الرِئاسة؛ فـإنَّها أدْوى الأدواءِ وأعْضَلُ الأمراضِ.

الثّامن: أن يَحْذَرَ كُلَّ الحَذَر مِنْ نَظَرِ نفسِه بعين الكمال والاستغناء عن المشايخ؛ فإنّ ذلك عينُ النقص وحقيقةُ الجهل وعِنوانُ الحماقة ودليلُ قِـلَّةِ العـلم والمـعرفة لوتَدَبَّرَ. فعليه أن يلازِمَ حَلْقَةَ شَيْخه بل جميع مجالسه إذا أمكن؛ فإنّ ذلك لايزيدُه إلّا خيراً وتحصيلاً وأدباً، واطّلاعاً على فوائدَ مُتَبَدِّدَةٍ لايكادُ يَجِدُها في الدفاتر، كما أشارَ إليه عليعليه‌السلام بقوله: **«ولاتَمَلَّ مِنْ طولِ صُحْبَتِه، فإنّما هو كالنَّخْلَةِ تنتظرُ متى يَسْقُط عليك منها منفعةٌ».**[1]

التّاسع: إذا حضر مجلسَ الشيخ، فلْيُسَلِّمْ على الحـاضرين بـصوتٍ يُسْـمِعُهُم، ويَخُصُّ الشيخَ بزيادةِ تَحِيَّةٍ وإكرامٍ.

وإذا سَلَّمَ لايَتَخَطّىٰ رِقابَ الحاضرين إلى قرب الشيخ إن لم تكن منزِلَتُه كذلك،

---

١. الكافي، ج ١، ص٣٧ والحديث منقول هنا بالمعنى.

بل يجْلِسُ حيث ينتهي به المجلسُ كما وَرَدَ في الحديث. فإنْ صَرَّحَ له الشيخُ أو الحاضرون بالتَّقَدُّمِ أو كانتْ منزلتُه أو كان يَعْلَمُ إيثارَ الشَّيْخِ والْجَماعةِ لذلك، وكان جلوسُه بقُرْبِ الشيخ مَصْلَحةً ـ كأن يذاكِرَه مذاكرةً ينتفعُ بها الحاضرون، أو لكونه كبيرَ السِّنِّ أو كثيرَ الفضيلة والصَّلاح ـ فلابأس.

وَلْيَحْرِصْ على قُربه من الشيخ حيث تكون منزلته، ليفْهَمَ كلامَه فهماً كاملاً بلامشقَّةٍ، ولكن لايقرُب منه قُرباً يُنْسَبُ فيه إلى سوء الأدب.

واعلم أنَّه متى سَبَقَ إلى مكانٍ من مجلِسِ الدرس كان أحقَّ به، فليس لغيره أن يُزْعِجَه منه وإن كان أحقَّ به بحسبِ الأدب. قيل: ويبقىٰ بعد ذلك أحقَّ به كالمحْتَرِفِ إذا أَلِفَ مكاناً من السوق أو الشارع، فلايَسْقُطُ حَقُّه منه لمفارقته، وإن انقطع عن الدرس يوماً أو يومين إذا حَضَرَ بعد ذلك.

تبصرةٌ: عَدَّ بعضُهم حلَقَ العِلم حالَ أخذهم في البحث من المواضِعِ التي لايُسَلَّمُ فيها، واختارَه جَماعةٌ من الأفاضل. وهو مُتَّجِهٌ حيث يَشْغَلُهُمْ رَدُّ السلامِ عمّا هم فيه من البحثِ وحضورِ القلب كما هو الغالب، سيّما إذا كان في أثناء تقرير مسألةٍ، فإنّ قَطْعَهُ عليهم أضَرُّ من كثيرٍ من المواردِ الّتي وَرَدَ أنّه لايُسَلَّمُ فيها.[١]

لكن مَتىٰ أُرِيدَ ذلك، فليجلسِ الداخلُ عليهم على بُعدٍ من مقابلة الشيخ، بحيث لايَشْعُرُ به حتّى يَفْرَغَ إن أمكن، جمعاً بين حقِّ الأدب معه وحقِّ البحث في دفعِ الشواغل عنه.

---

١. انظر الكافي، ج٢، ص٦٤٥ وبحارالأنوار، ط بيروت (سنة ١٤٠٣ هـ)، ج٧٣، ص٨ و٩.

العاشر: أن يتأدَّبَ مع حاضري المجلس ويحترمَ رِفْقَتَه وأقرانَه ولاسيَّما كُبَراءَهُم[١]؛ فإنّ تأدُّبَه معهم تأدُّبٌ مع الشيخ واحترامٌ لمجلسه. فلايزاحِمْ أحداً في مجلسه، ولايُؤْثِرْ قيامَ أحد له من محلِّه، فإنْ آثَرَه غيرُه بمجلسه لم يَقْبَلْه، لِنهيِ النبيِّ ﷺ عن أن يُقامَ الرجلُ من مجلسه ويجلِسَ فيه آخر، قال ﷺ: «ولكن تَفَسَّحُوا وتَوَسَّعُوا».[٢] نعم لو كان جلوسُه في مجلسِ مَنْ آثَرَه مصلَحَةً للحاضرين، وعَلِمَ من خاطر المؤْثِر حُبَّ الإيثارِ بالقرائن، فلابأسَ. ولايجلسْ في وسط الحلقَة، ولاقُدّامَ أحدٍ لغيرِ ضرورةٍ، ولايجلِسْ بين أخوين أو أبٍ وابنٍ أو قريبَيْن أو متصاحبَيْن إلّا برضاهما معاً، لما رُوي: «أنَّ النبيَّ ﷺ نهى أنْ يَجْلِسَ الرَّجُلُ بَيْنَ الرَّجُلَين إلّا بِإذْنِهما».[٣]

الحادي عشر: ينبغي للحاضرين إذا جاء القادِمُ أن يُرَحِّبُوا به ويُوسِّعُوا له ويَتَفَسَّحُوا لأجله ويُكْرِمُوه بما يُكْرَمُ به مثلُه. وإذا فُسِحَ له في المجلس وكان حَرَجاً ضَمَّ نفسَه ولايَتَوَسَّعْ، ولايَخْرُجْ من بِنْيَةِ الحَلْقَةِ بتقدُّمٍ أو تأخُّرٍ.

الثّاني عشر: إذا أساءَ بعضُ الطلبة أدباً على غيره لم ينهره غيرُ الشيخ إلّا بإشارته، أو سرّاً بينهما على سبيل النصيحة. وإن أساءَ أحدٌ أدَباً على الشيخ تَعَيَّنَ على الجَماعة انتهاره ورَدْعُه والانتصار للشيخ بقدر الإمكان وإن أظْهَرَ الشيخُ المسامحةَ وفاءً لحقِّه.

---

١. لاحظ تتمَّة الأدب الخامس عشر من هذا القسم.

٢. صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٧١٤.

٣. سنن أبي داود، ج ٤، ص ٢٦٢، الحديث ٤٨٤٤.

الثّالث عشر: إذا أراد القِراءةَ على الشَّيْخِ، فلْيُراعِ نوبتَه تقديماً وتأخيراً، فلايتقدَّمُ عليها بغير رضى من هي له. وقد رُوي أن أنصاريّاً جاءَ إلى النبيِّ ﷺ يَسْأَلُه، وجاء رجلٌ من ثَقيف، فقال رسولُ الله ﷺ: «يـا أخـا ثَـقيفٍ، إنَّ الأنـصاريَّ قـد سَـبَقَكَ بالمسألة، فاجْلِسْ كَيْما نَبْدَأَ بحاجة الأنصاريّ قبلَ حاجتِكَ».[1]

قيل: «ولايُؤْثِرُ بنوبته؛ فإنّ الإيثارَ بالقُرب نقصٌ، فإنْ رأى الشيخُ المصْلَحَةَ في ذلك في وقتٍ فأشارَ به، امتثل أمرَه معتقداً كمالَ رأيه وتصويبَ غَرَضِه في ذلك».

وقيل: «يُسْتَحَبُّ للسابق أن يُقَدِّمَ على نفسه من كان غريباً لتأكُّـدِ حـرمته و وجوبِ ذِمَّته. وكذلك إذا كان للمتأخّر حاجة ضروريّة وعلمها المتقدّم».

الرّابع عشر: أن يُحْضِرَ كتابَه الذي يقرأُ فيه معه، ويَحْمِلَه بنفسه. ولايَضَعُهُ حالَ القِراءة على الأرض مفتوحاً بل يَحْمِلُه بيديه ويَقْرَأُ مـنه، ولايَـقْرأُ حـتّى يسـتأذِنَ الشيخَ. فإذا أذِنَ له استعاذَ بالله من الشيطان الرجيم، ثُمَّ سَـمَّى الله تَـعالى وَحَـمِدَه وصلَّى على النبيِّ وآلِهِ صلَّى الله عليهم، ثُمَّ يَدْعُو للشـيخ ولِـوالِـدَيْه ولمشـايخه، وللعلماء ولنفسه ولسائر المسلمين، وإنْ خَصَّ مُصَنِّفَ الكتابِ أيـضاً بـدعوةٍ كـان حسناً. فإنْ تَرَكَ الطالبُ الاستفتاحَ بما ذكرناه جهلاً أو نسياناً نَـبَّهَهُ الشـيخُ عـليه وعَلَّمَه إيّاه وذَكَّرَه به؛ فإنّه من أهمِّ الآداب، وقد وَرَدَ الحديثُ بالأمر في الابـتداء بالأُمور المُهِمَّةِ بتسميةِ الله وتحميدِه،[2] وهذا من أهمِّها.

---

١. تذكرة السّامع، ص١٥٩.

٢. انظر: الكشّاف، ج١، ص٣ والدُّرّ المنثور، ج١، ص١٢.

الخامس عشر: ينبغي أن يذاكِرَ من يُرافِقُه من مواظبي مجلس الشيخ بما وقع فيه من الفوائد والضوابط والقواعد وغير ذلك، ويُعِيدُوا كلامَ الشيخ فيما بينهم؛ فإنّ في المذاكرة نَفْعاً عظيماً قُدِّمَ على نفعِ الحفظ.

وينبغي الإسراعُ بها بعد القِيام من المجلس قبل تَفَرُّقِ أذهانِهم، وتَشَتُّتِ خواطِرِهم، وشُذوذِ بعض ماسَمِعُوه عن أفهامهم، ثُمَّ يتذاكروه في بعض الأوقات، فلاشيءَ يَتَخَرَّجُ به الطالِبُ في العلم مثلُ المذاكَرَةِ. فإنْ لم يَجِدِ الطالبُ من يُذاكِرُه ذاكَرَ نَفْسَه بنفسِه، وكَرَّرَ معنى ماسَمِعَه ولَفْظَه على قلبه، لِيَعْلَقَ ذلك بخاطِرِه؛ فإنّ تكرارَ المعنى على القلب كتَكرارِ اللفظ على اللسان. وقَلَّ أن يُفْلِحَ من اقتصر على الفكرِ والتعقُّلِ بحضرة الشيخ خاصَّةً، ثُمَّ يَتْرُكه ويقوم ولايُعاوِده. ولتكن المذاكَرَةُ المذكورة في غير مجلس الشيخ، أو فيه بعد انصرافه بحيث لايَسْمَعُ لهم صوتاً؛ فإنّ اشتغالَهُم بذلك وإسماعَهم له قِلَّةُ أدبٍ وجرأةٌ، اللهمَّ إلّا أن يَأمُرَه الشيخُ بذلك لِمَصْلَحَةٍ يراها.

تتمّةٌ: على الطَلَبَةِ مراعاةَ هذا الأدبِ أو قريباً منه مع كبيرهم ومُعِيدِهم، كما يجبُ على من عَلِمَ منهم بنوعٍ من العلم وضَرْبٍ من الكمال أن يُرْشِدَ رِفْقَتَه ويُرَغِّبَهُمْ في الاجتماع والتذاكُرِ والتحصيل، فبإرشادِهم يُبارِكُ الله له في علمه ويَسْتَنِيرُ قلبُه، وتَتَأَكَّدُ المسائِلُ عنده مع مافيه من جزيلِ ثواب الله تعالى وجميل نظره وعَطْفِه. وإن بَخِلَ عليهم بشيء من ذلك كان بضدِّ ماذُكِرَ، ولم يَثْبُتْ عِلْمُه؛ وإن ثَبَتْ لم يُثْمِرْ ولم يُبارِكِ الله له فيه. وقد جُرِّبَ ذلك لِجَماعةٍ من السَّلَفِ والخَلَفِ.

ولايَحْسُدَنَّ أحدُ منهم أحداً ولايَحْتَقِرُهُ، ولايَفْتَخِرُ عليه ولايُعْجِبُ بِفَهْم نفسه وسَبْقِهِ لهم، فإنَّه قد كان مِثْلَهم ثمَّ مَنَّ الله تعالى عليه، فَلْيَحْمَدِ اللهَ تعالى على ذلك ويَسْتَزِيده منه بدوام الشُّكرِ. فإذا امْتَثَلَ ذلك وتكامَلَتْ أهلِيَّتُه واشْتَهَرَتْ فضيلَتُه ارتقىٰ إلى مابعده من المراتب، والله وليُّ التَّوْفِيق.

النَّوعُ الثّالث: آدابٌ يَخْتَصُّ بِها المُعَلِّمُ

اعلَم أنّ التعليمَ هو الأصل الذي به قِوام الدين، وهو من أهمّ العبادات، وآدابه تنقسم إلى ثلاثة أقسام: آداب المعلِّم في نفسه، وآدابه مع طلبته، وآدابه في مجلس درسه.

القسم الأوّل: آدابه في نفسه

وهي أُمورٌ:

الأوّل: أن لايَنْتَصِبَ للتدريس حتى تَكْمُلَ أهليَّتُه، وتشهد له بها صُلَحاءُ مشايخِه، ففي الخبر المشهور: «الْمُتَشَبِّعُ بِما لَمْ يُعْطَ كَلابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ».[1] وقال بعض الفضلاء: «من تَصَدَّرَ قبلَ أوانِهِ فقد تَصَدّىٰ لِهَوانِهِ». وقال آخر: «مَنْ طَلَبَ الرِّئاسَةَ في غَيْرِ حِينِهِ لَمْيَزَلْ في ذُلٍّ مابَقِيَ».

---

١. سنن أبي داود، ج ٤، ص ٣٠٠.

وأنشد بعضهم:

لاتَطْمَحَنَّ إلى الْـمَرَاتِبِ قَـبْلَ أنْ تَــتَكامَلَ الأدَواتُ والأسْـباب
إنَّ الــثِّمارَ تَـمَرُّ قَـبْلَ بُـلُوغِها طَـعْماً وَهُـنَّ إذا بَـلَغْنَ عِـذابُ

الثّاني: أن لايُذِلَّ العلمَ فَيَبْذُلَه لغير أهله، اللّهم إلّا أن تدعوَ إليه ضرورةٌ وتقتضيه مصلحةٌ دينيَّةٌ راجحة.

الثّالث: أن يكون عامِلاً بعلمِه زيادةً على ماتقَدَّم في الأمر المشترك، قال الله تعالى: ﴿ أتأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أنْفُسَكُمْ ﴾.[١]

وعن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ ﴾[٢]: «... وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ فِعْلُهُ قَولَه فَلَيْسَ بِعالمٍ».[٣]

وعنه عليه السلام: «العلمُ مقرونٌ إلى العملِ، فمن عَلِمَ عَمِلَ، ومن عَمِلَ عَلِمَ، والعلمُ يَهْتِفُ بالعملِ فإنْ أجابَه وإلّا ارْتَحَلَ».[٤]

وعنه عليه السلام: «إنَّ العالِمَ إذا لم يَعْمَلْ بِعِلْمِه زَلَّتْ موعِظَتُهُ عنِ القُلوبِ كما يَزِلُّ المَـطَرُ عن الصَّفا».[٥]

---

١. البقرة/٤٤.
٢. فاطر/٢٨.
٣. الكافي، ج١، ص٣٦.
٤. نفس المصدر، ص٤٤.
٥. نفس المصدر.

وقال عليﷺ: «قَصَمَ ظَهْري رجلان: عالمٌ مُتَهَتِّكٌ، وَجاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ».[١]

الرّابع: زيادةُ حسنِ الخُلقِ وتمامُ الرِّفقِ وبذلُ الوسعِ في تكميلِ النَّفس، فإنَّ العالِمَ الصّالحَ في هذا الزّمان بمنزلة نبيٍّ من الأنبياء، ومتى كان كذلك فليعلَمْ أنَّه قد عَلَّقَ في عُنُقِه أمانةً عظيمة. قالَ عيسى بنُ مريمﷺ: «يامعشرَ الحواريِّين، لي إليكم حاجةٌ، اقْضُوها لي. قالُوا: قُضِيَتْ حاجتُكَ يا رُوحَ‌الله! فقام فَغَسَّلَ أقدامَهم، فقالوا: كُنّا نَحْنُ أحَقَّ بِهذا يا روحَ‌الله! فقال: إنّ أحَقَّ النّاسِ بالخِدْمَةِ العالمُ، إنّما تواضَعْتُ هكذا لِكَيْما تَتَواضَعُوا بَعْدي في النّاسِ كَتَواضُعي لَكُم. ثمّ قال عيسىﷺ: بالتّواضُعِ تُعْمَرُ الحِكْمَةُ لابالتَّكَبُّر، وكذلكَ في السَّهْلِ يَنْبُتُ الزَّرْعُ لا في الْجَبَل».[٢]

الخامس: أن لايمتنعَ من تعليمِ أحدٍ لكونه غيرَ صحيحِ النّيّة. فربّما عَسُرَ على كثيرٍ من المبتدئين تصحيحُ النيَّةِ لضعفِ نفوسِهم وانحطاطِها عن إدراك السَّعادةِ الآجلة وقِلَّةِ أُنسِهِم بموجباتِ تصحيحها. فالامتناع من تعليمهم يُؤَدّي إلى تفويتِ كثيرٍ من العلم، مع أنَّه يُرْجىٰ بِبَرَكَةِ العلمِ تصحيحُها إذا أنِسَ بالعلم. وقد قال بعضهم: «طلبنا العلمَ لغيرِ الله فأبى أن يكونَ إلّا لِلّٰه». معناه: كانت عاقبتُه أنْ صارَ لِلّٰه.

لكن على المعلِّم إذا شَعَرَ من المتعلِّم فَسادَ النيَّةِ أن يستدرِجَه بالموعظةِ الحسنة، ويُنَبِّهَه على خَطَرِ العلم الذي لايُراد به الله، ويتلُوَ عليه من الأخبارِ الواردةِ في ذلك حالاً فحالاً، حتّى يقودَه إلى القصد الصحيح؛ فإنْ لم‌يُنْجِعْ ذلك ويَئِسَ منه قيلَ: يترُكُهُ

---

١. إحياء علوم الدّين، ج ١، ص ٥٢.

٢. الكافي، ج ١، ص ٣٧.

حينئذٍ ويمنَعُهُ من التعلّم، فإنّ العلمَ لايزيده إلّا شرّاً.

السّادس: بذلُ العلمِ عندَ وجودِ المستحِقِّ وعدمُ البُخلِ به، فإنَّ اللهَ سبحانَه أخذَ على العلماء من العهود والمواثيق ماأخَذَه على الأنبياء ليُبَيِّنُنَّهُ للنّاس ولايَكْتُمُونَه.

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قَرَأتُ في كتابِ عليٍّ عليه السلام: إنّ الله لم يأخُذْ على الجُهّال عَهْداً بِطَلَبِ العلمِ حتّى أخَذَ على العلماءِ عهداً بِبَذْلِ الْعِلْمِ لِلْجُهّال، لأنَّ العلمَ كان قبل الجَهْلِ».[١]

وعن جابر الجُعْفيّ عن أبي جعفر عليه السلام قال: «زَكاةُ الْعِلْمِ أنْ تُعَلِّمَهُ عِبادَ اللهِ».[٢]

السّابع: أن يحترزَ من مخالفةِ أفعالِهِ لأقوالِه وإن كانت على الوجهِ الشرعيّ، مثلُ أن يُحَرِّمَ شيئاً ويفعلَه، أو يُوجِبَ شيئاً ويتركَه، أو يَنْدُبَ إلى فعل شيء ولايـفعلَه؛ وإن كان فعلُه ذلك مطابقاً للشرع بحسبِ حالِه؛ فإنّ الأحكـام الشـرعيّةَ تـختلفُ باختلافِ الأشخاص. وحينئذ فالواجبُ عليه مع خوفِ الْتِباسِ الأمر أن يُبَيِّنَ الوجهَ الموجِبَ للمخالَفَة دفعاً للوَسْواس الشيطانيّ من قلب السّامع، كما اتَّفَقَ للنّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم حين رآه بعضُ أصحابه ليلاً يمشي مع بعض نسائه إلى منزلها، فخاف من تـلبيس إبليسَ عليه وأن يتَوَهَّمَ أنّها ليستْ من نسائِه فقال له: «يا فلان! هذه زَوجَتي فُلانَة».[٣] وإن كان الواجبُ على السامع من أوّل الأمر تركَ الاعتراض عند اشتباهِ الحال ـ بل عندَ احتمالِ المسوِّغِ ـ إلى أن يَتَحَقَّقَ الفَسادُ.

---

١. نفس المصدر، ص٤١.

٢. نفس المصدر.

٣. صحيح مسلم، ج٤، ص١٧١٢.

وبالجملة فَمَثَلُ العالِمِ والمتعلِّم، مَثَلُ الفَصِّ والشَّمْعِ، فإنّه لايَنْتَقِشُ في الشَّمْعِ إلّا ما هو منقوشٌ في الفَصِّ. وقد شاهدنا هذا عياناً في جماعاتٍ من طَلَبَةِ العلم مع مشايِخِهم على اختلافِ أفعالِهم وأخلاقِهم ﴿ولا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[١]

الثّامن: إظهارُ الْحَقِّ بحسبِ الطّاقة من غير مجاملةٍ لأحدٍ من خلقِ الله تعالى، فإذا رأى من أحدٍ ميلاً عن الحقِّ أو تقصيراً في الطاعة وَعَظَه باللُّطْفِ ثُمَّ بالعُنْف؛ فإنْ لم يَقْبَلْ هَجَرَه، فإنْ لم يُنْجِعْ تَوَصَّلَ إلى نهيِه ورَدِّه إلى الحقِّ بِمراتِبِ الأمرِ بالمعروف.

وماجاءتِ الغفلةُ في الغالِب، واستيلاءُ الجَهالَة، والتقصيرُ عن معرفةِ الفرائضِ الدينيَّةِ والقيامِ بالوظائفِ الشرعيَّةِ والسُّنَنِ الحَنيفِيَّةِ وأداءِ الصَّلَوٰاتِ على وجهِها؛ إلّا من تقصيرِ العلماء عن إظهارِ الحقِّ على وجهِه، وإتعابِ النفس في إصلاحِ الخلق ورَدِّهم إلى سلوكِ سبيلِ الله بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ.

ولقد قال بعضُ العلماء ـ ونِعمَ ما قال ـ «إنّ كلَّ قاعدٍ في بيتِه أينما كان فليس خالياً عن المُنكَر من حيثُ التقاعُد عن إرشادِ الناس وتعليمِهم معالِمَ الدّين وحَمْلِهم على المعروف، سيَّما العلماء فإنّ أكثرَ الناس جاهلون بالشرع في الواجبات العينيَّة كالصلاة وشرائطها سيَّما في القُرىٰ والْبَوادي».

فيجبُ كفايةً أن يكون في كلِّ بلدٍ وقريةٍ واحدٌ يُعَلِّمُ الناسَ دينَهم، باذلاً نفسَه للإرشادِ والتعليم باللُّطف، متوصِّلاً إليه بالرِّفق وكلِّ مايكون وسيلةً إلى قبولهم. وأهمُّه قطعُ طَمَعِه عنهم وعن أموالهم؛ فإنّ من عَلِمَوا منه الرَّغْبَةَ في شيءٍ من ذلك زَهِدُوا فيه وفي علمِه، واضْمَحَلَّ أمرُهم بسبب ذلك. وأمّا إذا قَصَدَ وجهَ اللهِ تعالى

---

١. فاطر/١٤.

وامتثـالَ أمرِه، وقع ذلك في قلوبِ الخاصَّةِ والعامَّةِ، وانقادوا لأمرِه واستقاموا على نَهْجِ السَّداد.

القسم الثّاني: آدابُ المعلِّمِ مَعَ طَلَبَتِه

ويجمعها أُمورٌ:

الأوّل: أنْ يُؤَدِّبَهُمْ على التدريج بالآداب السَّـنِيَّة والشِّـيَمِ الْـمَرْضِيَّةِ، ورِيـاضَةِ النفس بالآداب الدينيّةِ، والدقائق الخفيَّةِ؛ ويُعَوِّدَهم الصِّـيانةَ فـي جـميع أُمـورِهم الكامِنة والجليَّةِ، سيَّما إذا آنَسَ منهم رُشْداً.

وأوّلُ ذلك أن يُحَرِّضَ الطالبَ على الإخلاصِ لله تـعالى فـي عَـمَلِه وسـعيه، ومراقَبَةِ اللهِ تعالى في جميع اللَّحَظات، وأن يكون دائماً على ذلك حتّى المـمات؛ ويُعَرِّفَه أنّ بذلك تنفتحُ عليه أبوابُ المعارفُ وينشرِح صدرُه وتنفجِر من قلبِه يَنابيعُ الحكمة واللطائف، ويُبارَكُ له في حاله وعلمه، ويُوَفَّقُ للإصابة فـي قـولِه وفـعلِه وحُكْمِه. وأن يَتْلُوَ عليه الآثارَ الواردةَ في ذلك، ويضربَ له الأمـثالَ الدالَّـةَ عـلى ماهنالك، ويُزَهِّدَهُ في الدنيا ويَصْرِفَه عن التعلُّق بها والرُّكونِ إليها والاغترارِ بزُخْرُفِها، ويُذَكِّرَهُ أنّها فانيةٌ وأنّ الآخرةَ باقيةٌ، وأنّ التّأهُّبَ للباقي والإعراضَ عن الفاني هو طريقُ الحازمين ودأبُ عبادِالله الصّالحين، وأنّها إنما جُعِلَتْ ظرفاً ومَزْرَعَةً لاقتناءِ الكمال ووقتاً للعِلْمِ والعَمَلِ فيها، لِيُحْرِزَ ثَمَرَتَه في دارِ الإقبال بصالحِ الأعمال.

الثّاني: أن يُرَغِّبَهم في العِلْم ويُذَكِّرَهم بفضائله وفضائلِ العُلَماء، وأنّـهم وَرَثَـةُ الأنبياء صَلّى الله عليهم، وأنّهم على منابِرَ من نور يَغْبِطُهُمُ الأنبياءُ والشّهداءُ، ونحوِ ذلك مماوردَفي فضائل العلم والعلماء من الآياتِ والأخبارِ والآثارِ والأشعارِ والأمثال.

الثّالث: أنْ يزجُرَهُم عن سوءِ الأخلاق، وارتكابِ المحرَّمات والمكروهات، أو مايُؤَدِّي إلى فَسادِ حالٍ أو تركِ اشتغالٍ أو إساءَةِ أدبٍ، أو كثرةِ كلامٍ لغيرِ فائدةٍ، أو معاشَرَةِ من لاتليقُ به عَشْرَتُه، أو نحوِ ذلك بطريقِ التعريضِ ماأمكن، لابطريق التصريح مع الغِنى عنه؛ وبطريق الرحمةِ لابطريقِ التوبيخ؛ فإنّ التصريح يَهْتِكُ حجابَ الهَيْبَة، ويورثُ الجُرْأَة على الهجومِ بالخِلافِ، ويُهَيِّجُ الحِرْصَ على الإصرار.

فإن انْزَجَرَ لذَكائه بما ذُكِرَ من الإشارة فَبِها ونِعْمَتْ، وإلّا نهاهُ سِرّاً، فإنْ لميَنْتَهِ نهاهُ جَهْراً، ويُغَلِّظ القولَ عليه إنِ اقْتَضاه الحالُ، لِيَنْزَجِرَ هو وغيرُه، ويَتَأَدَّبَ به كلُّ سامع، فإنْ لميَنْتَهِ فلابأس حينئذٍ بطردِه والإعراضِ عنه إلى أن يرجِعَ، سَيَّما إذا خاف على بعض رِفْقَتِهِ من الطَّلَبَةِ موافَقَتَه.

وكذلك يَتَعَهَّدَ مايعامِلُ به بعضُ الطلبة بعضاً من إفشاء السلام وحسنِ التخاطب في الكلام، والتحابُبِ والتعاونِ على البرِّ والتقوى، وعلى ما هم بصَدَدِه. وبالجملة فكما يُعَلِّمهُمْ مصالِحَ دينِهِمْ لمعاملةِ الله تعالى، يُعَلِّمهُمْ مَصالِحَ دنياهم لمعاملةِ الناس، فَيُكْمِل لهم فضيلةَ الحالَتين.

الرّابع: أن لايتعاظَمَ على المتعلِّمين، بل يلينُ لهم ويتواضَع، قال تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ جَنٰاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.[1]

وقال ﷺ: «إنَّ اللهَ أوْحَىٰ إليَّ أنْ تَواضَعُوا».[2]

---

١. الشعراء/٢١٥.

٢. سنن أبي داود، ج ٤، ص ٢٧٤، الحديث ٤٨٩٥.

وقال ﷺ: «مانَقَصَتْ صَدَقَةٌ من مالٍ، ومازادَ الله عبداً بعفوٍ إلّا عِزّاً، وماتَواضَعَ أحدٌ لِلّهِ إلّا رَفَعَهُ اللهُ».[١]

وهذا في التواضُعِ لمطلقِ الناس، فكيف بهؤلاء الذين هم معه كالأولاد، مع ماهم عليه من ملازَمَتِهِمْ له، واعتمادهم عليه في طلب العلم النافع، ومع ماهم عليه من حقِّ الصُّحْبَةِ وحُرْمَةِ التَّرَدُّدِ وشَرَفِ المحبَّةِ وصدقِ التَوَدُّدِ.

وعنه ﷺ: «لِيْنُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَ، وَلِمَنْ تَتَعَلَّمُونَ مِنْه».[٢]

فعلى المعلِّمِ تحسينُ خُلقِه مع المتعلِّمينَ زيادةً على غيرِهم، والتلطُّفُ بهم إذا لَقِيَهُم، والبَشاشَةُ وَطَلاقَةُ الوجهِ وإظهارُ الْبِشْرِ، وحسنُ المودَّةِ وإعلامُ المحبَّةِ وإظهار الشَّفَقَةِ والإحسانُ إليهم بعلمِه وجاهِه حسبَ مايُمْكِنُ.

ومن ذلك أن إذا غابَ أحدٌ منهم ـ أو من ملازمي الحلقة ـ زائداً على العادَة يَسْأَلَ عنه وعن أحوالِه وموجِبِ انقطاعه، فإنْ لم يُخْبَرْ عنه بشيءٍ أرْسَلَ إليه، أو قَصَدَ منزلَه بنفسه، وهو أفضل كما كان يفعلُ رسولُ الله ﷺ مع أصحابه[٣]، فإنْ كان الغائبُ مريضاً عاده، أو في غَمٍّ خَفَّضَ عنه، أو مسافراً تَفَقَّدَ أهلَه ومن يَتَعَلَّقُ به وسَأَلَ عنهم وتَعَرَّضَ لحوائجِهم ووَصَلَهُمْ بما أمكن، وإنْ لم يحتاجوا إليه في شيءٍ تَوَدَّدَ ودعا.

ومنه أنْ يستعِلمَ أسماء طَلَبَتِهِ وحاضري مجلسه وأنْسابهم وكُناهُمْ ومواطِنَهُم وأحوالَهم، ويُكْثِرَ الدعاءَ لهم؛ وفي الحديث المسلسل بالسؤال عن الاسم والكنية والبلد وأينَ أَنْزِلُ[٤] غنيةٌ في ذلك.

---

١. مسند أحمد، ج٢، ص٣٨٦.

٢. إحياء علوم الدّين، ج٣، ص١٥٣.

٣. لاحظ مكارم الأخلاق، ص٢٩.

٤. أي الحديث الّذى سنده هكذا: «حدَّثني شيخي فلان و سألني عن اسمي وكُنيتي وبلدي ←

وينبغي أن يخاطِبَ كُلّاً منهم ـ سيَّما الفاضِلَ المتَمَيِّز ـ بكُنْيَتِه ونحوها من أحبِّ الأسماء إليه، وما فيه تعظيم له وتوقير، فلقد كان رسول الله ﷺ يُكَنِّي أصحابَه إكراماً لهم[١]، فإنّ ذلك ونحوَه أشْرَحُ لصدورهم، وأبْسَطُ لسؤالهم، وأجلبُ لِمحَبَّتِهِم. ويزيد في ذلك لمن يرجو فَلاحَه ويظهَرُ صَلاحُه. وَلْـيَمْتَثِلْ وصيَّةَ رسولِ الله ﷺ في قوله: «إنَّ النّاسَ لَكُمْ تَبَعٌ، وإنَّ رِجالاً يَأْتُونَكُمْ مِنْ أقْطارِ الأرْضِ يَتَفَقَّهُونَ في الدِّينِ، فإذا أتَوْكُمْ فاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْراً».[٢]

وبالجملة فالعالم بالنسبة إلى المتعلّم كالطبيب للمريض، فكلُّ مايرجو به شفاءَه فَلْيَفْعلْهُ؛ فإنَّ داءَ الْجَهالَةِ النفسانيّةِ أقوى من الأدواءِ البدنيَّةِ.

وقد يَتَّفق كونُ خلافِ ماذكرناه هو الصلاح والدواء، كما يختلف ذلك باختلاف الأمزِجَةِ والطِّباعِ.

الخامس: أن يكون سَمحاً ببذل ماحصَّله من العلم، سهلاً بـإلقائِه إلى مُـبتغيه، مُتَلَطِّفاً في إفادةِ طالبيه، مع رفقٍ ونصيحةٍ وإرشادٍ إلى المهمّات، وتحريصٍ على حفظِ مايَبْذُله لهم من الفوائدِ النفيسات، ولايَدَّخِرَ عنهم من أنواع العلم شيئاً يحتاجون إليه أو يسألونه إذا كان الطالبُ أهلاً لذلك.

وَلْيَكْتُم عنهم مالم يتأَهَّلوا له من المعارف؛ لأنّ ذلك مما يُفَرِّقُ الهمَّ ويُفْسِدُ الحال. فإنْ سأله الطالبُ شيئاً من ذلك نَبَّهَهُ على أنَّ ذلك يَضُرُّه، وأنّه لم يَمْنَعْه منه شُحّاً بل

← وأين أنْزِلُ، قال: حدَّثني شيخي فلان وسألني عن اسمي وكُنيتي وبلدي وأين أَنْزِلُ، قال ...».

١. لاحظ إحياء علوم الدّين، ج٢، ص٣٢٣.

٢. كنز العمّال، ج١٠، ص٢٤٦، الحديث ٢٩٣١٤.

شَفَقَةً ولُطفاً، ثُمَّ يُرَغِّبُه بعد ذلك في الاجتهاد والتحصيل، لِيَتَأَهَّلَ لذلك وغيره.

وقد روي في تفسير كلمة *الرَّبّانِيِّ* أنّه الذي يُرَبِّي النـاسَ بـصِغارِ العـلمِ قـبل كِبارِه.[١]

السّادس: صدّ المتعلِّم أن يشتغِلَ بغير الواجب قبل الواجب، وبفرض الكـفاية قبل فرض العين. ومن فرضِ العين إصلاحُ قلبِه وتطهيرُ باطِنه بالتقوى. ويُقَدِّم على ذلك مؤاخَذَة نفسِه ليقتدِيَ المتعلِّمُ أوّلاً بأعمالِه، ثُمَّ يستفيدَ ثانياً من أقواله. وكذلك يمنعه من عدمِ مراعاة التَّرتيب بين العلوم على ما سيأتى.

السّابع: أن يكونَ حريصاً على تعليمِهم، باذلاً وُسْعَه فـي تـفهيمِهِم وتـقريبِ الفائدةِ إلى أفهامِهِم وأذهانِهِم، مُهْتَمّاً بذلك مُؤْثِراً له على حوائـجِه ومـصالِحِه، مـا لمتكن ضرورةٌ إلى ما هو أرجحُ منه، ولايَدَّخِرَ من نُصْحِهِم شيئاً. ويُفْهِمَ كلَّ واحدٍ منهم بحسبِ فهمِه وحفظِه، فيُلقى للمتميِّزِ الحاذق بالإشارة، ويوضحُ لغيره.

الثّامن: أن يُحَرِّضَهُمْ على الاشتغال في كلِّ وقتٍ، ويُطالِبَهم في أوقاتٍ بإعادةِ محفوظاتِهِم، ويسألَهم عمّا ذكره لهم من المهمّاتِ والمباحث، فمن وَجَدَهُ حـافظاً مراعياً أكْرَمَه وأثنى عليه، وأشاعَ ذلك مالميَخَفْ فَسادَ حالِه بإعجابٍ ونحوه، ومن وَجَدَهُ مُقَصِّراً عَنَّفَه في الخَلوة، وإن رأى مصلَحَةً في الملأ فَعَلَ، فإنَّه طـبيبٌ يَـضَعُ الدَّواءَ حيثُ يُحتاج إليه ويَنْفَعُ.

---

١. صحيح البخاري، ج ٢، ص ٣١.

التّاسع: أن يَطْرَحَ على أصحابِه مايراه من مُسْتَفادِ المسائلِ الدقيقة والنُّكَتِ الغريبة، يختبرُ بذلك أفهامَهم ويُظْهِر فضلَ الفاضِلِ، لِيَتَدَرَّبُوا بِذلك ويَعتادوه، ولايُعَنِّفُ من غَلِطَ منهم في ذلك إلّا أن يرى في ذلك مصلَحَةً.

وقد رُوِيَ عن ابن عُمَرَ أنّ النبيَّ ﷺ قال: «إنّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لايسقُطُ وَرَقُها، وإنَّها مِثْلُ الْـمُسْلِم، حَدِّثُوني ماهِيَ؟ فَوَقَعَ الناسُ في شَجَرِ البوادي ... ثمّ قالوا: حَدِّثْنا ماهي يا رسولَ الله؟ قال: هِيَ النَّخْلَة».[1]

وكذلك إذا فرغ من شرحِ درسٍ، فلابأسَ أن يطْرَحَ على الطلبة مسائلَ تَتَعَلَّقُ بالدَّرس، وإعادَةِ ذكرِ ماأشْكَلَ منه لِيَمْتَحِنَ بذلك فهمَهم وضَبْطَهم لما شَرَحَ لهم، فمن ظهر استحكامُ فهمِه له بِتَكرارِ الإصابة في جوابه شَكَرَه، ومن لم يَفْهَمْه تَلَطَّفَ في إعادته له.

و ينبغي للشيخ أن يأمُرَ الطَّلَبَةَ بالاجتماع في الدرس، لِما يترتَّبُ عليه من الفائدة التي لاتحصُلُ مع الانفراد، وإعادَةِ ما وقع من التقرير بعد فَراغِه فيما بينَهم لِيَثْبُتَ في أذهانِهم.

العاشر: أن يُنْصِفَهُمْ في البحث، فيعترِفَ بفائِدةٍ يقولُها بعضُهم وإن كان صغيراً، فإنّ ذلك من بَرَكَة العلم. قال بعض السلف: «مِن بَرَكَةِ العلم وآدابِه الإنصافُ، ومَن لمَيُنْصِفْ لمَيُفَهِّم ولمَيَتَفَهَّم». فليُلازِمْه في بحثِه وخطابِه، ويسمعِ السؤالَ من مُوردِه على وجهه وإن كان صغيراً، ولايَتَرَفَّعْ عن سَماعِه.

---

١. نفس المصدر، ص١١.

وعليه أن لايَحْسُدَ أحداً منهم لكَثرةِ تحصيلِه أو زيادتِهِ على خاصَّتِه من وَلَدٍ وغيرِه. فإنَّ الحسدَ حرامٌ فكيف بمن هو بمنزلة الولد وفضيلته يعود إلى معلِّمِه ونصيبُ المعلِّم منها أوفرُ نصيب؛ لأنّه مُرَبِّيه، وله في تعليمه وتخريجه في الآخرة الثوابُ الجزيل، وفي الدنيا الدعاءُ المستمِرُّ والثناءُ الجميلُ. ومارأينا ولاسَمِعنا بأحدٍ من المشايخ اهتمَّ بتفضيل ولدِه على غيرِه من الطلبة وأفْلَحَ. فإنَّ الأمرَ بيد الله، والعلمُ ﴿ فضلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ، وَاللهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾.[1]

الحادي عشر: أن لايُظْهِرَ للطلبة تفضيلَ بعضِهم على بعض عنده في مَوَدَّةٍ أو اعتناءٍ مع تساويهم في الصفات من سِنٍّ أو فضيلةٍ أو دِيانةٍ، فإنّ ذلك ربّما يُوحِشُ الصدرَ ويُنَفِّرُ القلبَ. فإنْ كان بعضُهُم أكثرَ تحصيلاً وأشدَّ اجتهاداً وأحْسَنَ أدَباً فأظْهَرَ إكرامَه وتفضيلَه، بَيَّنَ أنّ زيادةَ إكرامه لتلك الأسباب، ولابأس به، فإنّه يُنَشِّطُ ويَبْعَثُ على الاتّصافِ بتلك الصفات المرجِّحَةِ.

الثّاني عشر: إذا سلكَ الطالبُ في التحصيل فوقَ مايقتضيه حالُه أو تَحْمِلُه طاقتُه وخافَ ضَجَرَه، أوصاهُ بالرِّفْقِ بنفسِه وذَكَّرَه بقول النبيِّ ﷺ: «إنَّ الْـمُنْبَتَّ (يعني المفرِط) لاأرْضاً قَطَعَ ولاظَهْراً أبْقىٰ»،[2] ونحوِه مِمّا يَحْمِلُه على الأَناةِ والاقتصاد في الاجتهاد. وكذلك إذا ظَهَرَ له منه نوعُ سَآمَةٍ أو ضَجَرٍ أو مبادئَ ذلك، أمَرَه بالرَّاحَةِ وتخفيفِ الاشتغال، وَلْيَزْجُرْه عن تعلُّمِ مالايحتمِلُه فَهْمُه أو سِنُّه من علمٍ أو كتابٍ

١. الجمعة/٤.

٢. الكافي، ج٢، ص٨٧، مع تقديمٍ وتأخيرٍ وزيادة.

يَقْصُرُ ذهنُه عن فهمِه. فإن استشاره من لايعرِفُ حالَه في الفهم والحفظ في قِراءَةِ فنٍّ أو كتاب لمْيُشِرْ عليه حتى يُجَرِّبَ ذهنَه ويَعْلَمَ حالَه.

الثّالث عشر: إذا كان متكفِّلاً ببعض العلوم لا غير، لاينبغي له أن يُقَبِّحَ في نفس الطالب العلومَ التي وراءَه، كما يتَّفِقُ ذلك كثيراً لِجَهَلَةِ المعلِّمين؛ فإنّ المرءَ عدوٌّ ما جَهِلَه.

وهكذا ينبغي للمعلِّم أن يُوَسِّعَ على الطالب طريقَ التعَلُّمِ في غير مابِيَده، وإذا رأى مَرْتَبَةَ العلمِ الذي بيده متأخِّرةً عمّا بِيَدِ غيره يُرْشِدُه إلى من بِيَدِه السابق؛ فإنَّ ذلك هو الواجبُ من نُصْحِ المسلمين وحفظِ العلم والدين، وأتمُّ دليلٍ على كمال المعلِّم، وموجِبُ المَلَكَةِ الصالحةِ للمتعلِّمِ.

الرّابع عشر: وهو من المهمِّ أنْ لايتأذّىٰ ممّنْ يقرأ عليه إذا قرأ على غيره أيضاً لمصْلَحةٍ راجعةٍ إلى المتعلِّم؛ فإنَّ هذه مصيبةٌ يُبْتَلى بها جَهَلَةُ المعلِّمين ومن لايُريد بعلْمِه وجهَ الله تعالى، لِغَباوَتِهم وفَسادِ نِيّاتِهِمْ. وهو من أوضح الأدلَّةِ على عدم إرادتهم بالتعليم وجهَ الله الكريم وثوابَه الجسيم؛ فإنّه عبدٌ مأمورٌ بأداءِ رسالةِ سيِّدِه إلى بعضِ عبيدِه، فإذا أرسَلَ السيِّدُ عبداً آخرَ لأداءِ الرِّسالةِ لاينبغي للأوّلِ الغَضَبُ؛ فإنّ ذلك لايَنْقُصُه عند السيِّد، بل يزيده قَدْراً ورِفْعَةً عنده إذا وَجَدَه مُمتثِلاً لما يُريدُه منه أو من غيرِه.

هذا إذا كان المعلِّمُ الآخَرُ أهلاً، أما لو كان جاهِلاً أو فاسِقاً أو مبتدِعاً أو كثيرَ الغلطِ، ونحو ذلك بحيث يُفيدُ الطالبَ مَلَكَة رَدِيئَةً لايُرَجَّحُ عليها مايُحَصِّلُه من العلم عليه، فالتحذيرُ من الاغترارِ به حَسَنٌ مع مراعاةِ المقصَد الصحيحِ المنجِح ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ

الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ﴾.[١]

الخامس عشر: إذا تَكَمَّلَ الطالبُ وتَأَهَّلَ للتّعليمِ واستغنى عن التعلُّم، فينبغي أن يقومَ المعلِّمُ بنظامِ أمرِه في ذلك، ويَمْدَحَه في المحافِل، ويأمُرَ الناسَ بالاشتغالِ علَيه والأخذِ عنه؛ فإنّ الجاهلَ بحالِه قد لايَأْنَسُ ولايَطْمَئِنُّ به إذا تَصَدَّىٰ المتعلِّمُ للتعليم بدون إرشاد من هو معلوم الحال. وَلْيُنَبِّهْ على حاله مفصَّلاً ومقدارِ معلوماتِه وتقواه وعَدالَتِه ونحوِ ذلك ممّا له مَدْخَلٌ في إقبالِ الناسِ على التعلُّمِ منه، فإنّ ذلك سببٌ عظيمٌ لانتظامِ العلمِ وصَلاحِ الحال.

كما أنّه لو رأى منه مَيلاً إلى الاستبدادِ والتدريس، ويَعْلَمُ قُصُورَه عن تلك المرتَبَةِ واحتياجَه إلى مزيدِ التعلُّمِ، ينبغي أن يُقَبِّحَ ذلك عنده، ويُشَدِّدَ النكيرَ عليه في الخلاءِ، فإنْ لم يَنْجَعْ فَلْيُظْهِرْ ذلك على وجهِ صحيحِ المقصَد حتّى يرجِعَ إلى الاشتغال ويَتَأَهَّلَ للكَمال.

ومرجِعُ الأمر كلِّه إلى أنّ المعلِّم بالنسبة إلى المتعلِّم بمنزلة الطبيب، فلابُدَّ له في كلِّ وقتٍ من تأمُّلِ العِلَّةِ المحوجَةِ إلى الإصلاح، ومداواتِهِ على الوجهِ الذي تقتضيهِ العِلَّةُ. ولِلذَّكيِّ في تفصيلِ الحالِ مالايدخلُ تحتَ الضَّبْطِ. فإنّ لِكلِّ مقامٍ مقالاً صالحاً، ولكلِّ مرضٍ دواءً ناجحاً، والله الموَفِّقُ.

القسم الثّالث: في آداب المعلِّم في درسه

وهي أُمورٌ:

الأوّل: أن لايَخرُجَ إلى الدرس إلّا كامِلَ الأُهْبَةِ مع مايوجِبُ له الوَقارَ في اللِّباس

١. البقرة/٢٢٠.

والهَيأة والنَّظافَة في الثوب والبدن. ويختار البياض في اللِّباس فإنَّه أفضلُ. ولايعتني بفاخر الثياب بل بما يوجب الوَقارَ وإقبالَ القلوب عليه، كما ورد النصُّ به في أئمَّة المحافِلِ من الأعياد والجُمُعاتِ وغيرِهما. وقد اشتمل كتاب الزيِّ و التـجمُّل مـن كتاب ***الكافي*** على الأخبار الصحيحة في هذا الباب بـما لامـزيدَ عـليه، ويَـخْرُجُ التعرُّضُ له عن موضوع الرِّسالَةِ.

ولْيَقْصِدْ بذلك تعظيمَ العلم وتبجيلَ الشريعة. ولْيَتَطَيَّبْ ويُسَرِّحْ لِحْيَتَه، ويُزِلْ كلَّ مايَشِينُه. كان بعضُ السلف إذا جاءه الناسُ لطلبِ الحديث يَغْتَسِلُ وَيَتَطَيَّبُ وَيَلْبَسُ ثِياباً جُدَداً، وَيَضَعُ عِمامتَه على رأسِه، ثمّ يجلِسُ على مِنَصَّةٍ ويُبَخِّرُ بالعود حـتّى يَفْرُغَ، ويقول: «أُحِبُّ أن أُعظِّمَ حدِيثَ رسولِ اللهِ صلّى الله عليه وآله وسلّم».

الثّاني: أن يدعُوَ عند خروجه مُريداً للدرس بالدعاءِ المرويِّ عن النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «**أللّهُمَّ إنّي أعوذُ بِكَ أنْ أضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أزِلَّ أوْ أُزَلَّ، أو أظْلِمَ أوْ أُظْلَمَ، أو أجْهَلَ أوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ، عَزَّ جارُكَ، وَجَلَّ ثَناؤُكَ، ولاإلهَ غَيْرُك**. ثُمّ يقول: **بِسْمِ اللهِ، حَسْبِيَ اللهُ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، وَلاحَوْلَ وَلاقُوَّةَ إلاّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، اللّهُمَّ ثَبِّتْ جَناني، وأدِرِ الْحَقَّ عَلىٰ لِساني**».[1]

ويُدِيمَ ذكرَ الله تعالى إلى أنْ يَصِلَ إلى المجلس.

الثّالث: أنْ يُسَلِّمَ على من حَضَرَ إذا وصل إلى المجلس، ويُصَلِّي ركعتين تحيَّةً إن كان مسجِداً، وإلّا نَوىٰ بهما الشكرَ لِلّه تعالىٰ على توفيقه وتأهيله لذلك، أو الحاجة إلى تسديده وتأييده وعِصْمَتِه من الخطأ، أو مطلقتين؛ فإنّ «الصلاةَ خَيْرُ موضُوعٍ». وأمّا

---

١. سنن أبي داود، ج ٤، ص ٣٢٥.

استحبابهما لذلك بخصوصه فلم يَثْبُتْ، وإن استحَبَّه بعضُ العلماء. ثمّ يدعو بعدَهما بالتوفيق والإعانة والعصمَةِ.

الرّابع: أن يَجْلِسَ بسكينةٍ ووَقارٍ وتواضعٍ وخشوع وإطراق، ثـانياً رجـلَيه أو مُحْتِبِياً، غيرَ مُتَرَبِّعٍ ولامُقْعٍ، ولا غيرِ ذلك من الجلسات المكروهة[١] مع الاختيار. وأن لايَمُدَّ رِجْلَيْه ولاإحداهما من غير عُذْرٍ، ولايَتَّكِئَ إلى جنبه ولاوراءِ ظـهره ونـحوِ ذلك. كلُّ ذلك في حال الدرس، أمّا في غيره فلابأس لأنّ الطَّلَبَةَ بِمَنْزِلَةِ أولادِه.

الخامس: قيل: يجلسُ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَة؛ لِأَنَّه أشرفُ، ولقوله ﷺ: «خَيْرُ المجالِسِ ماٱسْتُقْبِلَ به القبلة».[٢] ويمكن أن يـقال بـاستحباب اسـتدبارِه لهـا لِـيَخُصَّ الطـلبةَ بالاستقبال، لأنّهم أكثر.

السّادس: أن يَنْوِيَ قبلَ شروعِه بل حينَ خروجِه من منزِله تعليمَ العلمِ ونَشْرَه وبَثَّ الفوائدِ الشرعيَّةِ، وتبليغَ الأحكامِ الدينيَّةِ التـي اؤْتُـمِنَ عـليها وأُمِـرَ بِـبَيانِها، والازديادَ في العلم بالمذاكَرَة، وإظهارَ الصوابِ والرجوعَ إلى الحقِّ، والاجتماعَ على ذكر الله تعالى، والدعاءَ للعلماء الماضين والسلف الصالحين، وغيرَ ذلك ممّا يَحْضُرُه من المقاصد. فإنّ بِإحضارِها بالبال وكَثْرتِها يزيدُ ثوابُ العمل؛ فإنّما الأعمال بالنّيّات. أصْلَحَ الله تعالى بِجُودِهِ وكَرَمِه أعمالَنا وسَدَّدَنا في أقوالِنا وأخْلَصَ سَرائِرَنا ومـقاصِدَنا

---

١. راجع بحارالانوار، ط بيروت (سنة ١٤٠٣ هـ)، ج٧٢، ص٤٦٩.

٢. المبسوط، ج٨، ص٩٠.

بمنِّهِ وفَضْلِهِ.

السّابع: أنْ يَسْتَقِرَّ على سَمْتٍ واحد مع الإمكان، فَيَصُونَ بدنَه عن الزَّحْفِ والتَّنَقُّلِ عن مكانِه والتَّقَلْقُلِ، وَيَدَيْهِ عن الْعَبَثِ والتشبيك بهما، وعَيْنَيْهِ عن تفريقِ النظر بلاحاجة.

وَلْيتَّقِ كَثْرَةَ المِزاحِ والضِّحْك؛ فإنّه يُقَلِّلُ الْهَيْبَةَ ويُسْقِطُ الْحُرْمَةَ ويُزِيلُ الْحِشْمَةَ ويُذْهِبُ الْعِزَّةَ من القلوب؛ وأمّا القليلُ من المِزاح فمحمودٌ كما كان يَفْعَلُه النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم[١] ومَن بعدَه مِن الأئمّةِ المهديِّينَ عليهم السلام[٢]؛ تأنيساً للجُلَساء وتأليفاً للقلوب. وقريبٌ منه الضِّحْكُ، فقد كان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يَضْحَكُ حتّى تَبْدُو نواجِذُهُ[٣]. ولكن لايَعْلُو الصوتُ، والْعَدْلُ التَّبَسُّمُ.

الثّامن: أنْ يجلِسَ في موضع يَبْرُزُ وجهُه فيه لجميع الحاضرين، ويلتفتَ إليهم التفاتاً خاصّاً بحسبِ الحاجةِ للخطاب، ويُفَرِّقَ النظرَ عليهم، ويَخُصَّ من يُكَلِّمُه أو يَسْأَلُه أو يَبْحَثُ معه على الوجه بمزيدِ التفاتٍ إليه وإقبالٍ عليه، وإن كان صغيراً أو وضيعاً.

التّاسع: أن يُحَسِّنَ خُلُقَه مع جُلَسائِه زيادةً على غيرهم، ويُوَقِّرَ فاضِلَهم بعلمٍ أو سِنٍّ أو صَلاحٍ أو شَرَفٍ أو نحو ذلك، ويَرْفَعَ مَجالسَهُمْ على حسبِ تقديمهم في الإمامة[٤]

---

١. مكارم الأخلاق، ص ٢١.

٢. لاحظ شرح ابن أبي‌الحديد لنهج البلاغة، ج ١، ص ٢٥.

٣. مكارم الأخلاق، ص ٢١.

٤. يعني إمامةَ الجَماعة على ما قُرِّرَ في مَحلِّه.

ويَتَلَطَّفَ بالباقين ويُكْرِمَهُمْ بحُسْن السلام وطَلاقَةِ الوجه والبَشاشَةِ والابتسام، وبالقيام لهم على سبيل الاحترام ولا كَراهَةَ فيه بوجهٍ، وإن كان في بعض الأخبار مايُوهِمُه[١]؛ وتحقيقه في غير هذا المحلّ.[٢]

العاشر: أن يُقَدِّمَ على الشروع في البحث والتدريس تِلاوةَ ماتَيَسَّرَ من القرآن العظيم تَيَمُّناً وتَبَرُّكاً، وكان بعض العلماء يختارُ قراءَةَ سورةِ **الأعلى**، ويزعم أنّه مُتَأَسٍّ ومُتَفَائِلٌ بما فيها من قوله تعالى ﴿الأعلى﴾ وقوله تعالى ﴿قدَّرَ فَهَدىٰ﴾ وقوله تعالى ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلاٰ تَنْسىٰ﴾ وقوله تعالى ﴿فَذَكِّرْ﴾ وقوله تعالى ﴿صُحُفِ إبراهيمَ وَموسىٰ﴾. وأن يدْعُوَ عقيبَ القِراءَة لنفسِه وللحاضرين ولسائر المسلمين، ثمَّ يَسْتَعِيذَ بالله من الشيطان الرجيم، ويُسَمِّيَ اللهَ تعالى ويَحْمَدَه، ويُصَلِّيَ ويُسَلِّمَ على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وعلى آلِه وأصحابِه، ثُمَّ يدعُوَ للعلماء الماضين والسلفِ الصالحين، ولمشايخِه خاصَّةً ولوالدَيه وللحاضرين، وإن كان في مَدْرَسَةٍ ونحوها دعا لِواقِفِ المكان أيضاً. وهذا وإن لَمْ يَرِدْ به نَصٌّ على الخصوص، لكنَّ فيه خيرٌ عظيمٌ وبركة والمحلُّ موضعُ إجابة، وفيه اقتداءٌ بالسلفِ من العلماء، فقد كانوا يَسْتَحِبُّونَ ذلك.

الحادي عشر: أنْ يَتَحَرّىٰ تفهيمَ الدرسِ بأيْسَرِ الطُّرُقِ، وَأعْذَبِ مايُمْكِنُه من الألفاظ، مُتَرسِّلاً مُبَيِّناً مُوَضِّحاً مُقَدِّماً ماينبغي تقديمُهُ، مُؤَخِّراً ماينبغي تأخيرُه، مُرَتِّباً

١. مثل ما روي في سنن أبي‌داود، ج ٤، ص٣٥٨ عن أبي‌أُمامة قال: خرج علينا رسول‌الله صلّى الله عليه وآله وسلّم متوكّئاً على عصاً فقمنا إليه، فقال: «لاتقوموا كما تقوم الأعاجم يُعَظِّم بعضهم بعضاً».

٢. لاحظ بحارالانوار، ط بيروت (سنة ١٤٠٣ هـ)، ج٧٢، ص٤٦٦ و٤٦٧، ح١٣ و١٤؛ والمحجّة البيضاء، ج٣، ص ٣٩٠ ـ ٣٩٣ وفيه: أنَّ القيام مكروه على سبيل الإعظام لا على سبيل الإكرام.

من المقدّماتِ مايَتَوَقَّفُ عليها تحقيقُ المحلِّ، واقفاً في موضِعِ الوقف، مُوصِلاً في موضِعِ الوصل، مُكَرِّراً مايُشْكِلُ من معانيه وألفاظِه مع حاجةِ الحاضرين أو بعضِهم إليه. وإذا فَرَغَ من تقريرِ المسألة سكت قليلاً حتّى يَتَكَلَّمَ مَنْ في نفسه كلامٌ عليه.

ولايذكرْ في الدرس شبْهَةً في الدين ويُؤَخِّر الْجَوابَ عنها إلى درس آخَرَ، بل يذكرهما جميعاً أو يؤَخِّرهما جميعاً، سيَّما إذا كان الدرسُ يَجْمَعُ الخاصَّ والعامَّ ومن يُحْتَملُ أن لايعودَ إلى ذلك المقام، فتقعُ الشبهةُ في نفسه ولايَتَّفِقُ له جوابُها فيصير سبباً في فِتْنَتِهِ.

الثّاني عشر: إذا تَعَدَّدَتِ الدُّروسُ، فَلْيُقَدِّمْ منها الأشرفَ فالأشرفَ والأهمَّ فالأهمَّ، فَيُقَدِّمُ أُصولَ الدين ثمّ التفسيرَ ثمَّ الحديثَ ثمَّ أُصولَ الفقه ثم الفقهَ ثمّ النحوَ ثمّ المعاني. وعلى هذا قياس باقي العلوم بحسب مَرْتَبَتِها والحاجة إليها، وسيأتي إن شاء الله مايُعِينُ على هذا الترتيب في باب يَخُصُّه.[1]

الثّالث عشر: أن لايُطَوِّلَ مجلِسَه تطويلاً يُمِلُّهم أو يَمْنَعُهم فهمَ الدرس أو ضبطَه، لأنّ المقصودَ إفادَتُهم وضبطُهم، فإذا صاروا إلى هذه الحالة فاتَ المقصود. وأن لايُقَصِّرَه تقصيراً يُخِلُّ ببعض تقريرِه أو ضبطِه أو فهمِه، لفوات المقصود.

الرّابع عشر: أن لايشتغِلَ بالدرس، وبه مايُزْعِجُه ويُشَوِّشُ فِكْرَه من مَرَضٍ أو جُوعٍ أو عَطَشٍ أو مُدافَعَةِ حَدَثٍ أو شِدَّةِ فَرَحٍ أو غَمٍّ أو غَضَبٍ أو نُعاسٍ أو قَلَقٍ أو بَرْدٍ أو

---

١. الخاتمة، المطلب الثّالث.

حَرٍّ مُؤْلمِيْنِ؛ حَذَراً من أن يُقَصِّرَ عن استيفاءِ المطلوبِ من البحث، أو يُفْتيَ بغير الصّواب.

الخامس عشر: أن لا يكونَ في مجلسه ما يُؤْذي الحاضرينَ من دُخانٍ أو غُبارٍ أو صوتٍ مُزْعِجٍ، أو شمسٍ موجبةٍ لِلْحَرِّ الشديدِ، أو نحو ذلك ممّا يمنَعُ من تأديةِ المطلوب، بل يكونَ واسعاً مَصُوناً عن كلِّ ما يَشْغَلُ الفِكْرَ ويُشَوِّشُ النَّفْسَ، لِيَحْصُلَ فيه الغرضُ المطلوبُ.

السّادس عشر: مراعاةُ مصلَحةِ الجَماعةِ في تقديمِ وقتِ الحضورِ وتأخيرِه في النهار، إذا لم يكن عليه فيه ضرورةٌ ولا مزيدُ كُلْفَةٍ. ومن الضرورة الاشتغال في الوقت الصالح بالمطالعة والتصنيف حيث يكون الاشتغال به أولى من التدريس.

السّابع عشر: أن لا يرفَعَ صوتَه زيادةً على الحاجة، ولا يَخْفِضَه خَفْضاً يمنَعُ بعضَهم من كمال فهمِه، وقد رُوي عن النبيّ ﷺ: «**إنّ اللهَ يُحِبُّ الصَّوْتَ الْخَفِيضَ، ويُبْغِضُ الصَّوْتَ الرَّفِيعَ**».[١]

الثّامن عشر: أن يَصُونَ مجلسَه عن اللَّغَطِ ـ فإنّ الْغَلَطَ تحتَ اللَّغَطِ ـ وعن رفعِ الأصواتِ وسوءِ الأدب في المباحَثَة، واختلاف جهات البحث، والعدول عن المسألةِ إلى غيرها قبل إكمالها. فإذا ظهر من أحد الباحثين شيءٌ من مبادئ ذلك تَلَطَّفَ في دفعِه قبلَ انتشارِه وثَوَرانِ النفوس. ويَذْكُرُ لجُملةِ الحاضرين ما يقتضي قُبحَ الانتقالِ المذكور،

---

١. في كنز العمّال، ج ٣، ص ٥٦٩، ما يقرب منه.

وأنَّ ذلك سبَبُ الْعَداوَةِ والْبَغْضاءِ الموجبتين لتشويشِ الفكر وذَهـابِ الدِّيـن، وأنّ الواجبَ كونُ الاجتماع خالصاً لله تعالى لِيُثْمِرَ الفائدةَ في الدنيا والسعادةَ في الأُخرىٰ.

التّاسع عشر: أن يَزْجُرَ من تَعدّىٰ في بحثِه، أو ظَهَرَ منه لَدَدٌ أو سوءُ أدب أو تركُ إنصافٍ بعدَ ظهورِ الحقِّ، أو أكْثَرَ الصّياحَ بغير فائدة، أو أساءَ أدَبَه على غيرِه مـن الحاضرين أو الغائبين، أو تَرَفَّعَ على من هو أولى منه في المجلِس، أو نامَ أو تَحَدَّثَ مع غيره حالةَ الدرس بما لاينبغي، أو ضَحِكَ أو اسْتَهْزَأَ بأحدٍ أو فَعَلَ مايُخِلُّ بأدبِ الطالب في الْحَلْقَةِ. هذا كلُّه إذا لم يَتَرتَّبْ على ذلك مَفْسَدَةٌ.

العشرون: أنْ يُلازِمَ الإرفاقَ بهم في خِطابِهم وسَماعِ سؤالِهم. فإذا عجزَ السائلُ عن تقريرِ ماأوردَه أو تحريرِ العبارةِ فيه، لحياءٍ أو قصورٍ ووَقَعَ على المعنى، عَبَّرَ عن مراده أوّلاً وَبيَّنَ وجهَ إيرادِه، وأجابَ بما عندَه. وإن اشتبهَ عـليه مـرادُه سأله عـن الأُمورِ التي يَحْتَمِلُ إرادتَه لها، فيقول له: «أتريدُ بقولك كذا؟» فإن قال «نعم» أجابه وإلّا ذكر محتَملاً آخر. وإن سألَ عن شيءٍ ركيكٍ فلايستهزئُ به ولايحتَقِر السّائلَ، فإنّ ذلك أمر لاحيلة فيه، وَيَتَذَكَّر أنّ الجميعَ كانوا كذلك ثمَّ تَعَلَّمُوا وَتَفَقَّهُوا.

الحادي والعشرون: أنْ يَتَوَدَّدَ لغريبٍ حضَرَ عنده، وَيَنْبَسِطَ له لِيَنْشَرِحَ صـدرُه؛ فإنّ للقادم دَهْشَةً سيّما بين يَدَيِ العلماء. ولايُكْثِرَ النظرَ والالتفاتَ إليه استغراباً له؛ فإنّ ذلك يُخَجِّلُه ويَمْنَعُه من المُساءَلَةِ والمشارَكَةِ في البحث إن كان من أهله.

الثّاني والعشرون: إذا أقبلَ بعضُ الفضلاء وقد شرَعَ في مسألةٍ، أمسَكَ عنها حتّى

يَجْلِسَ، وإن جاء وهو يَبْحَثُ أعادها له أو مقصودَها. وإذا أقبلَ وقد بَقِيَ للفَراغ وقيامِ الجماعة بقدرِ ما يصلُ إلى المجلس، فَلْيُؤَخِّرْ تلك البقيَّةَ، ويشتغلُ عنها ببحثٍ أو غيرِه إلى أن يَجْلِسَ ثمَّ يُعِيدها أو يُتَمِّم تلك البقيَّةَ؛ كيلا يَخْجَلَ المقبِلُ بِقِيامهم عند جلوسه.

الثّالث والعشرون: ـ وهو من أهمّ الآداب ـ إذا سُئِلَ عن شيءٍ لايَعْرِفُه، أو عَرَضَ في الدرس ما لايَعْرِفُه، فلْيَقُلْ: «لاأعرِفُه» أو «لاأتَحَقَّقُهُ» أو «لاأدري» أو «حتّى أُراجِعَ النظرَ في ذلك». ولا يَسْتَنْكِفْ عن ذلك؛ فمِنْ عِلْمِ العالم أن يقولَ فيما لايَعلم: «لاأعلَم، الله أعْلَمُ».

قال عليّ عليه السلام: «إذا سُئِلْتُمْ عمّا لاتَعْلَمُونَ فاهْرُبُوا، قالُوا: وَكَيْفَ الْهَرَبُ؟ قالَ: تَقُولُونَ: اللهُ أَعْلَم».[1]

وقال بعضُ الفضلاء: "ينبغي للعالم أنْ يُوَرِّثَ أصْحابَه «لاأدري»". ومعناه أن يُكْثِرَ منها لِتَسْهَلَ عليهم ويَعْتادُوها، فيستعمِلُوها في وقتِ الحاجة.

واعلم أنّ قولَ العالِم: «لاأدري» لايَضَعُ مَنْزِلَتَه، بل يَزِيدُها رِفْعَةً ويزيدُه في قلوب الناس عَظَمَةً، تفضُّلاً من الله تعالى عليه وتعويضاً له بالتزامه الحقّ.

وإنّما يمتنع مِنْ «لاأدري» من قَلَّ عِلمُه وعُدِمَتْ تقواه وديانتُه؛ لأنّه يَخافُ لقصوره أن يَسْقُطَ من أعْيُنِ الناس، وهذه جَهالةٌ أُخرى منه.

الرّابع والعشرون: أنّه إذا اتَّفَقَ له تقريرٌ أو جوابٌ تَوَهَّمَه صواباً، يُبادر إلى التنبيه على فَسادِه وتبيين خطائه قبل تَفَرُّقِ الحاضِرين، ولا يَمْنَعْه الحياءُ أو غَيرُه من المبادَرة،

---

١. سنن الدّارمي، ج ١، ص ٦٣.

ولاتَحْمِلْه النفسُ الأمّارة بالسوء على التأخير إلى وقتٍ آخرَ خالٍ؛ فإنَّه من خُدَعِ النفسِ وتلبيسِ إبليسَ لَعَنَهُ الله؛ وفيه ضررٌ عظيم من وجوهٍ كثيرة.

الخامس والعشرون: التنبيه عند فَراغ الدرس أو إرادته بما يَدُلُّ عليه إن لم يَعْرِفْه القارئ، وقد جَرَتْ عادةُ السلف أن يقولوا حينئذ: «وَاللهُ أعلم».

وقال بعض العلماء: "الأولى أن يُقالَ قبل ذلك كلامٌ يُشْعِرُ بختمه الدرسَ، كقوله: «هذا آخره» أو: «مابعده يأتي إن شاء الله تعالى» ونحو ذلك، ليكون قولُه «والله أعلم» خالصاً لذكر الله تعالى ولقصد معناه، ولهذا ينبغي أن يَسْتَفْتِحَ كُلَّ درس بـ «بسم‌الله الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ» ليكون ذاكراً لِلّٰه تعالى في بَدايَتِه وخاتِمَتِه".

السّادس والعشرون: أن يَخْتِمَ الدرسَ بذكر شيءٍ من الرقائق والحِكَم والمواعِظِ وتطهير الباطن، لِيَتَفَرَّقُوا على الْخُشُوعِ والخُضوعِ والإخلاص، فإنّ البحثَ البحتَ يورِثُ في القلوب قُوَّةً، وربَّما أعْقَبَ قَسْوَةً، فَلْيُحَرِّكْه في كلِّ وقت إلى الإقبال، ويُلاحِظه بالاستكمال، ولاشيءَ أصلحُ من تلك الحالة.

السّابع والعشرون: أن يختِمَ المجلسَ بالدعاء كما بَدَأَ به، بل هو الآن أولى وأقرب إلى الإجابة؛ لِما قد غَشِيَهُمْ من الرحمة وخَصَّهُمْ من المثُوبَةِ، وَلْيَتَضَمَّنْ دعاؤُهم الأئمَّةَ الراشدينَ والعلماءَ السابقينَ، وتعميم جماعة المسلمين، وأن يَجْعَلَ أعمالَهم خالصةً لوجه‌الله، مُقَرِّبَةً إلى مرضاتِه.

الثّامن والعشرون: أن يَمْكُثَ قليلاً بعدَ قيام الجَماعة؛ فإنّ فيه فوائدَ وآداباً له

ولهم، منها: إن كان في نفس أحدٍ منهم بقايا سؤالٍ تَأَخَّرَ؛ ومنها: إن كان لأحدٍ بـه حاجةٌ وقد صَبَرَ عليها حتى فَرَغَ يذكرها له؛ ومنها: عدمُ مُزاحَمَتِهِمْ ورفـعُ الْكُـلْفَةِ عنهم بخروجه قبلَهم، وخَفْقِ النِّعالِ خَلْفَه، وهو آفةٌ عظيمةٌ خَطِرة؛ ومنها: عدمُ ركوبه بينهم إن كان يَرْكَبُ، إلى غير ذلك.

التّاسع والعشرون: أن يَنْصبَ لهم نقيباً فَطِناً كَيِّساً يُرَتِّبُ الحاضرين ومن يَدْخُلُ عليه على قدر منازِلِهم، ويُوقِظُ النائمَ ويُنَبِّهُ الغافلَ، ويشيرُ إلى ماينبغي فعلُه وتركُه، ويأمُرُ بِسَماع الدروس والإنصات إليها لمن لايعرِف. وكذلك يَنْصِبُ لهم رئيساً آخرَ يُعَلِّمُ الْجاهِلَ، ويُعِيدُ درسَ من أراد، ويُرْجَعُ إليه في كثيرٍ مما يُسْتَحْيىٰ أن يُلْقىٰ به العالِمُ من مسألةٍ أو درس؛ فإنّ فيه ضبطاً لوقت العالِم، وصلاحاً لحال المتعلِّم.

الثّلاثون: أنْ يقولَ إذا قام من مجلِسه: "سُبْحانَكَ اللّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أشْهَدُ أنْ لاإلٰهَ إلّا أنْتَ، أسْتَغْفِرُكَ وَأتُوبُ إلَيْكَ، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ● وَسَلَامٌ عَلَى الْـمُرْسَلِينَ ● وَالْحَمْدُلِلّٰهِ رَبِّ العالمين[1] ﴾." رواه جَماعةٌ من فعلِ النبيِّ ﷺ.[2] وفي بعض الرواياتِ[3] أنّ الثَلاثَ آيات[4] كفّارةُ المجلسِ. وكما يُسْتَحَبُّ ذلك للعالِم يُسْتَحَبُّ لكلِّ قائمٍ من مجلسه لكنَّه في حقِّ العالِمِ آكَدُ.

---

١. الصّافّات/ ١٨٠ ـ ١٨٢.

٢. كتاب من لايحضره الفقيه، ج٣، ص٢٣٨ والجامع الصَّغير، ج٢، ص١١٣.

٣. لاحظ: الكافي، ج٢، ص٤٩٦؛ كتاب من لايحضره الفقيه، ج٣، ص٢٣٨؛ مجمع‌البيان، ج٨، ص٤٦٣ و بحارالأنوار، ط بيروت (سنة ١٤٠٣ هـ)، ج٧٢، ص٤٦٨.

٤. يعني الآيات الثلاثة الأخيرة من سورة الصّافّات المباركة.

البَابُ الثّاني

في الكِتابَةِ والكُتُب

و فيه مَسائلُ:

المسألة الأُولى: قد ورد في الحثّ على الكتابة، والوعدِ بالثوابِ الجزيل على فعلِها كثيرٌ من الآثار: فمنه عن النبيِّ ﷺ قال: «قَيِّدُوا الْعِلْمَ. قيل: وَما تَقْييدُه؟ قال: كِتابَتُه». [١]

ورُوي: أنّ رجلاً من الأنصار كان يجلس إلى النبيِّ ﷺ يستمع منه الحديث فَيُعْجِبُه ولا يَحْفَظُه، فشكا ذلك إلى النبيِّ ﷺ، فقال له النبيُّ: «اسْتَعِنْ بِيَمينِك؛ وأَوْمَأَ بيده أي خُطَّ». [٢]

وعن الحسن بن عليٍّ عليهما السلام: أنه دَعا بَنيه وبَني أخيه، فقال: «إنَّكُم صِغارُ قَوْمٍ، ويُوشَكُ أن تَكونُوا كِبار قومٍ آخَرين، فتعلَّمُوا العلمَ، فمَن لم يَسْتَطِعْ منكم أن يَحْفَظَه فلْيَكْتُبْه ...». [٣]

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: «اكْتُبُوا، فإنَّكُمْ لا تحفَظُونَ حتّى تَكْتُبُوا». [٤]

وعنه عليه السلام قال: «القَلْبُ يَتَّكِلُ على الكِتابَةِ». [٥]

وعن عُبَيْدِ بنِ زُرارَة قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: «احْتَفِظُوا بِكُتُبِكُمْ، فإنَّكُم سوفَ تَحتاجُونَ إلَيْها». [٦]

وعن المفَضَّلِ بنِ عُمَرَ قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: «اكْتُبْ وبُثَّ عِلْمَكَ في إخوانِك،

---

١. مجمع الزَّوائد، ج ١، ص ١٩٦.

٢. سنن الترمذيّ، ج ٥، ص ٣٩.

٣. سنن الدّارمي، ج ١، ص ١٣٠.

٤. الكافي، ج ١، ص ٥٢.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر.

فإنْ مِتَّ فأوْرِثْ كُتُبَكَ بَنِيك، فإنّه يأتي على النّاسِ زمانٌ هَرْجٌ لا يَأْنَسُونَ فيه إلّا بكُتُبِهِمْ».[١]

وروي الصدوق رحمه الله في *أماليه* بإسناده إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «إنَّ المؤمنَ إذا ماتَ وتَرَكَ وَرَقَةً واحِدَةً عَلَيْها عِلْمٌ كانَتِ الوَرَقَةُ سِتْراً فيما بينَهُ وبينَ النّار، وأعطاهُ اللهُ تعالى بِكُلِّ حرفٍ مدينةً أوسعَ من الدّنيا ومافيها. ومن جَلَسَ عندَ العالِمِ ساعةً ناداه المَلِكُ: جَلَسْتَ إلى عبدي، وعِزَّتي وجَلالي لأُسْكِنَنَّكَ الجنَّةَ معه ولاأُبالي».[٢]

المسألة الثانية: يجب على الكاتبِ إخلاصُ النّيّةِ لِلّه تعالى في كتابته، كما يجبُ إخلاصُها في طلب العلم؛ لأنها عبادةٌ وضَرْبٌ من تحصيل العلم وحِفْظِه. والقصدُ بها لغير الله تعالى من حظوظ النفس والدنيا كالقصد بالعلم، وقد تقدَّمَ من ذَمِّه ووعيده ما فيه كفايةٌ.

ويزيد عنه ـ خيراً أو شراً ـ أنّه مُوَقِّعٌ بيده ما يكونُ يومَ القيامة حُجَّةٌ له أو عليه، فَلْيَنْظُرْ مايُوَقِّعُه؛ ويترتَّبُ على خَطِّه ما يَترتَّبُ من خيرٍ أو شرٍّ، ومن سُنَّةٍ أو بِدْعَةٍ يُعْمَلُ بها في حياته وبعد موته دهراً طويلاً، فهو شريكٌ في أجرِ من يَنْتَفِعُ به أو وِزْرِه، فَلْيَنْظُرْ مايُسَبِّبُه.

ويُعْلَمُ مِنْ ذلك أنّ ثوابَ الكتابة ربّما زاد على ثوابِ العلم في بعض الموارد بسبب كَثْرَةِ الانتفاعِ به ودوامه، ومن هنا جاء تفضيلُ مدادِ العلماء على دماءِ الشهداء.[٣]

---

١. نفس المصدر.

٢. أمالي الصدوق، ص ٤٠ باختلاف يسير.

٣. لاحظ بحار الانوار، ج ٢، ص ١٤.

المسألة الثّالثة: ينبغي لطالب العلم أن يعتني بتحصيل الكتب المُحْتاج إليها في العلوم النافعة ماأمكنه بكتابةٍ أو شِراءٍ، وإلّا فبإجارةٍ أو عاريةٍ، لأنّها آلة التّحصيل.

ولاينبغي للطالب أن يجعلَ تحصيلَها وجمعَها وكثرتَها حظَّه من العلم، ونصيبَه من الفهم، بل يحتاج مع ذلك إلى التَّعب والجِدِّ والجلوسِ بين يدي المشايخ، ولقد أحسنَ القائل:

إذا لَمْ تَكُـنْ حـافِظاً واعِـياً فَــجَمْعُك لِــلْكُتْبِ لايَـنْفَعُ

المسألة الرّابعة: تُسْتَحَبُّ إعارةُ الكتب لمن لاضرر عـليه فـي الإعـارة مـمن لاضرر منه بها ـ أي بالكتب ـ استحباباً مؤكّداً؛ لما فيه مـن الإعـانة عـلى العـلم والمعاضَدَة على الخير والمساعَدَة على البِرِّ والتقوى، مع مافي مطلق العارية مـن الفضل والأجْر. وقد قال بعض السلف: «بركةُ العلم إعارةُ الكتب». وقال آخر: «من بَخِلَ بالعلم ابْتُلِيَ بِإحدى ثِلاث: أن يَنساه، أو يموت فلاينتفع به، أو تذهب كُتُبُه». وينبغي للمستعير أن يشكرَ للمُعِيرِ ذلك لإحسانه، ويَجْزِيَه خيراً.

المسألة الخامسة: إذا استعار كتاباً وجب عليه حفظُه من التلف والتـعيّب، وأن لايَلُطَّ به ولايُطِلْ مُقامَه عنده. بل يَرُدّه إذا قضى حاجتَه، ولايحْبِسُه إذا استغنى عنه، لئلّا يفوتَ الانتفاعُ به على صاحبِه، ولئلا يَكْسَلَ عن تحصيل الفائدة منه، ولئلّا يمنعَ صاحبَه من إعارةِ غيرِهِ إيّاه. وأمّا إذا طلبه المالكُ حَرُمَ عليه حبسُه ويصير ضامِناً له.

المسألة السّادسة: لايجوز أن يُصلِحَ كتابَ غيره المُستَعار أو المستأجَر بغير إذن صاحبِه. ولايُحَشِّيْهِ ولايَكْتُبُ شيئاً في بياض فواتحه وخواتمه إلّا إذا عَلِمَ رِضى مالِكه،

ولايُسَوِّدُه، ولايُعِيرُه غيرَه، ولايُودِعُه لغير ضرورةٍ حيثُ يجوزُ شرعاً، ولايَنْسَخُ منه بغير إذن صاحبه فإنَّ النَّسْخَ انتفاعٌ زائد على الانتفاع بالمطالعة وأشقُّ، فإنْ كان الكتاب وقفاً على من يَنْتَفِعُ به غيرَ معيَّنٍ، فلابأسَ بالنسخ منه لمن يجوز له إمساكه والانتفاع به مع الاحتياط. ولابأس بإصلاحه ممن هو أهل لذلك من الناظر فيه أو من يأذَن له، بل قد يجب. فإن لميكن له ناظرٌ خاصٌّ فالنظر فيه إلى الحاكم الشرعيّ. وإذا نَسَخَ منه بإذن صاحِبِه أو ناظِرِه، فلايَكْتُبْ منه والقِرْطاسُ في بطنِه، ولايَضَع المِحْبَرَةَ عليه، ولايَمُرُّ بالقلمِ الممدود فوقَ الكتابة.

وبالجملة فيجبُ حفظه من كل مايُعَدُّ عرفاً تقصيراً، وهو أمرٌ زائدٌ على حفظِ الإنسانِ كتابَ نفسِه، فقد يجوز فيه مالايجوز في المُستعار، خصوصاً المتهاوِن بحفظِ الكتب، فإنّ كثيراً من الناس يَمْتَهِنُ كتابَه في الغاية بسببِ الطبع البارد، وهذا الأمر لايسوغُ في المستعار بوجهٍ.

المسألة السّابعة: إذا نَسَخَ من الكتاب أو طالَعَه، فلايَضَعُه على الأرض مفروشاً منشوراً، بل يَجْعَلُه بين كتابين مثلاً، أو كرسيٍّ على الوجه المعروف، لئلا يُسْرِعَ تقطيعُ حُبَكِهِ[١] ووَرَقِه وجِلْدِه.

المسألة الثّامنة: إذا وَضَعَ الكُتُبَ مصفوفةً، فلتكُنْ على كرسيٍّ، أو تحتَها خَشَبٌ أو رَفٌّ أو نحو ذلك.

ويُراعي الأدبَ في وضع الكتب باعتبار علومِها وشرفِها وشرفِ مُصَنِّفِها. فيضعُ

١. كرسيُّ الكتاب هو الرَّحل المعروف. والحُبَك جمع الحُبكة، وحُبْكة الكتاب ماتُشَدُّبه أوراقُه.

الأشرفَ أعلى، ثُمَّ يُراعي التدريجَ، فإن كان فيها المصحفُ الكريم جعله أعلى الكلِّ والأولى أن يكون في خريطةٍ في صدر المجلس؛ ثُمَّ كُتُبَ الحديثِ الصِّرْف، ثمَّ تفسيرَ القرآن، ثمَّ تفسيرَ الحديث، ثمَّ أُصولَ الدين، ثمَّ أُصولَ الفقه، ثمّ الفقهَ، ثم العربية.

ولا يَضَعُ ذاتَ القطعِ الكبيرِ فوق ذوات الصغير، لئلّا يَكْثُرَ تَساقُطُها، ولا يُكْثِرُ وضعَ الرِّدَّةِ[1] في أثنائه لئلّا يسرعَ تَكَسُّرُها.

المسألة التّاسعة: أن لا يَجْعَلَ الكتابَ خزانةً للكراريس أو غيرها، ولا مِخَدَّةً ولا مِرْوَحَةً ولا مِكْنَساً ولا مُسْنَداً ولا مُتَّكَأً ولا مِقْتَلَةً للبراغيثِ وغيرِها. وأن لا يَطْوِيَ حاشيةَ الورقة أو زاويتَها، ولا يُعَلِّمَ بِعُودٍ أو بشيءٍ جافٍ، بل بورقةٍ لطيفةٍ ونحوها.

المسألة العاشرة: إذا استعارَ كتاباً ينبغي له أن يَتَفَقَّدَهُ عندَ أخذِه وردِّه، وإذا اشترى كتاباً تَعَهَّدَ أوَّلَه وآخِرَه ووسطَه، وترتيبَ أبوابه وكراريسه، وتَصَفَّحَ أوراقَه واعتبر صِحَّتَه.

المسألة الحادية عشرة: إذا نَسَخَ شيئاً من كتب العلم الشرعية، فينبغي أن يكونَ على طهارةٍ مُسْتَقْبِلاً للقبلة طاهرَ البدنَ والثِّيابِ والحِبْرِ والورق، ويبتدئَ الكتابَ بكتابة «بسم الله الرحمن الرحيم» و «الحمدلله والصلاة على رسوله وآله» وإن لم يكن المصَنِّفُ قد كتبها، لكن إن لم تكن من كلام المصنِّفِ أشْعَرَ بذلك، بأن يقولَ بعد ذلك: «قال المصنِّفُ أو الشَّيْخُ»، أو نحو ذلك.

---

١. الرَّدَّة هي القطعة الزّائدة من الجلد فوق الدَّفَّة اليسرى.

وكذلك يَخْتِم الكتابَ بالحَمْدَلَة والصَّلاةِ والسَّلامِ، بعد ما يَكْتُبُ: «آخِرُ الجزء الفلاني، ويَتْلُوه كذا وكذا» إن لم يكنْ كَمُلَ الكتابُ، ويَكْتُبُ إذا كَمُلَ: «تَمَّ الكتاب الفلاني، أو الجزء الفلاني، أو بتمامه تَمَّ الكتاب» أو نحو ذلك، ففيه فوائدُ كثيرةٌ.

وكُلَّما كتبَ اسمَ الله تعالى أَتْبَعَه بالتعظيم؛ مثل: «تعالى» أو «سبحانه» أو «عَزَّ وجَلَّ» أو «تَقَدَّسَ» أو نحو ذلك، ويَتَلَفَّظُ بذلك أيضاً. وكُلَّما كَتَبَ اسمَ النبيِّ ﷺ كَتَبَ بعدَه الصلاةَ والسلام عليه وعلى آله، ويُصَلِّي ويُسَلِّمُ هو بلسانه أيضاً.

ولايَخْتَصِرُ الصلاةَ في الكتاب، ولايَسْأَمُ من تكريرها ولووقعتْ في السطر مراراً كما يَفْعَلُ بعضُ المحرومين المتخلِّفين، من كتابة «صلعم» أو «صلم» أو «صم»؛ فإنّ ذلك كُلَّه خلافُ الأولى والمنصوص، بل قال بعض العلماء: "إنَّ أوَّلَ من كَتَبَ «صلعم» قُطِعَتْ يدُه." وأقلُّ ما في الإخلال بإكمالها تفويتُ الثواب العظيم عليها، فقد ورد عنه ﷺ قال: «من صلّىٰ عَلَيَّ في كتابٍ لم تَزَلِ الْمَلائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَه مادامَ اسْمي في ذلكَ الكِتاب».[1]

وإذا مرَّ بذكر أحدٍ من الصحابة ـ سيّما الأكابر ـ كتب «رَضِيَ الله عنه» أو «رِضْوان الله عليه»، أو بذكرِ أحدٍ من السلف الأعلام كَتَبَ «رَحِمَهُ الله» أو «تَغَمَّدَه الله برحمتِه» أو نحو ذلك. وقد جَرَتِ العادةُ باختصاصِ «الصلاةِ والسلام» بالأنبياء، فينبغي أن يَجْعَلَ «السلامَ» للأئِمَّة عليهم السلام؛ وإن جاز خلافُ ذلك كلِّه، بل يجوز الصلاةُ على كلِّ مؤمن، كما دلَّ عليه القرآن والحديث.

وكتابةُ ما ذكر ـ من الثناءِ ونحوِه ـ هو دعاءٌ يُنْشِئُه لاكلامٌ يروِيه، فلايَتَقَيَّدُ فيه بالرواية ولابإثباتِ المصنِّف، بل يَكْتُبُه وإن سَقَطَ من الأصلِ المنقولِ أو المسموعِ منه.

---

١. مجمع الزَّوائد، ج١، ص١٣٦.

وإذا وَجد شيئاً من ذلك قد جاءت به الرواية أو مذكوراً في التصنيف كانت العناية بإثباته وضبطه أكثر. هذا هو الراجح ومختار الأكثر. وذهب بعضُ العلماء إلى إسقاطِ ذلك كلِّه من الكتابة مع النُّطق بذلك. وينبغي أن يَذْكُرَ السلامَ على النبيِّ مع الصلاة عملاً بظاهر الآية،[١] ولو اقتصر على الصلاة لميكنْ به بأس.

المسألة الثّانية عشرة: كَرِهُوا في الكتابة فصلَ مضافِ اسمِ الله تعالى منه كـعبد الله، أو رسول الله ﷺ؛ فلايَكْتُبُ «عبد» أو «رسول» في آخِرِ سطرٍ، و«الله» مع ما بعده أوّلَ سطرٍ آخَرَ؛ لقبح الصورة. وهذه الكراهة للتنزيه.

ويلتحق بذلك أسماءُ النبيِّ ﷺ وأسماءُ الصحابة رضـي الله عـنهم ونـحوُها الموهِمُ لِخَلَلٍ، كقولهم «سابُّ النبيِّ ﷺ كافرٌ»، فلايَكْتُبُ «سابُّ» مثلاً فـي آخِـرِ سطرٍ، ومابعده في أوّلِ آخَرَ.

بل ولااختصاص للكراهة بالفصل بين المتضايفين، فغيرهما ممّا يُسْتَقْبَحُ فـيه الفصل كذلك. وكذلك كَرِهُوا جَعْلَ بعضِ الكلمةِ في آخِرِ سطرٍ، وبعضها في أوّلِ آخَرَ.

المسألة الثّالثة عشرة: لايَهْتَمُّ المشتغلُ بالعلم بالمبالَغة في حسنِ الخطِّ، وإنّـما يَهْتَمُّ بِصِحَّتِهِ وتصحيحِه. ويجتنب «التعليقَ» جِدّاً وهو خلط الحروف التـي يـنبغي تفريقها، و«الْمشْقَ» وهو سرعة الكتابة مع بَعْثَرَةِ الحروف. وقال بعضهم: «وزن الخطِّ وزن القِراءة، أجْوَدُ القراءة أبْيَنُها وأجودُ الخطِّ أبْيَنُه».

وينبغي أن يجتنِبَ الكتابةَ الدقيقةَ؛ لأنّه لايُنْتَفَعُ بها، أو لايكمُلُ الانتفاع بها لمن

---

١. يعني الآية ٥٦ من سورة الأحزاب.

ضَعُفَ نظَرُه، وربّما ضَعُفَ نَظَرُ الكاتِبِ نفسِه بعد ذلك؛ فلاينتفِعُ بها.

وينبغي كتابةُ التراجِمِ والأبوابِ والفصولِ ونحو ذلك بـالحُمرة ونـحوِها، فـإنّه أظهرُ في البيانِ وفي فواصلِ الكلام. ولك في كتابة شرحٍ ممزوجٍ بالمتن أن تُـمَيِّزَ المتنَ بكتابته بالحمرة أو تخطَّ عليه بها خطّاً منفصِلاً عنه ممتدّاً.

المسألة الرّابعة عشرة: عليه مقابلة كتابه بـالأصل قـال بـعضُ السـلف لابـنه: «كتبتَ؟» قال: «نعم.» قال: «عَرَضْتَ كتابك؟» قال: «لا». قال: «لم تَكْتُبْ». وعـن الأخفش قال: «إذا نُسِخَ الكتابُ ولم يُعارَضْ، ثُمَّ نُسِخَ ولم يُعارَضْ خَرَجَ أعجميّاً».

المسألة الخامسة عشرة: إذا صَحَّحَ الكتابَ بالمقابَلة، فَينبغي أن يَضْبِطَ مواضِعَ الحاجة فَيُعْجِمَ المعْجَمَ، ويُشْكِلَ المشكِلَ، ويَضْبِطَ المُشْتَبِهَ، ويَتَفَقَّدَ مواضِعَ التصحيف. أمّا مايُفْهَمُ بلانَقْطٍ وشَكْلٍ، فلاينبغي الاعتناء بنَقْطِهِ وشَكْلِهِ؛ لأنّه اشتغال بما غـيرُهُ أولى منه، وتعبٌ بلافائِدة، قال أبوعبدالله عليه السلام: «أعرِبُوا حَديثَنا فإنّا قومٌ فُصَحاءُ».[1]

ومن مهمّاتِ الضبط مايقع بسببه اختلافُ المعنى كحديث «ذَكاةُ الجَـنِينِ ذَكـاةُ أُمّه».[2] وكذلك ضبط الملتَبسِ من الأسماء، إذ هي سَماعية.

وإن احتاج الى ضبطه في الحاشية قُبالته فَعَلَ؛ لأنّه أبعدُ من الالتباس سيما عند دقّة الخطّ وضيق الأسطر.

ولابأس بكتابة الحواشي والفوائد والتنبيهات المهمّة على غلطٍ أو اختلافِ روايةٍ

---

١. الكافي، ج١، ص٥٢.

٢. كتاب من لا يحضره الفقيه، ج٣، ص٢٠٩.

أو نسخةٍ أو نحو ذلك على حواشي كتاب يَمْلِكُه، أو لايَمْلِكُه بالإذن. ولاينبغي أن يَكْتُبَ إلّا الفوائدَ المهمَّةَ المتعلِّقَةَ بذلك المحلّ، ولايُسَوِّدُه بنقل المباحثِ والفـروع الغريبة، كمااتَّفق لبعض غَفَلَةِ أهلِ هذا العصرِ الّذين لميَقِفُوا على مصطَلَحِ العـلماء، فأفْسَدُوا أكثرَ الكُتُب. ولاينبغي الكتابة بين الأسطر مطلقاً، والله الموَفِّقُ.

البَابُ الثّالث

في المناظرة

● و فيه فصلان:

☑ الأوَّل: في شروط المناظرة الحقَّة وآدابها

☑ الثّاني: في آفات المناظرة

مقدِّمةٌ:

اعلَمْ أنّ المناظَرَةَ في أحكام الدّين من الدّين. ولكن لها شروطٌ وآدابٌ يجمعُها أن لايناظِرَ إلّا لِلّه، ولطلب ماهو حقٌّ عند الله تعالى. وفيها أخطارٌ وآفات. فالبحثُ عنها في فصلَيْن:

الفصل الأوّل: في الشّروط والآداب

الأُولى: أن يَقْصِدَ بها إصابةَ الحقِّ وطَلَبَ ظُهورِه كيف اتَّفَقَ، لاظهور صوابه وغَزارَة علمِه وصِحَّةِ نظرِه؛ فإنَّ ذلك مِراءٌ، قد عرفتَ ما فيه من القبائِح والنهي الأكيدِ.[1]

ومن آياتِ هذا القصد أن لايُوقِعَها إلّا مع رجاء التأثير. فأمّا إذا عَلِمَ عَدَمَ قبولِ المُناظِر للحقِّ، وأنَّه لايرجِعُ عن رأيه وإن تبيَّن له خَطاؤه، فمناظَرَتُهُ غيرُ جائزة، لترتُّبِ الآفاتِ وعدمِ حصولِ الغاية المطلوبة منها.

الثّانية: أن تكونَ المناظَرَةُ في الخَلْوَةِ أحَبَّ إليه منها في المَحْفِل والصُّدُور؛ فإنّ الخلوةَ أجمعُ لِلْهَمِّ وأحرى لصفاءِ الفكر ودركِ الحقِّ. وفي حضور الخلق مايُحرِّكُ دواعِيَ الرِّئاء والحرصِ على الإفحام ولو بالباطل. وقد يَتَّفِقُ لأصحاب المقاصد

---

١. أُنظر الأمرَ الثّاني من القسم الثّاني من آداب المعلِّم والمتعلِّم في درسِهما.

الفاسِدَة الكَسَلُ عن الجواب عن المسألة في الخَلْوَةِ، وَتَنافُسُهُمْ في المسألة في المحافل، واحتيالُهُم على الاستئثار بها في المجامع.

الثّالثة: أن يكونَ في طلب الحقِّ كمُنْشِدِ ضالَّةٍ يكون شاكراً متى وجدها. ولايَفْرُق بين أن يَظْهَرَ على يده أو يدِغيره، فيرى رفيقَه معيناً لاخصماً، ويَشْكُرَه إذا عَرَّفَه الخطأ وأظْهَرَ له الحقَّ؛ كما لو أخذ طريقاً في طلب ضَالَّةٍ، فَنَبَّهَهُ غيرُه على ضالَّته في طريقٍ آخَر. والحقُّ ضالَّة المؤمن يَطْلُبُه كذلك. فَحَقُّه إذا ظهر الحَقُّ على لسانِ خصمه أن يَفْرَحَ به ويَشْكُرَه، لاأنْ يَخجَلَ ويَسْوَدَّ وجهُه ويَرْبَدَّ[1] لونُه، ويجتهدَ في مجاهَدَتِه ومدافَعَتِه جُهْدَه.

الرّابعة: أن لايمنَعَ مُعينَه من الانتقال من دليلٍ إلى دليل ومن سؤالٍ إلى سؤال، بل يُمَكِّنه من إيراد مايَحْضُرُه، ويُخَرِّج من كلامه مايَحتاجُ إليه في إصابة الحقِّ. فإنْ وَجَدَه في جملته أو استلزمه ـ وإن كان غافلاً عن اللزوم ـ فَلْيَقْبَلْهُ، ويَحْمَد اللهَ تعالى؛ فإنّ الغرضَ إصابةُ الحقِّ، وإنْ كان في كلامٍ مُتَهافِتٍ إذا حَصَلَ منه المطلوب.

فأمّا قولُه: «هذا لايُلْزِمُني، فقد تَرَكْتَ كلامَك الأوّلَ وليس لك ذلك» ونحو ذلك من أراجيف المناظرين، فهو محضُ العِناد والْخُروجُ عن نَهْجِ السَّداد.

وكثيراً ماترى المناظَراتِ في المحافل تنقضي بمحض المجادَلات، يَطْلُبُ المعترضُ الدليلَ، ويَمْتَنِعُ المُدَّعي من إقامته وهو عالمٌ به، وينقضي المجلسُ مع ذلك الإصرار والإنكار على العِنادِ؛ وذلك عَيْنُ الْفَسادِ والخيانةِ للشرع المطهَّر، والدخولُ في ذمٍّ منْ كَتَمَ علمَه.

---

١. اربدَّ وجهُه وتربَّدَ: احْمَرَّ حُمرةً فيها سَوادٌ عندَ الغَضَب.

الخامسة: أن يُناظِرَ مع من هو مستَقِلٌّ بالعلم، ليستفيدَ منه إن كان يَطْلُبُ الحقَّ. والغالبُ أنّهم يَحْتَرِزُونَ من مناظرة الفُحُولِ والأكابر؛ خوفاً من ظهورِ الحقِّ على لسانِهم، ويَرْغَبُونَ فيمن دونَهم طمعاً في ترويجِ الباطل عليهم.

الفصل الثّاني: في الآفات والأخطار

إنّ المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والإفحام والمباهاة والتشوُّقِ لإظهار الفضل، هي منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله تعالى، المحمودة عند عدوِّه إبليس. ونسبتُها إلى الفواحش الباطنة ـ من الكِبْرِ والعُجبِ والرئاءِ والحَسَدِ والمنافَسَةِ وتزكيةِ النفسِ وحُبِّ الجاهِ وغيرِها ـ نسبةُ الخمرِ إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقتلِ والقذفِ. وكما أنّ من خُيِّر بين الشُّرْبِ وبين سائر الفواحش واختارَ الشُّربَ استصغاراً له دَعاه ذلك إلى ارتكابِ سائرِ الفواحش؛ فكذلك من غَلَبَ عليه حُبُّ الإفحام والْغَلَبَةِ في المناظرة وطلبُ الجاه والمباهاةُ، دعاه ذلك إلى إظهار الخبائث كلِّها. ففي المناظَرَةِ إذاً أخطارٌ وآفات يجب التحرُّز عنها:

أوَّلُها: الاستكبار عن الحقِّ وكَراهَتُه والحِرْصُ على مدافعته بالمماراة فيه، حتى أنّ أبغضَ الأشياء إلى المناظِر أن يَظْهَرَ الحقُّ على لسانِ خصمه، ومهما ظهر يُشَمِّرُ لجَحْدِه بما قَدَرَ عليه من التلبيس والمخادَعَةِ والمكرِ والحيلة. ثُمَّ تَصِيرُ المماراةُ له عادة وطبيعةً، حتّى لايَسْمَعَ كلاماً إلّا وَتنْبَعِثُ داعيتُه للاعتراض عليه، إظهاراً للفضل واستنقاصاً بالخصم وإن كان مُحِقّاً؛ قاصداً إظهارَ نفسِهِ لاإظهارَ الحَقِّ.

وقد سَوَّى الله تعالى بين من افترى على الله كَذِباً، وبين من كَذَّبَ بالحقِّ، فقال تعالى: ﴿ ومَنْ أظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ على اللهِ كَذِباً أو كَذَّبَ بالحقِّ لمّا جاءَه ﴾.[1]

ورُوِيَ عن أبي الدَّرْداءِ وأبي أُمامَة ووٰاثِلَة وأنَسٍ قالوا: «خَرَجَ عَلَينا رَسُولُ الله ﷺ يوماً، ونحن نَتَماریٰ في شيءٍ من أمرِ الدِّين، فَغَضِبَ غَضَباً شَديداً لَمْ يَغْضَبْ مِثْلَه، ثُمَّ قال: إنّما هَلَكَ مَنْ كانَ قبلَكُم بهذا، ذَرُوا الْمِراءَ، فإنّ المؤمِنَ لايُماري. ذَرُوا المِراءَ فإنّ المُماري قَدْ تَمَّتْ خَسارَتُه. ذَرُوا المِراءَ فإنّ المُماريَ لاأشْفَعُ له يومَ القِيامَة. ذَرُوا المِراءَ، فأنا زَعيمٌ بِثَلاثَةِ أبياتٍ في الجنَّة: في رَبَضِها وأوسَطِها وأعلاها لمن تَرَكَ الْمِراءَ وهو صادقٌ. ذَرُوا المراءَ فإنّ أوَّلَ مانَهاني عنه رَبِّي بعدَ عِبادة الأوثانِ الْمِراءُ».[2]

وعنه ﷺ: «ثلاثٌ من لَقِيَ اللهَ عزَّ وجلَّ بِهِنَّ دَخَلَ الجنَّةَ من أيِّ بابٍ شاءَ: من حَسُنَ خُلُقُه، وخَشِيَ اللهَ في المَغيبِ وَالْمحضَرِ، وتَرَكَ المِراءَ وإن كانَ مُحِقّاً».[3]

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قالَ أميرُالمؤمنين عليه السلام: إيّاكم والْمِراءَ والخُصُومَةَ، فإنّهُما يُمْرِضانِ القُلوبَ على الإخْوان، ويَنْبُتُ عليهما النِّفاقُ».[4،5]

وثانيها: الرِّئاء وملاحظة الخلق، والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم نحوه لِيُصَوِّبُوا نَظَرَه وينصروه على خصمِه. والرِّئاء هو الداء العُضال والمرض الْمُخَوِّفُ والعلَّةُ المُهْلِكَة والشِّركُ الخفيّ؛ قال ﷺ: «إنّ أخْوَفَ ما أخافُ عليكم الشِّرْكُ الأصغر. قالوا:

---

١. العنكبوت/٦٨.

٢. مجمع الزَّوائد، ج١، ص١٥٦.

٣. الكافي، ج٢، ص٣٠٠.

٤. نفس المصدر.

٥. لاحظ ـ للمراء ـ الأمرَ الثّاني من القسم الثّاني من آداب المعلِّم والمتعلِّم في درسِهما أيضاً.

وما الشِّرْك الأصغَرُ يا رسولَ الله صلى الله عليه وآله؟ قال: هو الرِّئاء يقولُ اللهُ تعالى يومَ القيامة إذا جازَى العِبادَ بأعمالهم: اذْهَبوا إلى الَّذِينَ كنتُم تُراؤون في الدُّنيا، فَانْظُروا هل تَجِدُون عندَهم الجزاء؟». [١]

وقال صلى الله عليه وآله: «استَعيذوا باللهِ من جُبِّ الخِزْي. قيل: وما هو يا رسولَ اللهِ؟ قال: وادٍ في جَهَنَّمَ أُعِدَّ لِلْمُرائِينَ». [٢]

ورَوى الجَرّاحُ المدائنيُّ عن أبي‌عبدالله عليه السلام في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَيُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ [٣] قال: «الرَّجُلُ يَعْمَلُ شيئاً من الثَّوابِ، لايَطْلُبُ به وجهَ الله إنّما يطْلُبُ تزكيةَ الناس، يَشْتَهي أنْ يُسْمِعَ بِهِ الناسَ، فهذا الَّذي أشْرَكَ بعبادة رَبِّهِ». [٤]

وعنه عليه السلام قال: «قال النبيُّ صلى الله عليه وآله: إنّ المَلَكَ لَيَصْعَدُ بعمل العبد مُبْتَهِجاً به، فإذا صَعِدَ بحسناتِه يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: اجعلوها في سِجِّينٍ إنّه لَيْسَ إيّاي أراد به». [٥]

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام: «ثلاثُ علاماتٍ للمُرائي: يَنْشَطُ إذا رأى الناسَ، ويَكْسَلُ إذا كان وَحْدَه، ويُحِبُّ أن يُحْمَدَ في جميعِ أُموره». [٦]

وثالثُها: الغَضَبُ. والمناظِر لايَنْفكُّ منه غالباً، سيَّما إذا رُدَّ عليه كلامُه، أو اعْتُرِضَ

---

١. مسند أحمد، ج ٥، ص ٤٢٨.

٢. كنز العمّال، ج ١٠، ص ٢٧٤.

٣. الكهف/ ١١٠.

٤. الكافي، ج ٢، ص ٢٩٤.

٥. نفس المصدر.

٦. نفس المصدر، ص ٢٩٥.

على قوله وزُيِّفَ دليلُه بمَشْهَدٍ من الناس؛ فإنّه يَغْضَبُ لذلك لامَحالةَ. وغضبه قد يكون بحقٍّ، وقد يكون بغير حقٍّ وقد ذَمَّ الله تعالىٰ ورسولُه الغَضَبَ كيف كان، وأكْثَرا من التوعُّد عليه: قال الله تعالى: ﴿إذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فـي قُـلُوبِهِمُ الْـحَمِيَّةَ حَـمِيَّةَ الْجاهِلِيَّةِ فأنْزَلَ الله سَكِينَتَهُ عَلىٰ رَسُولِهِ ... ﴾[1] الآية. فَذَمَّ الكُفَّارَ بما تظاهَرُوا به من الحميَّةِ الصادرةِ عن الغَضَب، ومَدَحَ المؤمنينَ بما أنعم عليهم من السكينة.

ورُوي أنّ رجلاً قال: يا رسول الله مُرْني بِعَمَلٍ وأقِلَّ. قال: «لاتَغْضَبْ»، ثُمَّ أعادَ عليه فقال: «لاتَغْضَبْ».[2]

وسئلعليه‌السلام: مايُبَعِّدُ مِن غَضَبِ الله تعالى؟ قال: «لاتَغْضَبْ».[3]

وقال أبوالدرداء: قلتُ: يا رسولَ الله! دُلَّني على عملٍ يُدْخِلُني الجنَّةَ. قال: «لاتَغْضَبْ».[4]

وعن أبيعبداللهعليه‌السلام قال: «قال رسول اللهصلى‌الله‌عليه‌وآله: الغَضَبُ يُفْسِدُ الإيمانَ كَما يُفْسِدُ الخَلُّ الْعَسَلَ».[5]

وذُكِرَ الغَضَبُ عند أبيجعفر الباقرعليه‌السلام فقال: «إنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ فمايَرْضىٰ أبداً حتّى يَدْخُلَ النَّارَ».[6]

وعنهعليه‌السلام قال: «مَكْتوبٌ في *التَّوراة* فيما ناجَى الله عَزَّ وجَلَّ به موسىعليه‌السلام: ياموسى!

---

١. الفتح/٢٦.

٢. المحجَّة البيضاء، ج٥، ص٢٩٠.

٣. إحياء علوم الدّين، ج٣، ص١٤٣.

٤. نفس المصدر.

٥. الكافي، ج٢، ص٣٠٢.

٦. نفس المصدر.

أمْسِكْ غَضَبَكَ عَمَّنْ مَلَّكْتُكَ عليه أكُفَّ عنك غَضَبي».[١]

وعن أبي حَمْزَةَ الُّثماليِّ قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إنَّ هذا الغَضَبَ جَمْرَةٌ من الشيطانِ تُوقَدُ في قلبِ ابن آدمَ، وإنّ أحَدَكم إذا غَضِبَ احْمَرَّتْ عيناه وانْتَفَخَتْ أوْداجُه، ودَخَلَ الشَّيطانُ فِيه».[٢]

والأخبار في ذلك كثيرة. وفي الأخبار القديمة: قال نبيٌّ من الأنبياء لمن معه: «من يَكْفُلُ لي أن لايَغْضَبَ يكونُ معي في دَرَجَتي، ويكونُ بعدي خَليفَتي. فقال شابٌّ من القوم: أنا. ثم أعاد عليه. فقال الشابُّ: أنا أُوفي به، فلمّا ماتَ كان في مَنْزِلَته بعدَه، وهو ذوالكِفْل، لأنّه كَفَلَ له بالغَضَبِ، ووَفىٰ به».[٣]

ورابعُها: الحِقْدُ، وهو نتيجة الغَضَب وثمرته. فإنّ الغَضَبَ إذا لَزِمَ كَظْمُه ـ لِعَجْزِه عن التَّشفِّي في الحال ـ رجع إلى الباطن واحْتَقَنَ فيه فَصارَ حِقْداً. ومعنى الحِقْدِ أن يُلْزِمَ قَلْبَه استثقالَ المحقود عليه والبُغضَ له والنِّفارَ منه، وقد قال صلى الله عليه وآله: «المؤمن ليس بحَقُودٍ».[٤]

والحِقْد يُثْمِرُ أُموراً فاحِشة كالحسدِ والشماتَةِ بما يُصِيب المحقودَ عليه من البلاء والهَجْر والقطيعة، والكلامِ فيه بما لايحِلُّ من كِذْبٍ وغِيبةٍ وإفشاءِ سرٍّ وهَتكِ سترٍ وغيره، والحكايةِ لمايَقَعُ منه المُؤَدّي إلى الاستهزاء والسُخْريَّة منه، والإيذاءِ بالقول والفعل حيث يُمْكِن. وكُلُّ هذه الأُمور بعض نتائج الحقد.

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر، ص ٣٠٤.

٣. المحجّة البيضاء، ج ٥، ص ٢٩٥.

٤. إحياء علوم الدّين، ج ١، ص ٤١.

وأقلُّ درجاتِ الحِقْد مع الاحتراز عن هذه الآفات المحرَّمَة أنْ تمتنعَ عمّا كنتَ تتطوَّعُ به من البَشاشَةِ والرِّفْق والعِناية بالمحقود عليه والقيام على بِرِّهِ ومواساته. وهذا كُلُّه يَنْقُصُ درجتَك في الدين، ويَحُولُ بينك وبين فضلٍ عظيمٍ وثوابٍ جزيلٍ، وإن كان لايُعَرِّضُكَ لِعقابٍ.

ورُوي عن الصادقِ عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبته: ألا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ خَلائِقِ الدُّنْيا والآخِرَةِ؟: العفوُ عمّنْ ظَلَمَكَ، وتَصِلُ من قَطَعَكَ والإحسانُ إلىٰ مَنْ أساءَ إليك وإعطاء مَنْ حَرَمَكَ».[1]

وخامِسُها: الحسد، وهو نتيجة الحِقْد كما سبق. والمناظِرُ لاينفَكُّ منه غالباً. فإنّه تارةً يَغْلِبُ، وتارةً يُغْلَبُ. فمتى لميكنِ الغَلَبُ والحمدُ له تمنّاه لنفسه دون صاحبه، وهو عين الحسد.

وأما ماجاء في ذَمِّ الحَسَدِ والوعيد عليه فهو خارجٌ عن حدِّ الحصر. وكفاك في ذمِّه أنَّ جميعَ ما وقع من الذنوب والفَساد في الأرض من أوّلِ الدهر إلىٰ آخره كان من الحسد، لِما حَسَدَ إبليسُ آدمَ، فصار أمرُه إلى أن طَرَدَهُ الله ولَعَنَهُ، وأعدَّ له عذابَ جَهَنَّمَ خالداً فيها. وتسلَّطَ بعد ذلك على بني آدم، وجرى فيهم مجرى الدم والروح في أبدانهم، وصار سببَ الفَسادِ. وهو أوّل خطيئة وقعتْ بعد خلق آدمَ، وهو الذي أوجَبَ قتلَ ابنِ آدمَ أخاه، كما حكاه الله تعالى عنهما في كتابه الكريم.[2]

وقد قَرَنَ الله تعالى الحاسدَ بالشيطانِ والساحرِ، فقال: ﴿ومِنْ شَرِّ غاسِقٍ إذا وَقَبَ

١. الكافي، ج٢، ص١٠٧.

٢. المائدة/٢٧ ـ ٣٢.

● ومِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ في الْعُقَدِ ● ومنْ شَرِّ حاسِدٍ إذا حَسَدَ ﴾.[١]

وقال ﷺ: «الحَسَدُ يأكُلُ الحَسَناتِ كما تأكُلُ النّارُ الحَطَبَ».[٢]

وقال ﷺ: «دَبَّ إليكم داءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ والبَغْضاءُ، وهي الحالِقَة، لاأقولُ حالِقَةَ الشَّعْرِ، ولكن حالِقَةَ الدِّين، وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِه لاتَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حتّىٰ تُؤْمِنُوا، ولَنْ تُؤمِنوا حتّى تَحابّوا».[٣]

وقال ﷺ: «سِتَّةٌ يدخلُونَ النّارَ قبلَ الحساب بستَّةٍ. قيل: يا رسولَالله! مَنْ هُم؟ قال: الأُمَراءُ بالجور، والعَرَبُ بِالعَصَبيَّة، والدَّهاقينُ بالكِبْر، والتُّجّارُ بالخِيانَة، وأهلُ الرُّسْتاقِ بالجَهالة، والعُلَماءُ بالحَسَد».[٤]

وعن أبي عبدالله عليه السلام: «آفةُ الدِّين: الحَسَدُ، والعُجْبُ، والفَخْرُ».[٥]

وعنه عليه السلام قال: «قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ لموسى عليه السلام: يا ابنَ عِمْران! لاتَحْسُدَنَّ النّاسَ على ماآتيتُهم من فضلي، ولاتمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إلى ذلك، ولاتُتْبِعْهُ نَفْسَك، فإنّ الحاسدَ ساخِطٌ لِنِعَمي، صادٌّ لِقَسْمي الذي قَسَمْتُ بين عبادي، ومنْ يَكُ كذلك فَلَسْتُ مِنْهُ وليسَ مِنِّي».[٦]

وعنه عليه السلام قال: «إنَّ المؤمنَ يَغْبِطُ ولايَحْسُدُ، والمنافِقُ يَحْسُدُ ولايَغْبِطُ».[٧]

---

١. الفلق/٣ـ٥.
٢. سنن ابن ماجة، ج٢، ص١٤٠٨.
٣. إحياء علوم الدّين، ج٣، ص١٦٣.
٤. نفس المصدر.
٥. الكافي، ج٢، ص٣٠٧.
٦. نفس المصدر.
٧. نفس المصدر.

وسادِسُها: الهَجْرُ والقطيعة، وهو من لوازم الحِقد. وهو من عظائِمِ الذنوب وكبائِرِ المعاصي. رَوى داودُ بنُ كثير قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: «قالَ أبي: قالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: أيُّما مُسْلِمَيْنِ تهاجَرا فَمَكَثا ثلاثاً لا يصطَلِحانِ إلّا كانا خارجَيْنِ من الإسلام ولم يكن بَيْنَهما وَلايَة، وأيُّهما سَبَقَ إلى كلامِ أخيه كان السابقَ إلى الجنةِ يومَ الحساب».[1]

وعن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «لا يَفْتَرِقُ رَجُلانِ على الهِجرانِ إلّا استوجبَ أحدُهما البراءةَ واللَّعنة، وربّما استحقَّ كلاهما. فقال له مُعَتِّبٌ: جعلني اللهُ فداك، هذا الظالمُ فما بالُ المظلومُ؟ قال: لأنه لا يدعو أخاه إلى صِلَتِه، ولا يَتَغامَسُ له عن كلامه. سمعتُ أبي يقولُ: إذا تنازَعَ اثنانِ فَعَازَّ أحدُهما الآخَرَ، فليرجع المظلومُ إلى صاحبه حتّى يقولَ لصاحبه: أي أخي أنا الظالم، حتّى يَقْطَعَ الهِجْرانَ بينه وبين صاحبه، فإنَّ الله تبارك وتعالى حَكَمٌ عَدْلٌ يأخُذُ للمظلومِ من الظّالم».[2]

وروي زُرارةُ عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «إنَّ الشيطانَ يُغْري بينَ المؤمنين مالم يَرْجِعْ أحدُهم عن دينِه، فإذا فعلوا ذلك استلقىٰ على قفاه وتَمَدَّدَ ثم قال: فُزْتُ. فَرَحِمَ الله امرءً ألَّفَ بينَ وِلِيَّينِ لنا، يامَعْشَرَ المؤمنين تألَّفوا وَتَعاطَفُوا».[3]

وسابِعُها: الكلام فيه بما لا يحلُّ من كذبٍ وغيبةٍ وغيرِهما، وهو أيضاً من لوازم الحقد، بل من نتيجة المناظرة. فإنَّ المناظِرَ لا يخلو عن حكايةِ كلامِ صاحبِه ـ في معرض التهجين والذَّمِّ والتوهين ـ فيكونُ مغتاباً، وربّما يُحَرِّفُ كلامَه فيكونُ كاذباً

---

١. نفس المصدر.

٢. نفس المصدر، ص ٣٤٤.

٣. نفس المصدر، ص ٣٤٥.

مباهتاً مُلَبِّساً، وقد يُصرِّح باستجهاله واستحماقه فيكونُ مُتَنَقِّصاً مُسَبِّباً.[١]

وكلُّ واحدٍ من هذه الأُمور ذنبٌ كبير، والوعيد عليه في الكتاب والسنة كـثير يَخْرُجُ عن حدِّ الحصر. وكفاك في ذمِّ الغِيبة أن الله تعالى شَبَّهَها بأكل الْميتَةِ، فقال تعالى: ﴿ وَلاَيَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾.[٢]

وقال ﷺ: «إيّاكم والغِيبةَ! فإنَّ الغِيبةَ أشدُّ من الزِّنا، إن الرِّجل قد يزني فـيتوبُ فيتوبُ الله عليه، وإنَّ صاحبَ الغيبةِ لايُغْفَرُ له حتى يَغْفِرَ صاحبُه».[٣]

وعن أبي عبدالله عليه السلام: "ما من مؤمنٍ قال في مؤمنٍ ماراَتْه عيناه وسَمِعتْه أُذُناه، فهو من الّذينَ قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ إنّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أنْ تَشِيعَ الفاحِشَةُ في الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ ﴾."[٤]

وروي المفضَّلُ بنُ عُمَر عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: «مَنْ رَوى على مُؤمنٍ رِوايَةً يُريدُ بها شَيْنَه وهَدْمَ مُرُوءَتِهِ لِيَسْقُطَ من أعيُنِ النَّاسِ، أخْرَجَهُ الله من وَلايَتِهِ إلى وَلايةِ الشيطان فلايَقْبَلُهُ الشَّيْطانُ».[٥]

وروي زُرارة عن أبي جعفرٍ وأبي عبدالله عليهما السلام قالا: «أقربُ مايكونُ العبدُ إلى الكُفْرِ أن يُؤاخِيَ الرَّجُلَ على الدين، فيُحْصِيَ عليه عَثَراتِه وزَلّاتِه لِيُعَنِّفَهُ بِها يوماً ما».[٦]

وروي أبوبصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسـول الله ﷺ: سِـبابُ المـؤمن

---

١. مِنْ سَبَّبَه أي أكْثَرَ سَبَّه.

٢. الحجرات/١٢.

٣. مكارم الأخلاق، ص ٤٧٠.

٤. الآية في سورة النور/١٩ والحديث في الكافي، ج ١، ص ٣٥١.

٥. الكافي، ج ٢، ص ٣٥٨.

٦. نفس المصدر، ص ٣٥٤.

فُسوقٌ، وقِتالُه كفرٌ، وأكلُ لحمِه معصيةٌ، وحُرْمةُ مالِهِ كحُرْمَةِ دَمِهِ».[١]

وروي الفُضَيْلُ عن أبي جعفرٍ عليه السلام قال: «مامن إنسانٍ يَطْعَنُ في عَيْنِ مؤمنٍ إلّا ماتَ بِشَرِّ مِيْتَةٍ، وكان قَمِناً أن لايَرْجِعَ إلى خير».[٢]

وثامِنُها: الكِبْرُ والترفُّع، والمناظَرَةُ لاتنفكّ عنهما.

فعن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال حاكياً عن اللهِ تعالى: «الْعَظَمَةُ إزاري، والكبرياء رِدائي، فمنْ نازعَني فيهما قَصَمْتُه».[٣]

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّ أعْظَمَ الكِبْرِ غَمْصُ الخَلق، وسَفَهُ الحقِّ. قال: قلت: وماغَمْصُ الخَلق وسَفهُ الحقّ؟ قال: يَجْهَلُ الحقَّ ويَطْعَنُ على أهله، فمن فعل ذلك، فقد نازَعَ اللهَ عزَّ وجلَّ رِداءَهُ».[٤]

وروي الحسينُ بنُ أبي العَلاء عن أبي عبدالله عليه السلام قال سمعته يقول: «الكِبْرُ قد يكونُ في شِرارِ النّاس من كلِّ جنسٍ، والكبرُ رِداءُ الله. فمن نازَعَ اللهَ عزَّ وجلَّ رِداءَه لم يَزِدْهُ اللهُ عزَّ وجلَّ إلّا سَفالاً».[٥]

وروي زُرارَة عن أبي جعفرٍ وأبي عبدالله عليهما السلام قالا: «لايدخُلُ الجنَّةَ من في قَلْبِه مثقالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ».[٦]

---

١. نفس المصدر، ص ٣٦٠.

٢. نفس المصدر، ص ٣٦١.

٣. سنن ابن ماجة، ج ٢، ص ١٣٩٧.

٤. الكافي، ج ٢، ص ٣١٠.

٥. نفس المصدر، ص ٣٠٩.

٦. نفس المصدر، ص ٣١٠.

وعن عُمَرَ بنِ يزيدَ، قال: قلتُ لأبي‌عبدالله عليه السلام: إني آكُلُ الطعامَ الطيِّبَ، و أشُمُّ الرائحةَ الطيِّبَةَ، وأركب الدَّابَّةَ الفارِهَةَ، ويَتْبَعُني الغُلامُ، فَتَرىٰ في هذا شيئاً من التجبّر، فلاأفعلُه؟ فأطْرَقَ أبوعبدالله عليه السلام ثم قال: «إنَّما الجَبّارُ الملعونُ من غَمَصَ الناسَ وجَهِلَ الحَقَّ، قال عُمَرُ: فقلتُ أما الحَقُّ فلاأجْهَلُه، والغَمْصُ لاأدري ماهو؟ قال: من حَقَّرَ الناسَ وتَجَبَّرَ عليهم فذلك الجَبّارُ».[1]

وتاسِعُها: التجسُّسُ وتَتَبُّعُ العوراتِ. والمناظِرُ لايكادُ يخلُو عن طلبِ عَثَراتِ مناظِرِه في كلامه وغيره، ليجعلَه ذخيرةً لنفسه ووسيلةً إلى تسديدِه وبراءَتِه أو دفعِ منقَصَتِه. حتّى أنّ ذلك قد يتمادىٰ بأهلِ الغفلة ومن يطلُبُ عِلْمَه للدُّنيا فيتفَحَّصُ عن أحوال خصمِه وعيوبِه، ثمّ إنّه قد يعرض به في حضرته أو يُشافِهُه بها، وربما يَتَبَجَّحُ به ويقول: كيف أخْمَلْتُه وأخْجَلْتُه؛ إلى غير ذلك مما يفعلُه الغافلون عن الدين وأتباعُ الشياطينِ، وقد قال الله تعالى: ﴿ولاتَجَسَّسُوا﴾.[2] وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يا مَعْشَرَ من آمَنَ بلِسانِه ولم‌يُؤْمِنْ بقلبه! لاتَتَّبِعُوا عَوْراتِ المسلمينَ، فَمَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ مُسْلمٍ تَتَبَّعَ الله عورتَه، ومن تَتَبَّعَ الله عَوْرتَه فَضَحَه ولو في جَوْفِ بَيْتِه».[3]

وعن أبي‌جعفرٍ الباقر عليه السلام: «أقْرَبُ مايكونُ العبدُ إلى الكُفْرِ أنْ يُؤاخِيَ الرَّجلُ الرَّجلَ على الدِّينِ فَيُحْصِيَ عليه زَلّاتِه لِيُعَيِّرَهُ بها يَوْماً ما».[4]

وعن أبي‌عبدالله عليه السلام: «قال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: مَنْ أذاعَ فاحِشةً كان كمُبْتَدِئها، ومن عَيَّرَ

---

١. نفس المصدر، ص٣١١.

٢. الحجرات/١٢.

٣. الكافي، ج٢، ص٣٥٤ و ٣٥٥ باختلافٍ ما.

٤. نفس المصدر، ص٣٥٥.

مؤْمِناً بشيءٍ لم يَمُتْ حتّى يَرْكَبَهُ».[١]

وعنه عليه السلام: «من لَقِيَ أخاه بما يُؤَنِّبُهُ أنَّبَهُ الله في الدُّنيا والآخرةِ».[٢]

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام في كلام له: «ضَعْ أمرَ أخيك على أحْسَنِه حتّى يأتِيَكَ مايَغْلِبُكَ منه، ولاتَظُنَّنَّ بكلمةٍ خَرَجَتْ مِنْ أخيك سوءً وأنت تَجِدُ لها في الخير مَحْمِلاً».[٣]

وعاشِرُها: الفَرَحُ بمساءَة الناس والغَمُّ بسرورهم؛ ومن لايُحِبُّ لأخيه المسلمِ مايُحِبُّ لنفسِه، فهو ناقصُ الإيمان بعيدٌ عن أخلاقِ أهلِ الدِّين.

وهذا غالبٌ بين من غَلَبَ على قلبهم مَحَبَّةُ إفحامِ الأقران وظهورِ الفضلِ على الإخوان، وقد وردَ في أحاديثَ كثيرةٍ[٤] أنَّ للمسلم على المسلم حقوقاً إن ضَيَّعَ منها واحداً خرج من وَلايةِ الله وطاعَتِه، ومن جُملتها ذلك.

روي محمّدُ بنُ يعقوبَ الكلينيِّ، قدَّسَ اللهُ روحَه، بإسناده إلى المعَلَّى بنِ خُنَيْسٍ عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلتُ له: ماحَقُّ المسلمِ على المسلمِ؟ قال: «لَه سَبْعُ حُقوقٍ واجبات، مامنهنَّ حقٌّ إلّا وهو عليه واجبٌ، إنْ ضَيَّعَ منها شيئاً خرجَ من وَلاية الله وطاعتِه، ولم يكن لِلّهِ فيه نصيبٌ.» قلت له: جُعِلْتُ فداك وما هي؟ قال: «يا مُعَلّى! إنِّي عليك شفيقٌ أخافُ أنْ تُضَيِّعَ ولاتَحفَظَ، وتَعْلَمَ ولاتَعْمَلَ.» قال: قلتُ له: لاقوَّةَ إلّا بالله. قال: «أيْسَرُ حَقٍّ منها أن تُحِبَّ له ماتُحِبُّ لنفسك وتَكرَه له ماتَكْرَهُ لِنَفْسِكَ؛ والحقُّ الثّاني: أن تَجْتَنِبَ سَخَطَهُ وتَتَّبِعَ مَرْضاتِه وتُطيعَ أمْرَه؛ والحقُّ الثّالث: أن تُعينَه بنفسِك ومالِك ولسانِك ويدِك

---

١. نفس المصدر، ص٣٥٦.

٢. نفس المصدر.

٣. نفس المصدر، ص٣٦٢.

٤. نفس المصدر، ص١٦٩ ـ ١٧٤.

ورِجْلِك؛ والحقُّ الرّابع: أن تكونَ عينَه ودليلَه ومرآتَه؛ والحقُّ الخامس: أن لاتَشْبَعَ ويجوعُ، ولاتَرْوىٰ ويَظْمَأُ، ولاتَلْبَسَ ويَعْرىٰ؛ والحقُّ السّادس: أن يكون لك خادمٌ وليس لأخيك خادمٌ، فواجبٌ أن تَبْعَثَ خادمَك فَيغسِلَ ثيابَه ويَصْنَعَ طعامَه ويُمَهِّدَ فِراشَه؛ والحقُّ السابع: أن تُبِرَّ قَسَمَه، وتُجِيبَ دعوتَه، وتَعُودَ مريضَه، وتَشْهَدَ جنازَتَه، وإذا عَلِمْتَ أنّ له حاجةً تُبادِرُه إلى قَضائها، ولاتُلْجِئُهُ أنْ يَسْأَلَكَها ولكن تُبادِرُه مُبادَرَةً، فَإذا فَعَلْتَ ذلك وَصَلْتَ وَلايَتكَ بِوَلايَتِهِ وَوَلايَتَهُ بِوَلايَتِكَ».[١]

وحادي عشرَها: تزكية النفس والثناء عليها. ولايخلوا المناظِر من الثناء على نفسه إمّا تصريحاً أو تلويحاً وتعريضاً بتصويب كلامه وتهجين كلام خصمه. وكثيراً مايُصَرِّح بقوله «لستُ مِمَّنْ يَخْفىٰ عليه أمثالُ هذا» ونحوه، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلاٰتُزَكُّواأَنْفُسَكُمْ﴾.[٢] وقيل لبعض العلماء: «ما الصدق القبيح؟» قال: «ثَناءُ المرءِ على نَفْسِه».[٣]

واعلم أنّ ثناءك على نفسك ـ مع قبحه ونَهْيِ الله تعالى عنه ـ ينقصُ قدرَك عند الناس، ويوجِبُ مَقْتَك عند الله تعالى. وإذا أردْتَ أنْ تعرِفَ أنّ ثناءَك على نفسك لايَزِيدُ في قدرِك عند غيرك، فانظُرْ إلى أقرانك إذا أثْنَوْا على أنفسهم بالفضل كيف يستنكِرُهُ قلبُك وَيَسْتَثْقِلُه طبعُك وكيف تَذُمُّهُمْ عليه إذا فارَقْتَهُمْ. فاعلم أنهم أيضاً في حال تزكيتك نفسَك يَذُمُّونَكَ بقلوبهم ناجِزاً، ويُظْهِرُونه بألسنتهم إذا فارَقْتَهم.

---

١. نفس المصدر، ص١٦٩.

٢. النجم/٣٢.

٣. إحياء علوم الدّين، ج١، ص٤١.

وثاني عشرَها: النفاق. والمتناظرون يضطرُّونَ إليه، فإنّهم يَلْقَوْنَ الخُصُومَ والأقرانَ وأتباعَهم بوجهٍ مُسالِمٍ وقلبٍ مُنازِعٍ. وربّما يُظْهِرُونَ الحُبَّ والشوقَ إلى لقائهم وفرائصُهم مُرْتَعِدة في الحال من بُغْضِهم؛ ويعلم كلُّ واحدٍ من صاحبه أنّه كاذب فيما يُبْدِيهِ، مُضْمِرٌ خلافَ مايُظْهِرُه. وقد قال ﷺ: «إذا تَعَلَّمَ الناسُ العِلْمَ وتَرَكُوا العَمَلَ، وتَحابُّوا بالألْسُنِ وتباغَضُوا بالقلوبِ وتقاطَعوا في الأرحام، لَعَنَهُمُ اللهُ عندَ ذلك فأصَمَّهُمْ وأعْمىٰ أبصارَهم».[١] نسأل اللهَ العافيةَ.

فهذه اثنتا عَشْرَةَ خَصْلَةً مُهْلِكَة، أوّلُها الاستكبارُ عن الحقِّ المحرِّمُ للجنَّة، وآخِرُها النفاقُ الموجبُ للنّار. والمتناظرونَ يتفاوتونَ فيها على حسبِ درجاتِهم، ولاينفكُّ أعظمُهم ديناً وأكثرُهم عقلاً من جملة موادّ هذه الأخلاق، وإنّما غايتُهم إخفاؤها ومجاهدةُ النفس عن ظهورِها للناس وعدمُ اشتغالهم بدوائها، والأمر الجامع لها طلبُ العلم لغير الله.

وبالجملة فالعلم لايُهْمِلُ العالِمَ أبداً، بل إمّا أن يُهْلِكَه ويشْقِيَه، أو يُسْعِدَه ويُقَرِّبَه من الله تعالى ويُدْنِيَهُ.

فإن قلت: في المناظرة فائدتان، إحداهما ترغيبُ الناس في العلم إذ لولا حبُّ الرئاسة لاندرستِ العلوم، والثانية أنّ فيها تشحيذَ الخاطر وتقويةَ النفس لدرك مآخذ العلم.

قلنا: صَدَقْتَ، ولم نذكُرْ ماذكرناه لِسَدِّ بابِ المناظَرَة، بل ذكرنا لها شروطاً وآفاتٍ لِيُراعِيَ المُناظِرُ شروطَها ويحترز عن آفاتِها، ثم يَسْتَدِرَّ فوائدَها من الرغبة في العلم

---

١. إحياء علوم الدّين، ج ١، ص ٤٢.

وتشحيذِ الخاطر. فإنْ كان غرضُك أنّه ينبغي أنْ يُرَخَّصَ في هذه الآفات وتُحْتَملَ بأجمعها لأجل الرغبة في العلم وتشحيذِ الخاطر، فبئس ماحَكَمْتَ. نَعَم التَّرَأُّسُ باعثٌ طبيعيٌّ، والشيطان مُوَكَّلٌ بالتحريكِ نحوه والترغيبِ فيه، وهو مستغنٍ عن نيابتِك عنه ومعاوَنَتِك. فمن تَحَرَّكَتْ رغبتُه في العلم بتحريك الشيطان، فهو ممّن قال فيهم رسولالله ﷺ: «إنَّ الله يُؤَيِّدُ هذا الدِّينَ بالرَّجُلِ الفاجِرِ،[1] وَبأقوامٍ لاخلاقَ لَهم».[2] ومن تحرّكَتْ رَغْبَتُهُ بتحريكِ الأنبياء عليهم السلام وترغيبِهم في ثواب الله تعالى، فهو من وَرَثَةِ الأنبياء وخُلَفاءِ الرُّسُل وأُمَناءِ اللهِ تعالى على عِبادِه.

وأمّا تشحيذُ الخاطر فقد صَدَقْتَ، فَلْيُشَحِّذِ الخاطِرَ وليَجْتَنِبْ هذه الآفاتِ التي ذكرناها. فإن كان لايَقْدِرُ على الاجتناب فَلْيَتْرُك المناظَرَة، ولْيَلْزَم المواظَبَةَ على العلم وطولِ التفكُّرِ فيه وتصفيةِ القلبِ عن كدوراتِ الأخلاق؛ فإنَّ ذلك أبلغُ في التشحيذ، وقد تَشَحَّذَتْ خواطرُ أهل الدين بدون هذه المناظَرات.

والشيءُ إذا كانت له منفَعةٌ مّا وآفاتٌ كثيرة، لايجوزُ التعرُّضُ لآفاتِه الكثيرَةِ لأجلِ تلك المنفعَةِ القليلة، بل حُكْمُه في ذلك حكمُ الخمرِ والميْسِر، قال اللهُ تعالى: ﴿يَسْأَلُونَك عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُما أكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما﴾،[3] والله الموفِّقُ.

---

١. إحياء علوم الدّين، ج١، ص٤٣.

٢. الكافي، ج٥ (كتاب الجهاد)، ص١٩.

٣. البقرة/٢١٩.

البَابُ الرّابع

في الفتوىٰ والمفتي والمستفتي

● و فيه ثلاثة أنواع من البحث:

☑ النوع الأوّل: في الفتوى

☑ النوع الثّاني: في المفتي

☑ النوع الثّالث: في المستفتي

النوع الأوَّل: في الفتوى

ولنذكُر المهمَّ من ذلك فإنّه باب مُتَّسع؛ فنقول:

اعلم أنّ الإفتاءَ عظيمُ الخطر كثيرُ الأجر كبيرُ الفضل جليلُ الموقع، لأنّ المفتي وارثُ الأنبياء صلوات الله عليهم، مُعَرَّضٌ للخَطَأ والخطَر.

قال تعالى في التحذير: ﴿ وَلاتَقُولُوا لِما تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمْ الكَذِبَ هٰذا حَلالٌ وَهٰذا حَرامٌ لِتَفْتَرُوا عَلى اللهِ الكَذِبَ ... ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ ولاتَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيطانِ إِنّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبين ● إنّما يَأمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مالاتَعْلَمُونَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ ما أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَراماً وَحَلالاً قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ ﴾[3].

فَانْظُرْ كَيْفَ قَسَّمَ مُسْتَنَدَ الحكم إلى القسمين، فما لم‌يتحقَّق الإذنُ فأنت مُفترٍ.

وانظُرْ إلى قوله تعالى حكايةً عن رسوله ﷺ ـ أكرَمِ خَلْقِه عليه ـ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الأَقاوِيلِ ● لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ● ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتينَ ﴾[4].

فإذا كان هذا تهدُيده لأكرَمِ خَلقِه عليه، فكيف حالُ غيرِه.

وقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله لايَقْبِضُ العِلْمَ انتزاعاً ينتَزِعُه من الناس، ولكن

---

١. النحل/١١٦.

٢. البقرة/١٦٨ و١٦٩.

٣. يونس/٥٩.

٤. الحاقّة/٤٤ ـ ٤٦.

يَقْبِضُ العلمَ بقبضِ العُلَماء حتّى إذا لم يُبْقِ عالماً اتَّخَذَ الناسُ رُؤَساءَ جُهّالاً، فَسُئِلُوا فأفْتَوْا بغير علمٍ فَضَلُّوا وأضَلُّوا».[1]

وقال ﷺ: «من أُفْتِيَ بفُتياً مِنْ غَيْرِ تَثَبُّتٍ ـ وفي لفظٍ: بِغَيْرِ علمٍ ـ فإنّما إثْمُهُ عَلى من أَفْتاه».[2]

وقال ﷺ: «أجْرَؤُكم على الفتوىٰ أجرؤُكم على النّار».[3]

وقال ﷺ: «أشدُّ النَّاسِ عذاباً يومَ القيامةِ رَجُلٌ قَتَلَ نَبيّاً أو قَتَلَهُ نبيٌّ، أو رجلٌ يُضِلُّ الناسَ بغير علمٍ، أو مُصَوِّرٌ يُصَوِّر التماثيلَ».[4]

ومن كلام أميرالمؤمنين عليه السلام: «إنَّ من أبغَضِ الخلْقِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ لَرَجُلَين: رجلٌ وَكَلَه اللهُ تعالى إلى نفسِه ... ورجلٌ قَمَشَ جَهْلاً ... قد سمّاه أشباهُ الناس عالماً ولم يَغْنَ فيه يوماً سالماً، بَكَّر فاستكثر، ماقلَّ منه خيرٌ ممّا كَثُرَ، حتّى إذا ارتوىٰ من آجنٍ واكْتَنَزَ من غير طائلٍ، جلسَ بينَ الناس قاضياً ... وإن نزلتْ به إحدى المُبْهَمات المعضِلات هَيَّأَ لها حشواً من رأيه ثم قطع [به]، فهو مِنْ لَبْسِ الشبهات في مثل غَزْلِ العنكبوت لايَدْري أصابَ أم أخطأ، لايَحْسبُ العلمَ في شيء مما أنْكَر، ولايرى أنّ وراء ما بلغ فيه مذهباً، [إن قاس شيئاً بشيء لم يُكَذِّبْ نظَرَه، وإن أظْلَمَ عليه أمرٌ اكتتم به لما يعلم مِنْ جَهْلِ نفسِه، لَكَيْلا يقال له: لايَعْلَمُ، ثمّ جَسَرَ فَقَضىٰ،] فهو مفتاحُ عَشَوات، رَكّابُ شُبُهات، خَبّاطُ جَهالات، لايعتَذِرُ ممّا لايعلمُ فيَسْلَمَ، ولايَعَضُّ في العلم بضرسٍ قاطعٍ فيَغْنَمَ، يَذْرو الرواياتِ ذَرْوَ [الريحِ] الْهَشِيمَ، تَبْكي منه المواريثُ، وتَصْرخُ منه الدِّماءُ ...».[5]

---

١. بحارالأنوار، ج ٢، ص ١٢١.

٢. كنزالعمّال، ج ١٠، ص ١٩٣ باختلافٍ يسير.

٣. نفس المصدر، ص ١٨٤.

٤. مسند أحمد، ج ١، ص ٤٠٧.

٥. الكافي، ج ١، ص ٥٥.

وروىٰ زُرارةُ بنُ أعْيَن عن الباقرعليه السلام قال: سَأَلتُه ما حقُّ الله تعالى على العباد؟ قال: «أن يقولوا ما يعلمون ويَقِفُوا عند مالا يعلمون».[١]

وعن أبي عبيدة الحذّاء قال: سمعتُ أبا جعفرٍ الباقرعليه السلام يقول: «من أفْتى الناسَ بغير علمٍ ولاهُدىً، لعَنَتْه ملائكةُ الرحمة وملائكةُ العذابِ، ولَحِقَه وِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِفُتْياه».[٢]

وعن المفضّل قال: قال أبوعبدالله عليه السلام: «أنهاك عن خَصْلَتين فيهما هَلَكَ الرجال: أن تَدِينَ الله بالباطل، وتُفْتي الناسَ بما لاتعلم».[٣]

وعن بعض التابعين قال: «لقد أدركتُ في هذا المسجد عشرين ومائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ماأحد منهم يُحَدِّثُ حديثاً إلّا وَدَّ أنَّ أخاه كفاه الحديثَ، ولايُسْألُ عن فُتْياً إلّا وَدَّ أنّ أخاه كفاه الفُتْيا».

وقال بعض الأكابر لبعض المُفْتِين: «أراك تُفْتي الناسَ! فإذا جاءك الرجلُ يَسْألُكَ فلايَكُنْ همُّكَ أن تُخْرِجَه مما وقع فيه، ولتكُنْ هِمَّتُك أن تتخَلَّصَ ممّا يَسْأَلُكَ عَنْه».

وعن القاسم بن محمّد بن أبي بكر أحد فقهاء المدينة ـ المتَّفَقِ على علمه وفقهه بين المسلمين ـ أنَّه سُئِلَ عن شيءٍ فقال: «لاأُحْسِنُه»، فقال السائل: «إنِّي جئتُ إلى ك لاأعرِفُ غيرَك»، فقال القاسم: «لاتَنْظُرْ إلى طُولِ لِحْيَتي وكَثْرَةِ الناس حولي، والله ما أُحْسِنُه». فقال شيخ من قريش جالسٌ إلى جنبه: «يا ابن أخي الزمها فوالله ما رأيتُك في مجلسٍ أنْبَلَ منك مثل اليوم»، فقال القاسم: «والله لأن يُقْطَعَ لساني أحَبُّ إليَّ أن أتَكَلَّمَ بما لاعلمَ لي به».

ولنشرع في الأنواع الّتي ينقسم إليها الباب:

---

١. نفس المصدر، ص٤٣.

٢. نفس المصدر، ص٤٢.

٣. نفس المصدر.

النوع الثّاني: في الْمُفْتي

اعلم أنَّ شرط المفتي كونُه مسلِماً مكلَّفاً عدلاً فقيهاً. وإنّما يحصُلُ له الفقهُ إذا كان قَيِّماً بمعرفة الأحكام الشرعيَّة، مُسْتَنْبِطاً لها من أدلَّتِها التفصيليّة من الكتاب والسُّنَّةِ والإجماعِ وأدلّةِ العقل وغيرِها ممّا هو مُحَقَّقٌ في محلِّه. ولاتَتِمُّ معرفةُ ذلك إلاَّ بمعرفةِ مايتوقَّفُ عليه إثباتُ الصانعِ وصفاتِه والنُّبُوَّةِ والإمامَةِ والمعادِ ممّا يَتِمُّ به الايمانُ من علمِ الكلام، ومعرفةِ ماتُكْتَسَبُ به الأدلّةُ من النحوِ والتصريفِ واللغة من العربية؛ وشرائطِ الحدِّ والبرهان من المنطق؛ وأُصولِ الفقه؛ والحديثِ وعلومِه متناً وإسناداً ولو بوجودِ أصلٍ صحيحٍ يَرْجِعُ إليه عند الحاجةِ إلى شيءٍ منه؛ ومعرفةِ مواضعِ الخِلافِ والوِفاق، بمعنى أنْ يعرِفَ في المسألة التي يُفتي بها أنّ قولَه فيها لايخالِفُ الإجماعَ بل يعلم أنَّه وافقَ بعضَ المتقدِّمين، أو يغلِبُ على ظنّه أنّ المسألَةَ لميتكلَّمْ فيها الأوّلون بل تولَّدَتْ في عصرِه أو ماقارَبَه. وأن تكونَ له مَلَكةٌ نفسانيَّةٌ وقوَّةٌ قدسيَّةٌ يقتدر بها على اقتناص الفروع من أُصولها، وردِّ كل قضية إلى مايناسبها من الأدلَّة.

هذه شرائط المفتي المطلق المستقلّ، أوردناها على طريق الإجمال، وتفصيلها موكول إلى أُصول الفقه.

فإذا اجتمعتْ هذه الأوصافُ في شخصٍ، وجب عليه في كلِّ مسألةٍ فقهيَّةٍ فرعيَّةٍ يَحتاج إليها أو يُسْأَلُ عنها استفراغُ الوسعِ في تحصيلِ حكمِها بالدَّليلِ التفصيليِّ، ولايجوز له تقليدُ غيرِه لالنفسه مع سَعَةِ وقتِ الفعل، ولا في إفتاء غيرِه.

ثمَّ اعلم أنَّ للإفتاء أحكام وآداب كما يلي:

الأوّل: الإفتاء فرضُ كفايةٍ، وكذا تحصيل مرتبته. ولايَسْقُطُ هذا الوجوب عن البعض بمجرَّدِ اشتغال البعض، بل بوصوله إلى المرتبة؛ لجواز أن لايَصِلَ المشتغِلُ إليها لموتٍ وغيره.

الثّاني: ينبغي أنْ لايُفتيَ في حال تَغيُّر خُلقِه وشُغْل قلبه، وحصولِ مايمنعُه من كمال التأمّل كغضبٍ وجوعٍ وعَطَشٍ وحُزْنٍ وفَرَحٍ غالبٍ ونُعاسٍ ومَلالةٍ ومَرَضٍ مُقْلِقٍ وحَرٍّ مُزْعِجٍ، وبَرْدٍ مُؤْلِمٍ ومدافعةِ الأخبثين، ونحوِ ذلك؛ مالم‌يتضَيَّقْ وجوبُه.

الثّالث: لايجوز أنْ يفْتيَ بما يتعلّقُ بألفاظِ الأيمانِ والأقاريرِ والوصايا ونحوها إلّا من كان من أهل بلد اللّافِظ، أو خبيراً بمرادهم في العادة. فَتَنَبَّهْ له فإنّه مُهمٌّ.

الرّابع: ينبغي أنْ تكونَ عبارتُه واضحةً صحيحةً يفهمها العامة ولايزدريها الخاصّة، وليحترزْ من القلاقة والاستهجان فيها.

الخامس: قال بعضُهم: ليس من الأدب كون السؤال بخطِّ المفتي، فأمّا بإملائه وتهذيبه فواسع.

السّادس: ليتأمَّل الرُّقْعَةَ كلمةً كلمةً تأمُّلاً شافياً. ولْيَكُنْ اعتناؤه بآخِرِ الكلام أشدَّ، فإنّ السؤالَ في آخرها، وقد يتقيَّد الجميعُ به ويغْفلُ عنه. قال بعضُ العلماء: «ينبغي أن يكون توقُّفه في المسألة السَّهْلَةِ كالصَّعْبَةِ لِيَعْتادَهُ».

السّابع: إذا وَجَدَ في الرُّقعة كلمةً مُشْتَبِهَةً سَأَلَ المستفتيَ عنها ونَقَطَها وشَكَلَها؛ وكذا إن وَجَدَ لَحَناً أو خَطَأً يُحِيلُ المعنى، أصلَحَه؛ وإن رأى بياضاً في أثناءِ سطرٍ أو آخرِه خَطَّ عليه أو شَغَلَه، لأنّه ربما قُصِدَ المفتي بالإيذاء، فكُتِبَ في البياض بعد فتواه مايُفسِدُها، كما نُقِلَ أنّ ذلك وقع لبعض الأعيان.

الثّامن: يُسْتَحَبُّ أن يقرأ الرُّقعة على حاضريه ممن هو أهلٌ لذلك، ويَستشيرَهم ويُباحِثَهم بِرِفْقٍ وإنصاف، وإن كانوا دونَه وتلامِذَتَه، للاقتداء بالسلف، ورجاءِ ظهور ماقد يخفى عليه؛ فإنّ لكل خاطر نصيباً من فَيْضِ الله تعالى، إلّا أن يكون فيها مايَقْبُحُ إبداؤه، أو يُؤْثِرُ السائلُ كتمانَه، أو في إشاعته مَفْسَدَةٌ.

التّاسع: لِيَكْتُبِ الجوابَ بخطٍّ واضحٍ وسطٍ، لادقيقٍ خافٍ، ولاغليظٍ جافٍ. ويتوسَّطُ في سطوره بين توسعتها وتضييقها. واستحبّ بعضهم أن لاتَخْتَلِفَ أقلامُه وخَطُّه؛ خوفاً من التزوير ولئلّا يشتَبِهَ خَطُّه.

العاشر: إذا كتب الجوابَ أعادَ نظره فيه وتأمَّلَه، خوفاً من اختلالٍ وقع فيه أو إخلالٍ ببعض المسؤول عنه. ويخْتارُ أن يكون ذلك قبل كتابة اسمه وخَتْمِ الجواب.

الحادي عشر: يُسْتَحَبُّ عند إرادة الإفتاء أنْ يستعيذَ بالله من الشيطان الرجيم، ويُسَمِّيَ اللهَ تعالى ويَحْمَدَه، ويُصَلِّيَ على النبيِّ وآله ﷺ، ويَدْعُوَ ويقولَ: ﴿رَبِّ اشْرَحْ

لي صَدْري ... ﴾[١] الآيات.

وكان بعضهم يقول: «لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم ﴿سُبْحانَكَ لاٰعِلْمَ لَنا إلّا ما عَلَّمْتَنا﴾[٢]، ﴿فَفَهَّمْناها سُلَيْمانَ ...﴾[٣] الآية. اللهمَّ صَلِّ على محمّد وآله وسائر النبيّين والصالحين، اللّهم وَفِّقْني واهْدِني وسَدِّدْني واجمع لي بين الصواب والثواب، وأعِذْني من الخطأ والحِرْمان».

الثّاني عشر: أنْ يَكْتُبَ في أوّلِ فتواه: «الحَمدُلِلّه» للحديث ـ[٤] وينبغي أن يقولَه بلسانه ويَكْتُبَه ـ ثُمَّ يَخْتِمَه بقوله: «والله أعْلَمُ» أو «وبالله التوفيق».

الثّالث عشر: ينبغي أن يختصرَ جوابَه غالباً، ويكونَ بحيث يَفْهَمُه العامَّةُ فهماً جليّاً، حتّى كان بعضُهم يكتب تحت «أيجوز؟»: «يجوز»، أو: «لايجوز»، وتحت «أم لا؟»: «لا»، أو: «نعم»، أو نحوها.

الرّابع عشر: قال بعضهم: إذا سُئِلَ عَمَّن قال شيئاً ممّا ينبغي إراقة دمه مثلاً، فلايبادِرُ بقوله: «هذا حلال الدم» أو «عليه القتل»، بل يقول: «إن ثبت ذا بإقراره أو ببيِّنةٍ كان الحكم كذا».

وإنْ كان في المذكورين في رُقْعَةِ الاستفتاء من لايَرِثُ، أفْصَحَ بسقوطه، فيقول:

---

١. طه/٢٥ـ٢٨.

٢. البقرة/٣٢.

٣. الأنبياء/٧٩.

٤. الدُّرُ المنثور، ج١، ص١٢.

«وَسَقَطَ فلانٌ». وإن كانَ يَسْقُطُ بحال دون حال، قال: «وَسَقَطَ فلانٌ في هذه الحالة»، أو نحو ذلك؛ لِئَلاَّ يُتَوَهَّمَ أنَّه لايَرِثُ بحالٍ.

وإذا سُئِلَ عن إخوةٍ وأخَواتٍ وبنينَ وبَنات، فلاينبغي أن يقول: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ﴾،[١] فإنّ ذلك قد يُشْكِلُ على العامّيّ، بل يقول: «يَقْتَسِمُونَ التَّرِكَة على كذا وكذا سَهْماً، لِكُلِّ ذَكَرٍ سَهمانِ ولِكُلِّ أُنثى سهمٌ» مثلاً. ولوأتى بلفظ القرآن، فلابأس أيضاً لِقِلَّةِ خفاء معناه، وإن كان الأوّلُ أوضحَ. وينبغي أن يقول أوّلاً: «تُقَسَّم التَّرِكَةُ بعد إخراج مايَجِبُ تقديمُه من وصيةٍ أو دينٍ إنْ كانا ...» إلى آخره.

الخامس عشر: ينبغي أنْ يُلصِقَ الجوابَ بآخِرِ الاستفتاء ولايَدَعَ فُرْجَةً، لئلّا يَزِيدَ السائلُ شيئاً يُفْسِدُها.

السّادس عشر: لِيَحْذَرْ أنْ يَمِيلَ في فتواه بِحِيَلٍ شرعيَّةٍ؛ فإنَّه من أقبحِ العيوب وأشنعِ الخِلال. ومن وجوهِ الميل أنْ يَكْتُبَ في جوابه ما هو له ويَتْرُكَ ما هو عليه.

وينبغي للمفتي إذا رأى للسائل طريقاً يَنْفَعُهُ، ولايَضُرُّ غيرَه ضرراً بغير حقٍّ، أنْ يُرْشِدَه إليه.

السّابع عشر: إذا رأى المفتي المصْلَحَةَ أنْ يُفتيَ العامِّيَّ بما فيه تغليظ وتشديد جاز ذلك حيث لايَتَرَتَّبُ عليه مَفْسَدَةٌ، كما رُوِيَ عن ابن عبّاس رضي الله عنه أنّه سأله رجلٌ عن توبة القاتل، فقال: «لاتَوْبَةَ له». وسَأَلَهُ آخَرُ فقال: «له توبةٌ». ثُمَّ قال: «أمّا

---

١. النساء/١١.

الأول فرأيتُ في عينِه إرادَةَ القتلِ فَمَنَعْتُه، وأمّا الثّاني، فجاء مِسْكِيناً قد قَتَلَ فلم أُقَنِّطْهُ». لكن يجبُ عليه التورية في ذلك، فيقول: «لاتَوْبَةَ له، أي في حالة إصراره على الذنب، أو وهو يُرِيدُ القَتْلَ أو نحو ذلك».

الثّامن عشر: إذا كان هو المبتدئ،[1] فالعادة قديماً وحديثاً أن يكتبَ في الناحية اليُسْرى من الرُّقْعة، ولايكتبَ فوقَ البَسْمَلَة أو نحوه بحالٍ.

التّاسع عشر: إذا رأى المفتي رُقْعَةَ الاستفتاء وفيها خَطٌّ غيرِه ممّنْ هو أهلٌ للفتوى وإن كان دونه، ووافق ماعنده، كتب تحت خطِّه: «الجواب صحيح»؛ أو «هذا جوابٌ صحيح»؛ أو «جوابي كذلك»، أو «مثل هذا»؛ أو «بهذا أقول»، ونحو ذلك. وله أن يذكُرَ الحكَم بعبارةٍ أخْصَرَ وأرْشَقَ.

وأمّا إذا رأىٰ فيها خَطَّ من ليس أهلاً للفتوى، فلايُفتي معه؛ لأنّ في ذلك تقريراً منه لمنكَرٍ. بل له أن يَضْرِبَ عليه وإن لميَأْذَنْ له صاحبُ الرُّقْعَةِ بل يجبُ عليه ذلك خصوصاً مع اشتماله على الخطأ أو يَحْبِسها عنده بإذن صاحبِها أو يقطعُها كذلك إلّا مع خوف الفتنة. وإذا تعذَّر ذلك ومايقومُ مقامَه كتبَ صوابَ جوابه عند ذلك الخطأ. ويحسُنُ أن تُعادَ للمفتى المذكور بإذن صاحبها. وله نهيُ السائلِ وزَجْرُهُ وتعريفُه قبحَ مافَعَلَه، وأنّه كان يَجِبُ عليه البحثُ عن أهلِ الفتوى.

وإن رأى فيها اسمَ من لايَعْرِفُه سَأَلَ عنه، فإنْ لميُعَرِّفْه فله الامتناعُ من الفتوى معه؛ خوفاً ممّاقلناه. والأولى في هذا الموضع أن يُشارَ إلى صاحِبها بإبدالها، فإنْ أبى

---

١. بأن لايكون في الرُّقعة فتوى مفتٍ آخَر.

ذلك أجابَه شفاهاً.

وأما إذا وَجَدَ فُتيا الأهل وهي على خلاف مايراه هو غير أنَّه لايَقْطَعُ بِخَطَئِها؛ فلْيَقْتَصِرْ على كَتْبِ جوابِ نفسه، ولايَتَعَرَّض لِفُتْيا غيره بتخطِئةٍ ولااعتراض.

العشرون: ليس بمُنْكَرٍ أن يَذْكُرَ المفتي في فتواه حُجَّةً مُخْتَصَرَةً قريبةً، من آيةٍ أو حديث؛ ومَنَعَهُ بعضُهم لِيُفْرقَ بين الفُتْيا والتصنيف، وفَصَّلَ بعضُهُم فقال «إنْ أفتىٰ عامّيّاً لميذكُرِ الحُجَّةَ، وإن أفتى فقيهاً ذَكَرَها». وهو حسن. بل قديحتاج المفتي في بعض الوقائع إلى أن يُشَدِّدَ ويُبالِغَ ويقولَ «هذا إجماع المسلمين»؛ أو: «لاأعلَمُ في هذا خلافاً»؛ أو: «منْ خالَفَ هذا فقد خالف الواجِبَ وعَدَلَ عن الصَّواب، أو الإجماعَ، أو فقد أثِمَ أو فَسَقَ»، أو: «وعلى وليِّ الأمر أن يأخُذَ بهذا، أو لايُهْمِلَ الأمرَ»؛ ومأشبه هذه الألفاظ، على حسب ماتَقْتَضِيهِ المصْلَحَةُ وتوجِبُه الحالُ.

النوع الثّالث: في المستفتي

كلُّ من لميَبْلُغْ دَرَجَةَ المفتي الجامع للعلوم المتقدِّمَة ويَسْأَلُ عنه الأحكام فهُوَ مُستفتٍ، ويُعَبَّرُ عنه بالعامِّيِّ أيضاً وإنْ كان من أفاضل عصره. بل ربما كان المستفتى أعلمَ من المفتي في علومٍ أُخَر لايَتَوَقَّفُ عليها الإفتاء؛ فإنّ العامِّيَّةَ الاصطلاحيَّة تُقابِلَ الخاصِّيَّة بأيِّ معنىً اعتبرتْ. فهاهنا يُرادُ بالخاصِّ المجتهدون، وبالعامِّ مَنْ دونَهم، ويقال له أيضاً: «المقلِّد».

والمراد بالتقليد «قبولُ قولِ من يجوزُ عليه الخطأُ بغير حُجَّةٍ» تفعيلٌ من القِلادَة، كأنَّ المقلِّدَ يَجْعَلُ مايَعْتَقِدُه من الأحكام قِلادَةً في عُنُقِ من قَلَّدَه.

ويَجِبُ على المقلِّد الاستفتاءُ إذا نزلَتْ به حادثةٌ يجِبُ عليه علمُ حُكْمِها، فإن لم‌يَجِدْ ببَلَدِه من يَسْتَفْتِيهِ وَجَبَ عليه الرحيلُ إلى من يُفْتِيه وإن بَـعُدَتْ دارُه. وقـد رَحَلَ[١] خلائقُ من السَّلَف في المسألة الواحدة اللَّياليَ والأيّامَ، وفـي بـعضها مـن العِراق إلى الحِجاز. وَإنْ لم‌يجِدْه في بلده ولافي غيرها ـ بناءً على أنّ الميِّتَ لاقولَ له، وأنّ الزمانَ يجوزُ خُلُوُّه من المجتهد، نَعُوذُ بالله تعالى مـن ذلك ـ وجَبَ عـليه الأخْذُ بالاحتياط في أمره ماأمْكَنَ، فإنْ لم‌يَتَّفِقِ الاحتياطُ، فهل يكون مُكَلَّفاً بشيءٍ يَصْنَعُهُ في واقعته؟ فيه نَظَرٌ.

وَينبغي للمُسْتَفْتي أنْ يَتَأَدَّبَ مع المفتي ويُبَجِّلَه في خِطابِه وجَوابِه ونحو ذلك. فلايومِئْ بيدِهِ إلى وَجْهِه، ولايَقُلْ له: «ماتَحْفَظُهُ في كـذا!»، ولاإذا أجـابَه: «هكـذا فَهِمْتُ قبلَئذٍ!» أو: «وقع لي هكذا!» أو نحو ذلك؛ ولا: «أفتاني فلانٌ، أو: غَيْرُك بهذا، أو: بخِلافه!»؛ ولا: «إنْ كان جوابُك موافِقاً لما كَتَبَ فَاكْتُبْ وإلّا فلا!».

ولايَسْأَلْه وهو (أي المفتي) قائمٌ أو مُسْتَوْفِزٌ،[٢] أو مشغولٌ بما يَمْنَعُهُ من تَـمام الفِكْر. ولايُطالِبْه بدليل، ولايَقُلْ: «لِمَ قُلْتَ كذا؟» فإنْ أحَبَّ أن تَسْكُنَ نَفْسُه بِسَماعِ الحُجَّةِ، طَلَبَها في مجلسٍ آخَرَ، أو في ذلك المجلس بعد قبول الفتوى مُجَرَّدَةً.

ويَدْفَعُ الرُّقْعَةَ إلى المفتي منشورةً ويأخُذُها منشورةً، ولايُحْوِجُه إلى نَشْرِها ولاإلى طيِّها. ومن آداب الاستفتاء أن لايَدَعَ المستفتي الدُّعاءَ لِلْمُفتي في الرُّقْعَةِ، والله الموفِّق.

---

١. راجع «الرّحلة في طلب الحديث»، ص٥٣ ـ ٧٢.

٢. من وَفَزَ بمعنى عَجِلَ، واستوفَزَ في قِعْدته: انتصب فيها غير مطمئنّ، جلس على هيئةٍ كأنَّهُ يُريد القيام (المعجم الوسيط).

الخاتمة

● و فيها ثلاثة مطالب:

☑ المطلب الأوّل في أقسام العلوم

☑ المطلب الثّاني: في احكام تعلم العلم

☑ المطلب الثّالث: في ترتيب العلوم

المطلب الأول: في أقسام العلوم الشَّرعيَّة

وفيه فصلان:

الفصل الأوَّل: في العلوم الأصليَّة

وهي أربعة: علم الكلام، وعلم الكتاب، وعلم الحديث، وعلم الفقه. وتخصيص العلوم الشرعيَّة بالأربعة مُصْطَلَحُ جَماعَةٍ من العلماء، ورُبَّما خَصَّها بعضُهُم بالثلاثة الأخيرة.

أمّا علم الكلام: ويُعَبَّرُ عنه بأُصول الدين، فهو أساس العلوم الشرعيَّة وقاعدتها. لأنّ به يُعْرَفُ الله تعالى ورسولُه وخليفته وغيرهما، وبه يُعْرَفُ صحيحُ الآراء من فاسدها وحَقُّها من باطلها. وقد جاء في الحثّ على تعلُّمِهِ وفضله كثيرٌ من الكتاب والسُّنَّة: قال الله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاإِلٰهَ إِلّا اللهُ ﴾.[1]

وقال تعالىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا في أَنْفُسِهِمْ ما خَلَقَ اللهُ السَّمٰواتِ وَالأَرْضَ وَمابَيْنَهُما إِلّا بِالْحَقِّ ﴾.[2]

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا في مَلَكُوتِ السَّمٰواتِ وَالأَرْضِ وَما خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾.[3]

---

١. محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم/ ١٩.

٢. الرُّوم/٨.

٣. الأعراف/١٨٥.

ومرجع ذلك إلى الأمر بالنظر والاستدلال بالصنعة المحكمة والآثـار المـتقَنة، على الصانع الواحد القادر العالِم الحكيم.

قال رسول الله ﷺ: «ماقُلْتُ، ولاقال القائلونَ قبلي مثلَ "لاإلهَ إلّا الله"».[١]

وعن ابن عباس قال: جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسول الله، عَلِّمْني من غرائبِ العلمِ. قال: «ماصَنَعْتَ في رأسِ العلم حتّى تَسْأَلَ عن غرائبه؟» قال الرجل: مارأسُ العِلْم يا رسولَ الله؟ قال: «مَعْرِفَةُ الله حَقَّ مَعْرِفَتِهِ». قال الأعرابيُّ: وما مَعْرِفَةُ الله حَقَّ معرفته؟ قال: «تَعْرِفُه بلامِثْلٍ ولاشِبْهٍ ولانِدٍّ، وأنّه واحدٌ أحدٌ، ظـاهرٌ بـاطنٌ، أوّلٌ آخِرٌ، لاكُفْوَ له ولانَظيرَ، فَذلكَ حَقُّ مَعْرِفَتِه».[٢]

والأثر في ذلك عن أهل البيت عليهم السلام كثيرٌ جِدّاً، ومن أراده فَلْيقِفْ عـلى كـتابَي *التوحيد للكلينيِّ*،[٣] و*الصدوق* رَحِمَهُما الله تعالى.

وأما علم الكتاب: فقد استقرَّ الاصطلاح فـيه عـلى ثـلاثةِ فـنون قـد أُفـرِدَتْ بالتصنيف وأُطلِقَ عليها اسم العلم:

أحدها: علم التجويد؛ وفائدته معرفة أوضاع حروفه وكلماته مفردةً ومركَّبَةً.

وثانيها: علم القِراءة؛ وفائدته معرفة الوجوه الإعرابيّة والبنائيّة التي نَزَلَ القرآنُ بها، ونُقِلَتْ عن النبيِّ ﷺ تواتُراً، ويندرج فيه بعضُ ماسَبَقَ في الفنّ الأوَّلِ، وقـد يُطْلَقُ عليهما علمٌ واحدٌ.

---

١. التوحيد للصدوق رحمه الله، ص١٨.

٢. نفس المصدر، ص٢٨٤.

٣. الكافي، ج١، ص٧٢ـ١٦٧.

وثالثها: علم التفسير؛ وفائدته معرفة معانيه واستخراج أحكامه وحِكَمِه؛ ليترتَّبَ عليه استعمالُه في الأحكام والمواعظِ والأمر والنهي وغيرها. ويندرج فيه غالباً معرفة ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه، وغيرها. وقد ورد في فضله وآدابه والحَثِّ على تعلّمه أخبارٌ كثيرةٌ وآثارٌ.

فعن أبي‌عبدالرحمن السُّلَميِّ قال: حَدَّثَنا من كان يُقْرِئُنا من الصحابة أنهم كانوا يأخذون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشرَ آيات، فلايأخذون في العَشْرِ الأُخرى حتّى يَعْلَمُوا مافي هذه من العلم والعمل.[١]

وأمّاعلم الحديث: فهو أجلُّ العلوم قدراً وأعلاها رتبةً وأعظمها مثوبةً بعد القرآن، وهو ماأُضيف إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أو إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام قولاً أو فعلاً أو تقريراً أو صفةً، حتى الحركات والسكنات واليقظة والنوم. وهو ضربان: روايةٌ، ودرايةٌ.

فالأول: العلم بما ذُكر.

والثّاني: ـ وهو المراد بعلم الحديث عند الإطلاق وهو أفضلهما ـ علمٌ يُعْرَفُ به معاني ماذُكِر ومتنُه وطُرُقُه وصحيحُه وسقيمُه ومايُحْتاجُ إليه من شروطِ الروايةِ وأصنافِ المرويّات، لِيُعرَفَ المقبولُ منه والمردودُ، لِيُعْمَلَ به أو يُجْتَنَبَ.

وقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «خبرٌ تَدْرِيه خيرٌ من ألفٍ تَرْوِيه».[٢]

---

١. مجمع الزَّوائد، ج ١، ص ١٦٥.

٢. بحارالأنوار، ج ٢، ص ٢٠٦.

وقال عليه السلام: «عليكم بالدِّراياتِ لاالرِّواياتِ».[١]

وقال عليه السلام: «رُواةُ الكتابِ كثيرٌ، ورُعاتُه قليلٌ، فكَمْ مُسْتَنْسِخٍ للحديث مُسْتَغِشٍّ للكتاب، والعلماءُ تَجْزِيهِمُ الدرايةُ والجُهّالُ تَجْزِيهِمُ الروايةُ».[٢]

وممّا جاء في فضل علم الحديث مطلقاً من الأخبار والآثار قول النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «مَنْ أدَّى إلى أُمَّتي حديثاً يُقامُ به سُنَّةٌ أو يُثْلَمُ به بِدْعةٌ، فله الجنَّةُ».[٣]

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «رَحِمَ الله خُلَفائي. قيل: ومن خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون من بعدي فَيَرْوُونَ أحادِيثي ويُعَلِّمُونَها النَّاسَ».[٤]

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «من حَفِظَ على أُمَّتي أربعينَ حديثاً من أمرِ دِينِها بَعَثَهُ الله يَوْمَ القِيامَةِ فقيهاً، وكُنْتُ له شافِعاً وشهيداً».[٥]

وأمّاالفقه: فأصله ـ في اللغة ـ: الفهم أو فهم الأشياء الدقيقة، وفي الاصطلاح: «علم بحكم شرعيّ فرعيّ مكتسب من دليل تفصيليٍّ، سواء كان من نصِّه أم استنباطاً منه». وفائدته امتثالُ أوامرِ الله تعالى واجتنابُ نواهيه المحَصِّلانِ للفوائدِ الدنيويَّة والأُخرويَّة.

وممّا ورد في فضله وآدابه خبرُ: «مَنْ يُرِدِ الله به خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدين».[٦]

---

١. نفس المصدر.

٢. بحارالأنوار، ج٢، ص٢٠٦.

٣. الجامع الصغير، ج٢، ص١٦١.

٤. كتاب من لايحضره الفقيه، ج٤، ص٣٠٢.

٥. الخصال، ج٢، ص٦٤٣.

٦. سنن الترمذي، ج٥، ص٢٨.

وخبر: «فَقيهٌ أشدُّ على الشَّيطانِ من ألفِ عابدٍ».[١]

وقوله ﷺ: «خَصْلَتانِ لاتَجْتَمِعان في مُنافقٍ: حُسْنُ سَمْتٍ وفِقْهٌ في الدِّين».[٢]

وقوله ﷺ: «أفْضَلُ العِبادَةِ الفِقْهُ، وأفضلُ الدينِ الوَرَعُ».[٣]

وعن أبي جَعْفَرٍ عليه السلام قال: «الْكَمالُ كُلُّ الكمالِ التَّفَقُّهُ في الدِّينِ، والصَّبْرُ على النائِبَة، وتَقْدِيرُ المعِيشَةِ».[٤]

وروي سُلَيْمانُ بنُ خالِدٍ عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: «مامِنْ أحدٍ يَموتُ مِنَ المؤْمِنِينَ أحَبُّ إلى إبْلِيسَ مِنْ مَوْتِ فَقِيهٍ».[٥]

وعنه عليه السلام، قال: «إذا ماتَ المؤمنُ الفقيهُ ثُلِمَ في الإسلامِ ثُلْمَةٌ لايَسُدُّها شَيْءٌ».[٦]

فهذه نَبْذَةٌ من الاخبار المختصَّةِ بالعلوم الشرعيَّة مضافةً إلى ماورد في مطلق العلم وقد تقدّم جملة منه.

الفصل الثّاني: في العلوم الفرعيَّة

وهي التي تتوقَّفُ معرفة العلوم الشرعيَّة الأصليَّة عليها.

أما المعرفة بالله تعالى ومايَتْبعُه فلايتوقَّفُ أصلُ تَحَقُّقِهِ على شيءٍ من العلوم، بل يَكْفي فيه مجرَّدُ النظر، وهو أمر عقليٌّ يجب على كل مكلَّف، وهو أوّلُ الواجبات

---

١. نفس المصدر، ص٤٨.

٢. نفس المصدر، ص٤٩.

٣. كنز العمّال، ج١٠، ص١٥٠.

٤. الكافي، ج١، ص٣٢.

٥. نفس المصدر، ص٣٨.

٦. نفس المصدر.

بالذات؛ وإن كان الخوضُ في مباحثه وتحقيقُ مطالبه ودَفْعُ شُبَهِ المُبْطِلِينَ فيه يَتَوَقَّفُ على بعض العلوم العقليَّة كالمنطق وغيره.

وأمّاالكتاب العزيز فإنّه بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ؛ فَتَتَوَقَّفُ معرفتُه على العلوم العربيّة من النحو والتصريف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع ولغة العرب؛ و على أُصول الفقه لِيُعْرَفَ به حكمُ عامِّه وخاصِّه، ومطلقه ومقيَّدِه، ومحكمه ومتشابهه، وغيرها من ضروبه. فمعرفة ماتَتَوَقَّفُ معرفة الكتاب عليه من هذه العلوم واجبة كوجوب معرفة الكتاب نفسه، فإنْ كان عينيّاً فهي عينيّة، وإنْ كان كفائيّاً فهي كفائيّة، وسيأتي تفصيلُه إن شاء الله تعالى.

وأما الحديث فالكلام فيه كالكلام في الكتاب، وعلومُه علومُه. ويزيد الحديث عنه بمعرفة أحوال رواته من حيث الجرح والتعديل، لِيُعْرَفَ مايجب قبولُه منها ومايجب ردُّه، وهو علم *الرِّجال*.

وأما الفقه فَتَتَوَقَّفُ معرفتُه على جميع ما ذكر من العلوم الفرعيَّة والأصليَّة: أمَّا الكلام، فَلِتَوَقُّفِ معرفةِ الشرعِ على شارعه وعدله وحكمته، ومعرفةِ مُبَلِّغِهِ وحافِظِه. وأمّا الكتاب ففيه نحو خمسمائة آية تَشْتَمِلُ على أحكام شرعيَّة، فلابُدَّ من معرفتها لمن يُريد التفَقُّهَ بطريق الاستدلال. وأما الحديث، فلابدّ من معرفة مايشتمل منه على الأحكام ليَسْتَنْبِطَها منه ومن الآيات القرآنيَّة؛ فإنْ لم يُمْكِنْ استنباطُها منهما رجع إلى بقية الأدلة التي يمكن استفادتها منها من الإجماع ودليل العقل على الوجه المقرَّرِ في أُصول الفقه.

والمنطق آلة شريفة لتحقيق الأدلة مطلقاً، ومعرفة الموصل منها إلى المطلوب من غيره.

المطلب الثّاني: في أحكام تعلُّم العلم

وهي ثلاثةٌ: فَرْضُ عَيْنٍ، وفَرْضُ كِفايَةٍ، وَسُنَّةٌ.

أمّا فرض العين: فهو مالايَتَأَدَّى الواجبُ عيناً إلّا به، وعليه حُمِلَ حديث «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ على كلِّ مُسْلِمٍ».[1] وهو يرجع إلى اعتقاد وفعل وترك.

فالاعتقاد: اعتقاد كلمتي الشهادتين، ومايجب لِلّه ويمتنع عليه، والتصديق بما جاء به النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم من أحوال الدنيا والآخرة ممّا ثَبتَ عنه تواتراً، والإذعان بالإمامة للإمام. كُلُّ ذلك بدليل تَسْكُنُ النفس إليه ويَحْصُلُ به الجزم.

وما زاد على ذلك من أدلّة المتكلّمين والخوضِ في دقائق الكلام، فهو فرضُ كفايةٍ، لصيانة الدين ودفع شبه المبطلين.

والفعل: تَعَلُّمُ واجب الصلاة عند التكليف بها ودخول وقتها أو قبله بحيث يتوقَّفُ التَعلُّم عليه. ومثلها الزكاة والصوم والحجُّ والجِهاد والأمر بالمعروف. وأما باقي أبواب الفقه من العقود والإيقاعات فيجب تعلُّمُ أحكامها حيث يجب على المكلَّف بأحد الأسباب المذكورة في كتب الفقه، وإلّا فهي واجبةٌ كفايةً.

ومنه تعلُّمُ مايحلُّ ويَحْرُمُ، من المأكول والمشروب والملبوس ونحوها ممّا لاغِنًى عنه، وكذلك أحكام عِشْرَة النساء.

والترك: تعلُّمُ مايَحْصُلُ به تطهيرُ القلب من الصفات المهلكة كالرئاءِ والحسدِ

١. الكافي، ج ١، ص ٣٠.

والعُجْبِ والكبرِ ونحوها ممّا تحقق في علمٍ مُفْرَدٍ وهو من أجلّ العلوم قدراً، إلّا أنه قد اندرس بحيث لايكاد تَرىٰ له أثراً.

ولو تَوَقَّفَ تعلُّمُ بعضِ هذه الواجباتِ على الاشتغال به قبل البلوغ لضيق وقته بعده ونحوه، وجب على الولِيِّ تعليمُ الولد ذلك قبله من باب الحِسْبَة؛ بل ورد الأمر بتعليم مطلق الأهل مايَحْصُلُ به النجاةُ من النار، قال الله تعالى: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أنْفُسَكُمْ وأهْلِيكُمْ ناراً ﴾.[1] قال عليٌّ عليه السلام: «معناه: عَلِّمُوهُم مايَنْجَوْنَ به مِنَ النّار».[2]

وأما فرض الكفاية: فمالابدّ للناس من تعلّمه في إقامة دينهم ممّا مرّ من العلوم الشرعيَّة، أو في أمر معاشهم كالطِّبِّ والحساب وتعلُّم الصَّنائع الضروريَّة كالخياطة والفلاحة حتى الحجامة ونحوها.

قال بعض العلماء: «فرض الكفاية أفضل من فرض العين، لأنَّه يُصان بقيام البعض به جميعُ المكلَّفِين عن الإثم المترتِّبِ على تركهم له، بخلاف فرض العين فإنّما يصان به عن الإثمِ القائمُ به فقط».

وأمّا السُّنَّةُ: فَكَتَعَلُّمِ نَفْلِ العبادات والآداب الدينيّة ومكارمِ الأخلاق وشبه ذلك، وهو كثير. ومنه تَعَلُّمُ الهَيْأةِ للاطّلاع على عظمة الله تعالى ومايترتَّبُ عليه من الهندسة وغيرها.

---

١. التحريم/٦.

٢. الدُّرُّ المنثور، ج٦، ص٢٤٤.

وبَقِيَ علومٌ أُخَر: بعضُها محرَّمٌ مطلقاً، كالسِّحر والشَّعْبَذَة وبعضِ الفَلْسَفَة وكلّ ماتَتَرَتَّبُ عليه إثارةُ الشكوك. وبعضُها مُحَرَّمٌ على وجهٍ دونَ آخرَ كأحكام النجوم والرَّمل؛ فإنَّه يحرم تعلّمها مع اعتقاد تأثيرها وتحقيق وقوعها، ومباحٌ مع اعتقاد كون الأمر مُسْتَنِداً إلى الله تعالى، وأنّه أجْرىٰ العادةَ بكونها سبباً في بعض الآثار وعلى سبيل التفاؤل. وبعضُها مكروهٌ كأشعار المولَّدِين[1] المشتملة على الغَزَلِ وتزجية[2] الوقت بالبَطالة، وتضييع العمر بغير فائدة. وبعضُها مباحٌ كمعرفة التواريخ والوقائع والأشعار الخالية عمّا ذكر ممّا لايدخل في الواجب، كأشعار العَرَب العارِبة[3] التي تَصْلُحُ للاحتجاج بها في الكتاب والسُّنَّة؛ فإنّها مُلْحَقَةٌ باللغة.

وباقي العلوم من الطبيعيِّ والرياضيِّ والصناعيِّ أكثرُه موصوفٌ بالإباحة بالنظر إلى ذاته، وقد يُمْكِنُ جَعْلُه مندوباً لتكميل النفس، وإعدادها لغيره من العلوم الشرعيَّة بتقويتها في القوّة النظريَّة. وقد يكون حراماً إذا استلزم التقصيرَ في العلم الواجب عَيْناً أو كفايةً، كما يَتَّفِقُ كثيراً في زماننا هذا لبعض المحرومين الغافلين عن حقائق الدين.

ومن هذا الباب الاشتغال في العلوم التي هي آلة العلم الشرعيِّ زيادةً عن القدر المعتبر منها في الآليَّة مع وجوب الاشتغال بالعلم الشرعيِّ.

---

١. هم من الشعراء، الَّذين جاؤوا بعد الشعراء المعاصرين لصدر الإسلام إلى زماننا هذا.

٢. التزجية: دفع الشيء.

٣. العَرَب العارِبة: الخُلَّص في العُروبة.

المطلب الثّالث: في ترتيب العلوم

اعلم أنَّ لِكُلِّ علمٍ من هذه العلوم مَرْتَبَةً من التعلّم، لابُدَّ لطالبه من مراعاتها لِئَلاَّ يَضِيعَ سَعْيُه أو يَعْسُرَ عليه طَلَبُه، ولِيَصِلَ الى بُغْيَتِهِ بِسُرْعَةٍ. وكم قد رأينا طُلّاباً للعلم سنينَ كثيرة، لم يَحصُلُوا منه إلّا على القليل، وآخرين حَصَّلُوا منه كثيراً في مُدَّةٍ قليلةٍ بسبب مراعاة ترتيبه وعدمه.

ولْيُعْلَمْ أيضاً أنَّ الغرضَ الذاتيَّ ليس هو مجرَّدَ العلم بالعلوم الشّرعيَّة، بل الغرض موافقة مراد الله تعالى منها: إمّا بالآليَّة، أو بالعلم، أو بالعمل، أو بإقامة نظام الوجود، أو إرشاد عباده إلى مايراد منهم، أو غير ذلك من المطالب، وبسبب ذلك يختلف ترتيب التعلُّم.

فمن كان تَعلُّمُه في ابتداء أمره ورَيَعان شبابه ـ وهو قابلٌ للترقِّي إلى مراتبِ العلوم والتأَهُّل للتفقُّهِ في الدين بطريق الاستدلال والبراهين ـ فينبغي أن يشتغل في أوَّل أمره بحفظِ كتاب الله تعالى وتجويده على الوجه المعتبر، ليكونَ مفتاحاً صالحاً ومعيناً ناجحاً، ولِيَسْتَنِيرَ القلبُ به، ويَسْتَعِدَّ بسببه إلى درك باقي العلوم.

فإذا فَرَغَ منه اشتغل بتعلُّم العلوم العربية، فإنّها أول آلات الفهم وأعظم أسباب العلم الشرعي. فَيَقْرأ أوَّلاً علمَ التصريف، ويتدرَّج في كتبه من الأسهلِ الى الأصعبِ والأصغرِ إلى الأكبرِ حتى يُتْقِنَه ويُحِيطَ به علماً. ثُمَّ ينتقل إلى النحو، فيشتغل فيه على هذا النهج ويزيد فيه بالجِدِّ والحفظ؛ فإنّ له أثراً عظيماً في فهم المعاني، ومدخلاً جليلاً في إتقان الكتاب والسنة، لأنّهما عربيّان. ثُمَّ ينتقلُ منه إلى بقية العلوم العربية.

فإذا فَرَغَ منها أجمع اشتغل بالمنطق، وحَقَّقَ مقاصدَه على النَّمَطِ الأوسط، ولا يبالغ

فيه مُبالَغَتَهُ في غيره؛ لأنَّ المقصودَ منه يَحْصُلُ بدونه، وفي الزيادة تضييع للوقت غالباً.

ثُمَّ ينتقلُ منه إلى علم الكلام، ويَتَدَرَّجُ فيه كذلك، ويَطَّلِعُ على طبيعيّاته لِتَحْصُلَ له بذلك مَلَكَةُ البحث والاطّلاع على مزايا العوالم وخواصِّها.

ثُمَّ يَنتقلُ منه إلى أُصول الفقه، مُتَدرِّجاً في كُتبه ومباحثه كذلك، وهذا العلم أولى العلوم بالتحرير، وأحَقُّها بالتحقيق ـ بعد علم النحو ـ لمن يريد التفقُّه في دين الله تعالى، فلايَقْتَصِر منه على القليل، فبقدر مايُحَقِّقُه تَتَحَقَّقُ عنده المباحثُ الفقهية والأدلَّةُ الشرعيّةُ.

ثُمَّ ينتقلُ منه إلى علم دراية الحديث، فيطالعه ويُحيط بقواعده ومصطلحاته وليس من العلوم الدقيقة، وإنَّما هو مصطلحات مُدَوَّنَةٌ وفوائدُ مجموعةٌ.

فإذا وَقَفَ على مقاصدِهِ انتقل إلى قِراءة الحديث بالرواية والتفسير والبحث والتصحيح على حسب ماتقتضيه الحال وَيَسَعُه الوقتُ، ولاأقلَّ من أصلٍ منه يشتمل على أبوابِ الفقه وأحاديثِهِ.

ثُمَّ ينتقل منه إلى البحث عن الآيات القرآنية المتعلِّقَةِ بالأحكام الشرعية، وقد أفْرَدَها العلماء رضوان الله عليهم بالبحث وخَصُّوها بالتصنيف، فَلْيُطالعْ فيها كتاباً، ولْيَبْحَثْ عن أسرارها، وَلْـيُمْعِنِ النَّظَرَ في كشف أغوارها، فليس لها حدٌّ تَقِفُ عليه الأفهامُ، إذ ليستْ كغيرها من كلام الأنام، وإنّما هي كلام الملك العلّام، وفَهْمُ الناسِ لها على حَسَبِ ماتَصِلُ إليه عقولُهم وتُدْرِكُه أفهامُهُم.

فإذا فَرَغَ منها انتقل بعدها إلى قِراءة الكتب الفقهية، فيقرأ منها أولاً كتاباً يَطَّلِعُ فيه على مطالبه ورؤوس مسائله، وعلى مصطلحات الفقهاء وقواعدهم فإنّها لاتَكَادُ تُسْتَفَادُ إلّا من أفواه المشايخ بخلاف غيره من العلوم. ثم يَشْرَعُ ثانياً في قراءة كتاب آخر بالبحث والاستدلال، واستنباط الفرع من أُصوله، وردِّه إلى مايليق به من

العلوم، واستفادة الحكم من كتاب أو سنّةٍ من جهة النصّ أو الاستنباط من عـموم لفظ أو إطلاقه، ومن حديث صحيح أو حسن أو غيرهما لِيَتَدَرَّبَ على هذه المطالب على التدريج؛ فليس من العلوم شيء أشدُّ ارتباطاً بسائر العلوم، ولاأعمُّ احتياجاً اليه من علم الفقه. فَلْيَبْذُلْ فيه جُهْدَه ولْيُعْظِمْ فيه جِدَّه، فإنّه المقصد الأقصى والمطلبُ الأسنى و وِرٰاثَة الأنبياء. ولايكفي ذلك كلُّه إلّا بهبةٍ من الله تعالى إلهيّةٍ وقُـوَّةٍ مـنه قـدسيَّةٍ تُوصِلُه إلى هذه البُغْيَة، وتُبَلِّغُه هذه الرُّتْبَة، وهي العُمْدَةُ في فقه دين الله تعالى. ولا حيلةَ للعبد فيها، بل هي مِنْحَةُ الهيَّةٌ ونَفْحَةٌ رَبّانيَّةٌ يَخُصُّ بها مَنْ يَشاءُ مِنْ عباده؛ إلّا أنَّ لِلْجِدِّ والمجاهدَةِ والتوجُّهِ إلى الله تعالى، والانقطاع إليه أثراً بيِّناً في إفاضتها من الجناب القدسيِّ ﴿ وَالَّذِينَ جٰاهَدُوا فِينٰا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنٰا وَإِنَّ اللهَ لَـمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾.[١،٢]

فإذا فَرَغَ من ذلك كلِّه شرع في تفسير الكتاب العزيز بأسْرِه، فكُلُّ هذه العلوم له بمنزلة المُقَدِّمة. وإذا وُفِّقَ له، فلايقتصر على مااسْتَخْرَجَهُ المفسِّرُونَ بأنظارهم فيه، بل يُكْثِرُ من التفكُّرِ في معانيه، ويُصَفِّي نَفْسَه لِلتَّطَلُّعِ على خَوٰافِيهِ، ويَبْتَهِلُ إلى الله تعالى في أن يَمْنَحَه من لَدُنْه فهمَ كتابِه وأسرارَ خطابِه، فحينئذ يَظْهَرُ عليه من الحقائق مالم يصلْ إليه غيره من المفسِّرين؛ لأنّ الكتاب العزيز بحرٌ لُجِّيٌّ في قعره دُرَرٌ وفي ظاهره خِيَر؛ والناس في التقاط دُرَرِه والاطّلاع على بعض حقائقه على مراتبَ حَسَبِ مـاتَبْلُغُه قُوَّتُهُم ويَفْتَحُ الله به عَلَيْهِمْ. ومن ثَمَّ نرى التفاسيرَ مختلفةً حسبَ اختلافِ أهلها فيما يَغْلِبُ عليهم من العلم: فمنها مايَغْلِبُ عليه العربيةُ كـ***الكَشّاف للـزمخشري***؛ ومـنها

---

١. العنكبوت/٦٩.

٢. لاحظ قول المصنِّف‌ﷺ في تعريف الفقيه الجامع لشرائط الإفتاء، الرَّوضةَ البهيّة في شرح اللُّمعَة، كتاب القضاء، واغتنمه.

مايَغْلِبُ عليه الحكمةُ والبرهانُ الكلاميُّ *كمفاتيح الغيب للرازيّ*، ومنها مايَغْلِبُ عليه القِصَصُ *كتفسير الثعلبيّ*؛[١] ومنها مايُسَلِّطُ على تأويل الحقائق دون تفسير الظاهر *كتأويل عبدالرزاق القاشيّ* ...[٢] إلى غير ذلك من المظاهر. ومن المشهور ما رُوي مِنْ: «أنّ للقرآن تفسيراً وتأويلاً وحقائقَ ودقائق، وأنَّ له ظهراً وبطناً وحدّاً ومطلعاً».[٣] ﴿ ذلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ، وَاللهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظيم ﴾.[٤]

فإذا فَرَغَ من ذلك وأرادَ الترقّيَ وتكميلَ النفسِ، فليُطالِعْ كُتُبَ الحِكْمَةِ من الطبيعيِّ والرياضيِّ، والحكمة العمليّة المشتملة على تهذيب الأخلاق في النفس.

ثم ينتقل بعده إلى العلوم الحقيقيّة والفنون الحقّيّة، فإنّها لُبابُ هذه العلوم ونتيجة كل معلوم، وبها يَصِلِ إلى درجة المقرَّبين ويحصل على مقاعد الواصلين. أوصَلَنَا الله وإيّاكُمْ إلى ذلك الجَنابِ إنّه كريم وَهّاب.

هذا كلُّه ترتيبُ منْ هو أهلٌ لهذه العلوم، وله استعدادٌ لتحصيلها، ونفسٌ قابلةٌ لفهمها. فأمّا القاصرون من دركِ هذا المقام، والممنوعون بالعوائق عن الوصول إلى هذا المرام، فَلْيَقْتَصِرُوا منها على مايُمْكِنُهُمْ الوصول إليه متدرِّجينَ فيه حَسَبَ مادَلَلْنا عليه. فإنْ لميكن لهم بُدٌّ من الاقتصار، فلاأقلَّ من الاكتفاء بالعلوم الشرعيَّة والأحكام الدينيَّة.

فإنْ ضاق الوقتُ أو ضَعُفَتِ النفسُ عن ذلك، فالفقه أولى من الجميع، فَبِه قامتِ النُّبُوّاتُ، وانتظم أمر المعاش والمعاد، مُضِيفاً إليه مايجب مراعاتُه من تهذيب النفس

---

١. الموسوم بـ«*الكشف والبيان*».

٢. الموسوم بـ«*تأويل الآيات*».

٣. راجع الأصل (منية المريد)، ص٣٨٨ـ الذَّيل، الرّقم ٣.

٤. الجمعة/٤.

وإصلاح القلب من علم الطبِّ النفسيِّ، لِتَتَرَتَّبَ عليه العَدالةُ التي بها قامت السماوات والأرض، والتقوى التي هي ملاك الأمر.

فإذا فَرَغَ عمّا خُلِقَ له من العلوم فليشتغل بالعمل الذي هو زُبْدَةُ العلم وعـلّةُ الخلق، قال الله تعالى: ﴿ وَمٰا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنْسَ إلّا لِيَعْبُدُون ﴾.[1]

وهذه العلوم بمنزلة الآلات القريبة أو البعيدة للعمل، كما حَقَّقْناه. وما أجْـهَلَ وأخْسَرَ وأحْمَقَ من يَتَعَلَّمُ صنعةً لِينتفعَ بها في أمرٍ ثمَّ يَصْرِفُ عُمْرَه ويَجْعَلُ كَدَّه في تحصيل آلاتها من غير أن يشتغل بها اشتغالاً يحصل به الغرض منها، فَـتَدَبَّرْ ذلك مُوَفَّقاً إنْ شاءَ الله تعالى.

---

١. الذّاريات/٥٦.

تتمّة الكتاب

(نصحٌ وإيقاظ)

اعلم وَفَّقَك الله تعالى أنّي قد أوْضَحْتُ لك السبيلَ، وعَـلَّمْتُكَ كـيفيّةَ المسـيرِ، وَبَيَّنْتُ لك كمالَ الآداب، وحَثَثْتُكَ على دخول هذا الباب؛ فعليك بالجِدِّ والتشمير، واغتنام أيام عمرك القصير، في اقتناء الفضائل النفسانيّة، والحصول على الملكات العلمية، فإنّها سببٌ لسعادتك المؤَبَّدة، وموجبةٌ لكمال النعمة المـخَلَّدَة؛ فـإنّها مـن كمالات نفسك الإنسانيّة، وهي باقية أبداً لا تعدم كما تَحَقَّقَ في العلوم الحِكـمِيَّة، ودَلَّتْ عليه الآياتُ القرآنيّة والأخبار النبويّة، فتقصيرك في تحصيل الكمال في أيام هذه المهلة القليلة موجبٌ لدوام حسرتك الطويلة.

واعتبر في نفسك الآن إن كنت ذا بصيرة أنّك لاتَرْضىٰ بالقُصور عن أبناء نوعك من بلدك أو محلّتك، وتَتَألَّمُ بزيادة علمهم على علمك وارتفاع شأنهم على شأنك، مع أنّك وهم في دارٍ خسيسة، وعيشةٍ دنيئة زائلةٍ عمّا قليلٍ، ولايكاد يَـطَّلِع عـلى نقصك من الخارجين عنك إلّا القليلُ، فكيف تَرْضىٰ لنفسك إن كنتَ عاقلاً بأن تكونَ غداً ـ في دار البقاء عند اجتماع جميع العوالم من الأنبياء والمرسلين، والشـهداء، والصالحين، والعلماء الراسخين، والملائكة المقرَّبين؛ ومنازلُهم في تلك الدار عـلى قدر كمالاتهم التي حَصَّلُوها في هذه الدار الفانية، والمدَّةِ الزائلة ـ في مَوْقِفِ صَفِّ النِعال، وأنت الآن قادر على درك الكمال، ماهذا إلّا قصورٌ في العقل أو سُبات. نعوذ بالله من سِنَةِ الغَفْلَةِ وسوءِ الزَّلَّة.

هذاكُلُّه على تقدير سلامتِك في تلك الدار من عظيم الأخطار وعذابِ النار، وأنّىٰ

لكَ بالأمان من ذلك؟ وقد عرفتَ أنَّ أكثرَ هذه العلوم واجبٌ إمّا على الأعيان أو الكفاية، وأنّ الواجب الكفائيَّ إذا لم يَقُمْ به من فيه كفايةٌ يَأْثَمُ الجميع بتركه، ويصير حكمُه في ذلك كالواجب العينيّ.

وأين القائمُ في هذا الزمان، بل في أكثر الأزمان بالواجب من تحصيل هذه العلوم الشرعيّة، والحاصلُ على درجتها المرضيّة؟ سيّما التفقُّه في الدين، فإنّ أقلَّ مراتِبِه وُجُوبُه على الكفاية، وأدنى مايَتَأَدّىٰ به هذا الواجب أن يكون في كلِّ قُطْرٍ قائمٌ به ممّن فيه كفاية، وهذا لايحصُلُ إلّا مع وجودِ خلقٍ كثيرٍ من الفقهاء في أقطارِ الأرض. ومتى اتّفَقَ ذلك في هذه الأزمنة؟ فالتقاعد عن هذا الواجب والاشتغال بغير العلم ومقدماته، قد صار من أعظم العصيان وإن كان بصورة العبادة من دعاء أو قراءة قرآن، فأين السلامةُ من أهوال القيامة للقاعد عن الاشتغال بالعلوم الشرعية؟![1]

واعتبر بعد ذلك على تقدير السلامة من تلك الأهوال ـ أنَّ امتيازَك عن سائر الحيوانات ليس إلّا بالقُوّة العاقلة التي قد خَصَّكَ الله بها من بينها، المُمَيِّزَةِ بين الخطأ والصواب، الموجِبَةِ لتحصيل العلومِ النافعةِ لك في هذه الدار وفي دار المآب. فقعودُك عن استعمالها فيما خُلِقْتَ له، وانْهِماكُك في المأكل والمشرب وغيرهما من الأعمال التي

[1] أقول: إذا كانت العلومُ الشَّرعيّة وتحصيلُها في عهد المصنِّف مُهِمَّةً حَدَّ ذاك، فكيف بها في عصرنا هذا وقد نَجَحَتِ الثّورة الإسلاميّة في ايران وتربَّعَتِ الأمور بدولتها، ففاجأتنا مِئاتُ مَلايين من النَسَمات من شتّى أنحاء العالَم، ممتدّةَ الأعناقِ والأكُفِّ نحوَ الحوزاتِ العلميّة وواعيةَ الأسماع والقلوب لندائها ودعوتها!!

لانسبَ اليومَ ولاخُلّةٌ اتّسع الخرق على الرّاقعِ

***

ألا يا قومَنا ارتحِلُوا وسيروا إذا تُرِكَ القَطا يوماً لناما

يُشارِكُكَ فيها سائرُ الحيوانات حتّى الديدان والخنافس ـ فإنَّها تأكُلُ وتَشْرَبُ وتجمَعُ القُوتَ وتتناكَحُ وتَتَوالَدُ ـ مع أنّك قادر على أن تصيرَ من جملة الملائكة المقرَّبين باستعمال قُوَّتِكَ في العلم والعمل بل أعظم من الملائكة، عينُ الْخُسران المبين.

فَتَنَبَّهُوا مَعْشَرَ إخواني وأحِبّائي ـ أيْقَظَنا الله وإيّاكُم ـ مِنْ غَفْلَتِكُمْ واغْتَنِمُوا أيّامَ مُهْلَتِكُمْ، وتَلافُوا تَفْرِيطَكُم، قبلَ زوال الإمكان وفوت الأوان والحصول في حَيِّزِ «كانَ» فَيالَها حَسْرَةً لايُتَدارَكُ فارِطُها، ونَدامَةً تَخْلُدُ مِحْنَتُها!!

نَبَّهَنا الله وإيّاكُمْ مِنْ مَراقِدِ الطبيعة، وجَعَلَ مابَقِيَ من أيّام هٰذِهِ المهْلَةِ مصروفاً على علوم الشريعة، وأحَلَّنا جميعاً في دارِكَرامتِهِ بمنازلها الرفيعة. إنّه أكرمُ الأكْرَمِينَ وأجْوَدُ الأجْوَدِينَ.

وعلى هذا القدر نَخْتِمُ الرِّسالَةَ حامِدِينَ لله تعالى، مُصَلِّينَ على خاتَمِ الرِّسالَةِ وآله أهل بيت العصمة والعدالة ومُسَلِّمِينَ، مُسْتَغْفِرِينَ من ذُنُوبِنا إنَّهُ غَفُورٌ رحيمٌ.

وفَرَغَ منها مؤلِّفُها الفقير إلى عفو الله تعالى ورحمته زينُ الدينِ بنِ عليِّ بنِ أحمدَ الشاميِّ العامليِّ، ضُحىٰ يومِ الخميس يومَ العشرين من شهر ربيع الأول سنةَ أربعٍ وخمسين وتسعمائة. تَقَبَّلَها اللهُ برحمته، وتَلَقّاها بيد كرمه ورأفته؛ إنّه جوادٌ كريم والحمدُلِلّه رَبِّ العالمين.

* * *

هذا وقد وقع الفراغُ من هذا التحرير صبيحةَ يومِ الثُّلاثاء الثّاني والعشرين من شهر شعبان المعظَّم سنةَ ألفٍ وأربعمائة وثماني عشرة بعد الهجرة النبويَّة على هاجِرها وآله الصَّلاةُ والسَّلام، والحمدلِلّه ربِّ العالمين.

الفهارس العامَّة

فهرس الآيات الكريمة

فهرس الأحاديث الشّريفة

فهرس الأشعار

فهرس الموضوعات

